دراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة

تأليف

أ. د. ناصر بن عبد الله القفاري

جامعة القصيم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

دار العقيدة للنشر والتوزيع

دراسات في

المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة

ⓒ دار العقيدة للنشر والتوزيع، ١٤٤٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القفاري ، ناصر بن عبدالله

دراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة / ناصر عبدالله علي القفاري - ط ٢. - الرياض ، ١٤٤٣هـ

٣٠٥ ص ؛ ١٧*٢٤ سم

ردمك: ٥-٧-٩١٦٨٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الديانات المقارنة أ.العنوان

ديوي ٢١٩ ١٤٤٣/١٠٤١

رقم الإيداع: ١٤٤٣/١٠٤١

ردمك : ٥-٧-٩١٦٨٧-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

٠٥٠٣٣١٠٠٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فيعود اهتمامي بالمذاهب المعاصرة إلى ما قبل أكثر من أربعين سنة، وذلك حين كتبت (الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة) بالاشتراك مع زميلي أ. د. ناصر العقل حفظه الله، ثم تواصلت متابعتي لدراسة المذاهب الفكرية المعاصرة حين كلفت بوضع مقرر دراسي في (العقيدة والأديان والاتجاهات المعاصرة) بالاشتراك مع بعض الزملاء، وتم طباعة هذه الدراسة كمقرر دراسي تحت هذا العنوان.

ثم درَّست المذاهب الفكرية لسنوات طويلة في كلية التربية للبنات، وفي قسم الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية للطلاب، ثم تعمقت بدراستها حين درَّست الفلسفة الحديثة والمعاصرة لطلاب الدكتوراه.

وقد رأيت حاجة الطلاب إلى كتاب يجمع شتات هذه المذاهب والتيارات الفكرية، فجمعت خلاصة ما وقفت عليه في هذا الموضوع، وراعيت سهولة الأسلوب، ووضوح العبارة، وحسن العرض والترتيب، وأسميته: (دراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة)؛ لأن هذه التسمية هي الموافقة لمضمون الكتاب.

وقد اعتمدت في هذا الكتاب على المصادر الأجنبية المترجمة إلى العربية، والمصادر العربية المهمة.

وقد وُضِعَ هذا الكتاب وفق الخطة الدراسية لتخصص الشريعة والدراسات الإسلامية، الموافقة للمعايير الأكاديمية لمحتوى برامج الشريعة في مؤسسات التعليم العالي المعتمد في الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي.

واشتمل الكتاب على الموضوعات التالية: مقدمات في المذاهب والتيارات المعاصرة، والغزو

الفكري، والاستشراق والتنصير، والتغريب، والصهيونية والماسونية، والوجودية، والعقلانية، والعلمانية، والليبرالية، والإلحاد المعاصر، والرأسمالية، والعولمة، والديمقراطية.

ولا يخفى أهمية دراسة هذه المذاهب والتيارات، خاصة في هذا الوقت الذي تتعرض فيه الأمة الإسلامية لغزو فكري منظم يستهدف عقيدتها وأخلاقها وقيمها، والأخطر أن هذه المذاهب قد وجدت لها دعاة من أبناء جلدتنا، وممن يتسمون بأسمائنا ويعيشون بيننا.

هذا، وقد تم تحكيم الكتاب من قبل بعض الباحثين المختصين، وهما: الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي (أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة)، والأستاذ الدكتور محمد عمر خالد (أستاذ الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر).

والله تعالى أسأل أن يجعله لوجهه خالصًا، ولسنة نبيه ﷺ موافقًا، ولعباده نافعًا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

الفصل الأول:
مقدمات في المذاهب والتيارات المعاصرة

المبحث الأول:
التعريف بالمذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة

تعريف المذاهب:

المذهب لغة: مصدر ميمي يطلق على الطريق[١].

ويطلق المذهب اصطلاحًا بإطلاقات متعددة:

فيطلق على المذهب الفقهي، فيقال: مذهب الإمام أحمد، وعلى المذهب الاعتقادي الحق، فيقال: مذهب أهل السنة والجماعة، وعلى المعتقد الباطل، فيقال: مذهب الجهمية، بل ويطلق حتى على المذاهب الإلحادية، فيقال: المذهب الماركسي والوجودي ونحوهما.

والمراد بالمذهب هنا: المعتقد الذي يذهب إليه صاحبه سواء أكان حقًّا أم باطلًا.

ويقصد بالمذاهب: تلك المذاهب الفكرية المعاصرة التي نشأت في أوروبا بعد الصراع مع الكنيسة والتخلص من طغيانها، ثم انتقلت إلى العالم الإسلامي، كالعلمانية والليبرالية والوجودية ونحوها. وهي «مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا يجعلها وحدة متسقة»[٢].

تعريف التيارات:

التيار في اللغة: الموج الذي ينضح الماء[٣].

وهو «حركة سطحية في ماء المحيط تتأثر باتجاهات الرياح وتنقل المياه الدافئة إلى المناطق الباردة وبالعكس»[٤].

ومن المعنى اللغوي ينبثق المعنى الاصطلاحي، فيراد بالتيار اصطلاحا: موج سياسي أو فكري

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور (١/ ٣٩٣)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/ ٣١٧)، معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار (١/ ٨٢٥).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٣١٧).

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٦٠٢)، مجمل اللغة، ابن فارس (ص: ١٥٢)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص: ٣٥٧).

(٤) المعجم الوسيط (١/ ٩١).

أو اجتماعي يسري في المجتمع محدثًا تغييرات سياسية أو فكرية أو اجتماعية.
فلا يسمى تيارًا إلا ما له تأثير فكري أو اجتماعي أو سياسي، وهو ما يصوغ أنظمة وقوانين، مثل: الرأسمالية والديمقراطية والعلمانية، فالتيار ما اكتسب زخمًا فكريًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا[١].

معنى (الفكرية):

والمراد بهذه النسبة بيان أن هذه المذاهب مصدرها ومرجعها الفكر البشري لا الوحي الإلهي، ولذا تنسب أحيانًا إلى مؤسسها، فيقال: الفكر الماركسي نسبة لماركس، أو تنسب إلى مفاهيمها واتجاهاتها، فيقال: الليبرالية والوجودية، وليس المراد بالفكر هنا الفكر السوي الذي يهتدي بنور الكتاب والسنة، بل الفكر الضال المتأثر بالفلسفات الوضعية والديانات المنحرفة والأهواء المضلة والشهوات الجامحة.

معنى (المعاصرة):

المعاصرة مشتق من العصر، وهو «الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر»[٢].
والمراد بالمعاصرة هنا: المذاهب والتيارات التي يعاصرها ويعايشها الإنسان، فهي المذاهب الموجودة التي ظهرت في هذا العصر الذي نعيشه، والذي يتحدد زمنه بالقرن التاسع عشر الميلادي وما بعده، وهو العصر الذي تفاقمت فيه التيارات والمذاهب الإلحادية والمادية[٣].
وقد جمعت التسمية بين (المذاهب) و(التيارات)؛ ليشمل ما يمكن تصنيفه ضمن التيارات، كالتنصير والاستشراق والتغريب، وما يمكن تصنيفه ضمن المذاهب كالليبرالية والرأسمالية والديمقراطية، وسيستخدم في البحث مصطلح المذاهب من باب التغليب.

سبب التسمية:

أنها مذاهب يعتنقها أصحابها، ويدعون لها، وتيارات تموج بالناس كموج البحر، وتسمى فكرية نسبة إلى الفكر، وهو إعمال العقل في شيء معلوم للوصول إلى معرفة شيء مجهول[٤].

---

(١) انظر: التيارات السياسية في إيران، سعيد برزين، نقلًا عن: مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلحات ذات الصلة، جميلة بنت عيادة الشمري (ص: ١٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٨٠).
(٣) انظر: التيارات والمذاهب الفكرية المعاصرة (ص: ٩).
(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (٢/ ٦٩٨).

المبحث الثاني:
أسباب نشأة المذاهب والتيارات المعاصرة

يرجع نشأة المذاهب والتيارات المعاصرة في الغرب إلى جملة من الأسباب، من أهمها ما يلي:

السبب الأول: طبيعة الملة النصرانية المحرفة وما فيها من مبادئ مخالفة للعقل ومعارضة للفطرة، لا تطمئن باعتقادها النفوس، ولا تقنع بها العقول، مثل: عقيدة التثليث[١]، والخطيئة الموروثة[٢]، والخلاص، والصلب والفداء[٣]، والعشاء الرباني[٤]، والاعتراف[٥]، وصكوك الغفران[٦]، والرهبانية[٧].

السبب الثاني: طغيان الكنيسة ورجالها، يقول ول ديورانت: «لقد كان بوسع الكنيسة أن تحتفظ بحقوقها القدسية المستمدة من الكتب المقدسة العبرية والتقاليد المسيحية لو أن رجالها تمسكوا بأهداب الفضيلة والورع، ولكن كثرتهم الغالبة ارتضت ما في أخلاق زمانها من شر وخير، وكانوا هم أنفسهم مرآة تنعكس عليها ما في سيرة غير رجال الدين من أضداد»[٨].

وينقل أيضًا عن القديسة كترين السيانية قولها: «إنك أينما وليت وجهك -سواء نحو القساوسة أو الأساقفة أو غيرهم من رجال الدين، أو الطوائف الدينية المختلفة، أو الأحبار من الطبقات

---

(١) هو الاعتقاد بأن الله ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر، وهي: الآب والابن والروح القدس. انظر: معجم الإيمان المسيحي (ص: ١٦٣).

(٢) هي الخطيئة التي يولد بها كل إنسان والتي تزول بالمعمودية حسب اعتقادهم. انظر: معجم الإيمان المسيحي (ص: ٢٠٣).

(٣) هو الاعتقاد بأن صلب المسيح وموته على الصليب يحررهم من العقاب، كما لو كانوا هم أنفسهم يحتملون العقاب ويؤدون الفدية عن خطاياهم. انظر: معجم الإيمان المسيحي (ص: ٣٥١).

(٤) هو أكل شيء من الخبز مع شرب قليل من الخمر. واعتقاد أن الخبز يشير إلى جسد المسيح المكسور، والخمر يشير إلى دمه المسفوح. انظر: خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية، للشماس حبيب جرجس (ص: ٧٩-٨٠).

(٥) هو: إقرار الخاطئ بخطاياه أمام الكاهن إقرارًا مصحوبًا بالندم والأسف والعزم على ترك الخطيئة وعدم الرجوع إليها. انظر: أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس (ص: ١٥٠).

(٦) هي صكوك يغفر لمشتريها جميع ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر. وتباع كأسهم الشركات. وقد يمنح الشخص بناء على هذا الصك أمتارًا في الجنة حسب المبلغ الذي يقدمه للكنيسة. انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها. د. عادل درويش (ص: ٣٥٣). وانظر: معجم الإيمان المسيحي (ص: ٣٣٥). دراسات في الأديان. د. ناصر القفاري (ص: ٣٥٦-٣٥٧).

(٧) هي: المبالغة في الزهد والعكوف على العبادة والتقشف وتعذيب الجسد، والتبتل وعدم الزواج والعزلة عن المجتمع. انظر: تاريخ الرهبنة الديرية في مصر، د. رؤوف حبيب (ص: ٣٧). الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها. د. أحمد عجيبة (ص: ١٢-١٣)، الرهبانية النصرانية دراسة نقدية في ضوء الإسلام. أميمة الجلاهمة (ص: ١٦١)، مجلة جامعة أم القرى، عدد: ٤٥، ذو القعدة، ١٤٢٩هـ.

(٨) قصة الحضارة (٢١/ ٨٣).

الدنيا أو العليا، سواء كانوا صغارًا في السن أو كبارًا- لم تر إلا شرًّا ورذيلة، تزكم أنفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة، إنهم كلهم ضيقو العقل، شرهون، بخلاء، تخلوا عن رعاية الأرواح، اتخذوا بطونهم إلهًا لهم، يأكلون ويشربون في الولائم الصاخبة، حيث يتمرغون في الأقذار، ويقضون حياتهم في الفسق والفجور، ويطعمون أبناءهم من مال الفقراء، ويفرون من الخدمات الدينية فرارهم من السجون»[١].

وبما أن الكنيسة تعتقد أنها وريثة المسيح فإن لها ذات الوضع وذات السلطان الذي كان للمسيح، فهي مقدسة، وقداسة البابا والقساوسة هم الوسطاء الذين تمر بهم جميع أعمال الناس حتى تصل إلى الله، ومع ذلك فقد زاد طغيانهم حتى شمل جوانب شتى من حياة الناس، ومنها:

١- الطغيان الروحي:

مارس رجال الدين النصارى الطغيان الروحي على الناس بوصفهم الوسطاء بينهم وبين الله، فالطفل لا يعد مسيحيًّا حتى يعمد، والتعميد[٢] لا يكون إلا على يد الكاهن، ومنذ ولادته وتعميده تربط كل حياته بالكاهن فهو الذي يزوجه، ويصلي به، ويتقبل اعترافه بخطاياه لتقبل توبته ويجلب له الغفران، فهو من مولده إلى مماته ترتبط حياته الروحية بالكاهن ولا يستطيع أن يعقد صلة مباشرة بينه وبين الله. يقول د. محمد البهي: «البابوية نظام كنسي ركز السلطة العليا باسم الله في يد البابا، وقصر حق تفسير الكتاب المقدس على البابا وأعضاء مجلسه من الطبقة الروحية الكبرى، وسوَّى في الاعتبار بين نص الكتاب المقدس ومفاهيم الكنيسة الكاثوليكية، وجعل عقيدة التثليث عقيدة أصيلة في المسيحية، كما جعل الاعتراف بالخطأ وصكوك الغفران من رسوم العبادة وغير ذلك مما يتصل بالكاثوليكية كمذهب وكنظام لاهوتي»[٣].

٢- الطغيان العقلي والفكري:

فرضت الكنيسة على أتباعها أسرارًا كنسية، ومنعتهم من مناقشتها والتفكير فيها، واعتبرت كل من يشك فيها أو يناقشها كافرًا مهرطقًا[٤] تجب عليه اللعنة الأبدية، وهذه الأسرار كلها منافية للعقل لا تصمد أمام النقاش والتفكير الحر، وقد تقدم ذكر بعضها.

وأنشئت في أوروبا محاكم التفتيش بطلب الراهب توركماندا لمقاومة العلم والفكر الحر، وعاش

---

(١) المصدر السابق (٢١/ ٨٥).

(٢) هو رش الماء على الجبهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، أو غمس الشخص كله في الماء، ويعمد الشخص في أي وقت من حياته، ولو على فراش الموت. انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٦٣٧).

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار (ص: ٢٩٥-٢٩٦).

(٤) هو صاحب البدعة أو الرافض لإحدى عقائد الإيمان النصراني. انظر: معجم الإيمان المسيحي (ص: ٥٢٥-٥٢٦).

العلماء في حالة من الإرهاب الفكري، لا يجرؤون على المجاهرة بآرائهم إذا كانت مخالفة للكنيسة، ففي مدة ٨١ سنة (١٤١٨-١٤٩٩م) حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصًا بأن يحرقوا وهم أحياء، وعلى سبعة وتسعين ألفًا وثلاثة وعشرين شخصًا بعقوبات مختلفة فنفذت، وكانت تجري على المتهم أثناء المحاكمة كل أنواع العذاب بآلات التعذيب المتنوعة حتى يعترف[١].

٣- الطغيان المالي:

كان أكثر رجال الدين النصارى ممن فتنوا بالدنيا وتعلقوا بحطامها وجمعها، وقد انصرفوا إلى جمع الأموال وتملك الإقطاعات والأراضي حتى أصبح رجال الكنيسة كما يقول ول ديورانت «أكبر ملاك الأراضي، وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربا»[٢]، كما فرضت الكنيسة على أتباعها عشر أموالهم ضريبة سنوية لا يمكن لأحد التخلص منها، بالإضافة إلى ضريبة السنة الأولى، وهي جميع دخل السنة الأولى لأي وظيفة من الوظائف يدفع إلى الكنيسة بطريق الإجبار، كما فرضت الكنيسة ألا يكتب أحد وصيته إلا عن طريق القسيس، وأصبح من الواجب حين كتابة الوصية أن يهب الموصي شيئًا من ماله للكنيسة حتى لا يتعرض لغضب الله.

٤- الطغيان السياسي:

حيث فرضت الكنيسة وصايتها على الأباطرة والملوك وأخضعتهم لسلطانها، ومن يخالف ذلك يكون مصيره الإبعاد والحرمان، وقد حفظ التاريخ أحداثًا كثيرة من هذا اللون من الطغيان الذي مارسه رجال الدين الكنسي[٣].

---

(١) انظر: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، الشيخ محمد عبده (ص: ٤٥-٤٦).

(٢) قصة الحضارة (١٤/ ٤٢٨).

(٣) انظر: قصة الحضارة (١٤/ ٣٥٥).

المبحث الثالث:

تاريخ انتقال المذاهب والتيارات المعاصرة إلى العالم الإسلامي وأسباب ذلك

إذا وجدت في الغرب أسباب أدت إلى نشأة هذه المذاهب الإلحادية والمادية، فإن هذه الأسباب لم توجد في العالم الإسلامي أصلًا بعدما أكمل الله لهم الدين وأتم عليهم النعمة ورضي لهم الإسلام دينًا، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فكيف يسوغ لمسلم أن تسول له نفسه أن يتوجه إلى تلك المذاهب الأرضية البشرية الآسنة وعنده دين الله؟! ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

ولكن هذا الأمر المستبعد قد وقع كما وقع من قبل حين تعلق فئام من المسلمين ببضاعة أهل الكلام المستوردة من فلسفات الإغريق واليونان، مع أنه طريق إلى الزندقة، و«العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم»[١]، وقد اعترف حذاق علم الكلام أنه لا يشفي عليلًا، ولا يروي غليلًا[٢].

ونشير هنا إلى أهم الأسباب التي أدت إلى انتقال هذه المذاهب إلى العالم الإسلامي، كما يلي:

السبب الأول: انحراف كثير من المسلمين عن دينهم، وتفريطهم في اتباع الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣]، عن ابن عباس، قال: «تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتَّبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئَين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردَا عليَّ الحوض»[٤].

السبب الثاني: جهلهم بحقيقة هذه المذاهب الضالة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب والبؤس والشقاء، ولا أدل على ذلك من حال أصحابها حتى انتهى الحال ببعضهم إلى الانتحار، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ١٧).

(٢) انظر: أقسام اللذات. للرازي (ص: ٢٦٢-٢٦٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩١) بهذا اللفظ، والحاكم في المستدرك بنحوه (٢/ ٤١٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه البزار في مسنده (ح٨٩٩٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢)، والدارقطني في السنن (ح٤٦٠٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٩٣٧).

﴿أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

السبب الثالث: احتلال العالم الإسلامي، وما تركه من آثار مدمرة، فلقد حاول المحتل غرس بذوره النكدة في بلاد المسلمين عن طريق تمكين المستغربين من أتباعه في المناصب الحيوية، وفرض نمط ثقافي غربي على الشعوب المحتلة من خلال تغيير المناهج التعليمية، وتغيير وسائل الإعلام لبث أفكاره وسمومه، وكان لذلك أثر كبير في انتشار المذاهب الفكرية الغربية في بلاد المسلمين.

السبب الرابع: عملاء المحتل الذين ساروا على خطاه، بل كانوا على شعوبهم أشد بلاء منه، ونفذوا من مخططاته ما لا يتمكن أو يحلم بتحقيقه، ومن الشواهد الكبرى ما فعله أتاتورك في تركيا.

السبب الخامس: تأخر العالم الإسلامي وما أحدثه من أثر نفسي يأتي في مقدمته ولع المغلوب بتقليد الغالب، حتى وجد من ينادي بتقليد الغرب في كل شيء، وهم المستغربون من أمثال: طه حسين، وعلي عبد الرازق، وقاسم أمين، وأحمد حسنين هيكل باشا، ومنصور فهمي، وزكي نجيب محمود، وغيرهم، فقد دعوا أيضًا وبكل صراحة إلى السير وراء الغرب في كل شيء، فيرى طه حسين بأن سبيل النهضة أن «نسير سير الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد وما يعاب»[١]، ومن أماني د. زكي نجيب محمود، أو أحلامه قوله: «إنني في ساعات حلمي أحلم لبلادي باليوم الذي أشتهيه، فإنما أصورها لنفسي وقد كتبنا من اليسار إلى اليمين كما تكتب أوروبا، وارتدينا من الثياب ما يرتدون، وأكلنا كما يأكلون، لنفكر كما يفكرون، وننظر إلى الدنيا بمثل ما ينظرون»[٢]، وهذا قريب الشبه بقول أحد أتباع أتاتورك[٣]: «إنا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رئيهم، والنجاسات التي في أمعائهم»[٤].

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر (ص: ٤١).

(٢) الاتجاه التغريبي، سامي نجيب (ص: ٤٣٢)، ضمن بحوث المؤتمر الدولي: (الإسلام ومشروعات النهضة الحديثة).

(٣) وهو آغا أوغلي أحمد.

(٤) موقف العقل والعلم والعالم، لمصطفى صبري (١/ ٣٦٩).

المبحث الرابع:
الآثار السيئة للمذاهب الفكرية والتيارات المعاصرة

من أبرز الآثار السيئة لانتشار المذاهب الفكرية في البلاد الإسلامية ما يلي:

١- انحسار تطبيق الشريعة الإسلامية في كثير من الدول الإسلامية، وذلك أثر من آثار انتشار العلمانية وتطبيق مبادئها، فلأول مرة في تاريخ المسلمين بعد دخول هذه المذاهب والتيارات الفكرية تعرض دول إسلامية عن تطبيق الشريعة والحكم بما أنزل الله، لتولي وجهتها نحو القوانين الوضعية البشرية، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وسيأتي تفصيل ذلك في مبحث العلمانية.

٢- الدعوات المغرضة المنادية بالاختلاط وخروج المرأة من بيتها، وقد تولى كبر هذا الأمر قاسم أمين وهدى شعراوي وغيرهما، وقد آتت هذه الدعوات أكلها وثمارها الخبيثة في كثير من المجتمعات الإسلامية، فظهر الفساد وانتشرت الرذيلة مما يؤذن بخراب الديار، وهذه نتيجة حتمية، قال الإمام ابن القيم: «لا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة»[١].

٣- ظهور دعاة لهذه المذاهب بين المسلمين، ومجاهرتهم في الدعوة إليها، وتدليسهم على المسلمين بدعوى أن الأخذ بهذه المذاهب الفكرية واتباعها هو السبيل إلى التقدم والنهضة والريادة.

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (٢/ ٧٢٤).

المبحث الخامس:

أهم المؤلفات في دراسة المذاهب والتيارات المعاصرة

تزخر المكتبة الإسلامية بكثير من المؤلفات التي تناولت المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة بالبحث والدراسة، ومنها ما يلي:

١- الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة.

٢- الإسلام والتيارات الوافدة، الأستاذ أنور الجندي.

٣- الإسلام والمذاهب الفلسفية، د. مصطفى حلمي.

٤- التيارات الفكرية دراسة وتحليل، د. أحمد السايح، د. سامي عفيفي.

٥- التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين، محمد فاروق الخالدي.

٦- التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها، د. محمود محمد مزروعة.

٧- التيارات والمذاهب الفكرية المعاصرة في ميزان الإسلام، د. ماجد عبد السلام إبراهيم.

٨- دراسات في الحركات المعاصرة (الدور اليهودي في إذكاء بعض التيارات الفكرية المعاصرة في العالم الإسلامي)، د. محمد ربيع محمد عثمان.

٩- دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. خالد بن عبد العزيز السيف.

١٠- دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، نشأتها منطلقاتها الفكرية، د. أحمد بن علي عبد العال.

١١- دليل العقول الحائرة في كشف المذاهب المعاصرة، حامد بن عبد الله العلي.

١٢- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي.

١٣- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. عبد الرحمن حبنكة الميداني.

١٤- المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. عيسى السعدي.

١٥- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي العواجي.

١٦- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحمن عميرة.

١٧- مذاهب فكرية معاصرة، د. آمال بنت عبد العزيز العمرو.

١٨- المذاهب والتيارات المعاصرة، د. محمود بن إبراهيم الخطيب.

١٩- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر القفاري، د. ناصر العقل.

٢٠- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود.

٢١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني.

٢٢- الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. أحمد بن عبد العزيز الحلف

ملخص الفصل الأول

- **تعريف المذاهب:** يقصد بالمذاهب: تلك المذاهب الفكرية المعاصرة التي نشأت في أوروبا ثم انتقلت إلى العالم الإسلامي، كالعلمانية والليبرالية والوجودية ونحوها.
- **نشأتها:** يرجع نشأة المذاهب المعاصرة في الغرب إلى جملة من الأسباب، من أهمها ما يلي: السبب الأول: طبيعة الملة النصرانية المحرفة وما فيها من مبادئ مخالفة للعقل ومعارضة للفطرة، السبب الثاني: طغيان الكنيسة ورجالها، والذي يشمل: (١) الطغيان الروحي، (٢) الطغيان العقلي والفكري، (٣) الطغيان المالي، (٤) الطغيان السياسي.
- **أهم الأسباب التي أدت إلى انتقال هذه المذاهب الفكرية إلى العالم الإسلامي:** السبب الأول: انحراف كثير من المسلمين عن دينهم، وتفريطهم في اتباع الكتاب والسنة. السبب الثاني: جهلهم بحقيقة هذه المذاهب الضالة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. السبب الثالث: احتلال العالم الإسلامي، وما تركه من آثار مدمرة. السبب الرابع: عملاء المحتل الذين ساروا على خطاه. السبب الخامس: تأخر العالم الإسلامي وما أحدثه من أثر نفسي يأتي في مقدمته ولع المغلوب بتقليد الغالب، حتى وجد من ينادي بتقليد الغرب في كل شيء.
- **أبرز الآثار السيئة لانتشار المذاهب الفكرية في البلاد الإسلامية:** (١) انحسار تطبيق الشريعة الإسلامية في كثير من الدول الإسلامية. (٢) الدعوات المغرضة المنادية بالاختلاط وخروج المرأة من بيتها. (٣) إضعاف التعليم الشرعي بمزاحمته باللغات والعلوم الغربية. (٤) ظهور دعاة لهذه المذاهب بين المسلمين، ومجاهرتهم في الدعوة إليها.

أسئلة تطبيقية

س١: تكلم بإيجاز عن أهم أسباب نشأة المذاهب الفكرية في الغرب.

س٢: ما الأسباب التي أدت إلى انتقال هذه المذاهب الفكرية إلى العالم الإسلامي؟

س٣: اشرح بإيجاز الآثار السلبية المترتبة على انتشار المذاهب الفكرية في العالم الإسلامي.

الفصل الثاني:
الغزو الفكري

المبحث الأول:
مفهوم الغزو الفكري

الغزو الفكري مصطلح حادث من مصطلحات العصر الحديث الذي بلي بأنواع عديدة من الغزو جاء بها الاستعمار مع ما جاء به لبلدان العالم الإسلامي من متاعب وأضرار[١].

ومفهومه: محاربة الخصم ومحاولة القضاء عليه بغير الطرق العسكرية[٢].

ويراد به هنا: محاربة المسلمين لإخراجهم عن دينهم، أو صرفهم عن التمسك به بغير الطرق العسكرية[٣].

ويعبر عنه أيضًا بالغزو الثقافي؛ لأنه محاولة أعداء الإسلام السيطرة على المسلمين من خلال الثقافة بأنواعها من مبادئ ونظم وأخلاق ولغة وشتى أنواع المعارف.

ويقال له أيضًا: الاستعمار الفكري؛ لأنه في حقيقته احتلال للأفكار والعقول، بل هو أشد أنواع الاستعمار خطرًا وأعمقها أثرًا.

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مجموعة باحثين (ص: ٧).

(٢) انظر: الغزو الفكري التحدي والمواجهة. د. إسماعيل علي محمد (ص: ١٤).

(٣) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام (ص: ١٧٩).

المبحث الثاني:
أهداف الغزو الفكري ومظاهره ومجالاته

أولا: أهداف الغزو الفكري:

يمكن إجمال أهم أهداف الغزو الفكري فيما يلي:

١- محاولة القضاء على وجود الأمة، وذلك بمحو شخصيتها، فما تقرأ عنه مما يسمى بالأمم البائدة لم يكن ذلك بسبب فناء أفرادها، وإنما سبب ذلك ذهاب هويتها وطمس معالم تميزها، فأصبحت في ذيل أمم أخرى، فنسيت وفني ذكرها.

٢- إضعاف تمسك الأمة بدينها؛ لأن دينها هو أصل عزها وسبب انتصاراتها وتفوقها على الأمم، وبرهان ذلك أنهم قبل أن يدخلوا في دين الله كانوا أمة ضعيفة متفرقة متناحرة متخلفة، ثم بعد أن قاموا بدين الله علمًا وعملًا ودعوة وتطبيقًا ملكوا العالم، وأقاموا حضارة لم تعرف الدنيا لها مثيلا، في فترة زمنية قصيرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ تطور الأمم وبناء الحضارات.

٣- سلب خيراتها ونهب ثرواتها؛ لأنها تصبح طوع إرادتهم.

٤- الحيلولة دون انتشار الإسلام؛ لأن الغزو الفكري يستهدف تشويه حقيقة الإسلام وتاريخ وواقع المسلمين.

ثانيًا: مظاهر الغزو الفكري:

اتخذ الغزو الفكري للإسلام والمسلمين في العصر الحديث مظاهر عديدة، منها[1]:

١- محاولة الطعن في مصدر الإسلام الأول وهو القرآن العظيم، ومن أمثلة ذلك زعم كثير من المستشرقين أن القرآن الكريم من عند محمد ﷺ وليس من عند الله، وأنه تأثر بالبيئة التي نشأ فيها واستمد منها في تأليفه للقرآن.

٢- محاولة التشكيك في السنة النبوية، وقد جند أعداء الإسلام لذلك أقلامهم وكتبهم ومجلاتهم وبحوثهم ومراكزهم وأذنابهم في بلاد المسلمين، حيث زعموا أن كثيرًا من هذه الأحاديث المجموعة بالأسانيد المتصلة في دواوين السنة لا يصح نسبتها إلى رسول الله ﷺ، ولا يمكن أن تكون قد صدرت عنه ﷺ.

٣- محاولة النيل من الرسول ﷺ والتطاول على مقامه الشريف، ومن ذلك تكذيب النبي ﷺ

(١) انظر للتوسع والتفصيل: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام (ص: ٢٤) وما بعدها.

في دعواه نزول الوحي عليه، ودعوى أن الإسلام انتشر بحد السيف.

٤- محاولة تشويه التاريخ الإسلامي، ومن ذلك تشويه سيرة النبي ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين، وانتهاء بتشويه صورة المسلمين في تاريخ مجدهم وعزهم وانتصاراتهم، واتهام الصحابة ﷺ بأنهم قاتلوا من أجل الدنيا وحرصا على الزعامة والرياسة، وغير ذلك كثير مما يدل على قدر الحقد والبغض الذي يحملونه في قلوبهم للإسلام وأهله.

٥- محاولة تشويه التراث الإسلامي، ونعني بالتراث تلك الثروة الفكرية التي أنتجتها عقول المسلمين في مختلف مجالات العلم والمعرفة، وسائر ألوان الحضارة، وجهلوا أو تجاهلوا أن هذا التراث الذي تركه المسلمون كان هو اللبنة الأولى التي قامت عليها حضارتهم المادية، وأن حضارة الإسلام كان لها تأثير قوي في نهضة العالم الغربي، ولا ضير في ذلك فالمعرفة حق إنساني مشترك بين سائر البشر.

ثالثًا: مجالات الغزو الفكري:

للغزو الفكري مجالات عديدة من أبرزها ما يلي:

١- المجال العقدي: ويستهدف التشكيك في عقيدة المسلمين، وإثارة الشبهات حولها، وترويج عقائد أخرى باطلة مستمدة من ديانات محرفة أو وثنية أو فلسفات بشرية.

٢- المجال التشريعي: ويستهدف الطعن في شرائع الإسلام الثابتة، ودعوى حصر أحكام الإسلام بالعبادات فقط، وتغيير الشرائع والأحكام المتعلقة بالأسرة والمواريث ونحوها.

٣- المجال الأخلاقي: ويستهدف أخلاق الإسلام وآدابه عن طريق نشر الفاحشة بين المؤمنين، والدعوة إلى الحرية الشخصية المنفلتة من قيود الدين والخلق والعرف.

٤- المجال السياسي: ويستهدف الحكم بما أنزل الله، واستبدال القوانين الوضعية بالتشريعات الإلهية، والأنظمة الديمقراطية بالسياسة الشرعية.

٥- المجال الاقتصادي: ويستهدف المعاملات المالية الشرعية عن طريق نشر الربا والمعاملات المحرمة.

٦- المجال الاجتماعي: وذلك عن طريق استهداف الأسرة، والنظام الاجتماعي الإسلامي، وإفساد المرأة، وإنشاء مراكز وجمعيات ومستشفيات ومدارس تحمل في ظاهرها شعارات إنسانية اجتماعية، كالتعليم والإغاثة والعلاج وتقديم المساعدات، وهي في حقيقتها غزو فكري للإفساد.

المبحث الثالث:
وسائل الغزو الفكري وأدواته

«المقصود بوسائل الغزو الفكري: الأدوات أو الوسائط التي يتم من خلالها نقل أو تسرب الأفكار الغازية المعادية والثقافات الأجنبية الدخيلة المتعارضة مع الإسلام، والآراء المتعارضة مع القرآن والسنة، وعرضها على المسلمين عبر تلك الوسائل بأساليب مختلفة لتحقيق أهداف الغزو الفكري»[١]، ومن أهمها ما يلي:

١- التعليم:

يعد التعليم من أخطر وسائل الغزو الفكري، وذلك عن طريق وضع المناهج التعليمية في بلاد المسلمين على غرار المناهج الغربية، ويقال: إن القس الإنجليزي دنلوب هو الذي رسم سياسة التعليم في مصر ونفذها هو وتلاميذه من بعده، ولا تزال آثار هذه السياسة التعليمية التي رسمها هي المنهج الذي يسير عليه التعليم في كثير من بلاد المسلمين[٢].

كما أنشئت بعض الكليات والمدارس الأجنبية في بلاد المسلمين بتوجيه مباشر أو غير مباشر من المستعمر حتى أخرجت هذه المدارس والكليات أخبث الثمار لأمة الإسلام والمسلمين، ومن أمثلة ذلك كلية الآداب في مصر التي قام المستشرقون بدور رئيس في وضع مناهجها وتربية أجيالها الأولى، وكان منهم طه حسين وأضرابه ممن قادوا حركة الغزو الفكري الوافد في مصر[٣].

إن انتشار المناهج التعليمية الغربية له تأثير بالغ في الغزو الفكري الذي يستهدف العالم الإسلامي، و«يتبين هذا بجلاء فيما يشير إليه عدد من الباحثين الغربيين الذين حاولوا تقييم هذه التجربة، فيقول جب: إن هذا العمل كان من آثاره أن صاغت تلك المدارس والمناهج أخلاق التلاميذ، وكوَّنت أذواقهم، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي، فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فعلها أيام الطفولة ... ويقول جب أيضًا: إن التعليم هو أكبر العوامل

(١) الغزو الفكري التحدي والمواجهة (ص: ١٠٤).
(٢) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام (ص: ٢١٦).
(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٢١٨-٢١٩).

الصحيحة التي تعمل على الاستغراب، وإن انتشار التعليم سيبعث بازدياد في الظروف الحاضرة على توسيع تيار الاستغراب وتعميقه، ولا سيما اقترانه بالعوامل التعليمية الأخرى التي تدفع الشعوب الإسلامية في نفس الطريق»[١].

والحاصل أن الغزو الفكري تم عن طريق التعليم بتغيير المناهج الدراسية في العالم الإسلامي ووضعها وفق المناهج الغربية، مع استبعاد الدين وتهميشه، والتشجيع على البعثات التعليمية إلى أوروبا والتوسع فيها دون ضوابط، وإنشاء المدارس الأجنبية وانتشارها في ديار المسلمين.

٢- الإعلام:

الغزو الفكري عن طريق وسائل الإعلام كالصحافة والإذاعة والسينما والتلفاز ومواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي لا يقل خطرا وأثرا عن التعليم، يقول المستشرق جب: «الواقع أن المدارس والمعاهد العلمية لا تكفي، فليست هي في حقيقة الأمر إلا الخطوة الأولى في الطريق؛ لأنها لا تعني شيئًا في قيادة الاتجاهات السياسية والإدارية، وللوصول إلى التطور الأبعد -الذي بدونه تظل الأشكال الخارجية مجرد مظاهر سطحية- يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفًا إلى خلق رأي عام، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة»[٢].

٣- المستغربون من أبناء المسلمين:

وهم ممن صنعهم الغرب على عينيه ورباهم على يديه ليكونوا لسانا له ينطق باسمه، ويروج لفكره، ويبشر بمبادئه، وقد صرح بذلك القس زويمر، فقال: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها»[٣]، ويقول ماسينيون: «إنني حين أقرأ أبحاث طه حسين أقول: هذه بضاعتنا ردت إلينا»[٤].

٤- نشر وطباعة الكتب:

خاصة الكتب التي تمجد الحضارة الأوروبية، والتي تحكي الصراع الذي وقع في أوروبا بسبب

(١) من التبعية إلى الأصالة، أنور الجندي (ص: ٨١).
(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد حسين (٢/ ٢٠٨).
(٣) الغارة على العالم الإسلامي، شاتليه (ص: ٨٠).
(٤) المعارك الأدبية، أنور الجندي (ص: ٦٨١).

دينها المحرف، وما جرى من صراع بين الكنيسة والعلم والذي أدى إلى إقصاء الدين النصراني عن الحياة، وتعميم هذا السبب على دين الإسلام الذي جاء من عند الله، والذي أصلح الله به الأمة، ونقلها من التخلف إلى التقدم، ومن التفرق إلى الاجتماع.

٥- الاستشراق:

الدراسات الاستشراقية تلبس في الظاهر لبوس العلم والبحث، وباطنها الكيد والمكر للإسلام وأهله، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن الاستشراق.

المبحث الرابع:
آثار الغزو الفكري وخطورته

ترك الغزو الفكري آثارًا نكدة وثمارًا خبيثة في بلاد المسلمين، منها[١]:

١- **الأثر العقدي:** ومن مظاهره: ظهور هذه المذاهب والتيارات وانتقالها من بلاد الغرب إلى بلاد المسلمين، كالعلمانية والليبرالية والوجودية وغيرها، والدعوة إلى السير في ركاب الغرب حذو القذة بالقذة خاصة في ظل سياسة العولمة، وانتشار التشبه بالكفار فيما هو من خصائص دينهم، وانحسار مفهوم الإسلام واقتصاره على الشعائر التعبدية كالصلاة والصوم والحج، والانفصام بين العقيدة والسلوك وبين الإيمان والأخلاق.

٢- **الأثر الثقافي:** ومن مظاهره: ضحالة الثقافة الإسلامية في عقول كثير من المسلمين، وتشجيع الكتابة والتحدث بالعامية ومحاربة اللغة العربية الفصحى، وتشويه التاريخ الإسلامي، والانبهار بالثقافة الغربية والثقة بجميع العلوم التي تأتينا من الغرب، وتشجيع تعلم اللغات الأجنبية لجميع فئات المجتمع وفي المدارس دون ضوابط أو قيود.

٣- **الأثر الأخلاقي:** ومن مظاهره: ظهور الحركات النسوية الداعية إلى تحرير المرأة والتي تستهدف إفساد المرأة المسلمة بالتشجيع على الاختلاط المحرم ونشر التبرج والسفور، وعدم تجريم شرب وبيع المسكرات في بعض الدول، وانتشار الأغاني الماجنة والأفلام الخليعة التي تدعو إلى العري وتفسد الأخلاق.

---

(١) انظر: أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة، محمد هلال الصادق هلال (ص: ١٨٢) وما بعدها، رسالة ماجستير بجامعة الأزهر، كلية أصول الدين بالقاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

المبحث الخامس:
سبل مواجهة الغزو الفكري

«إن مقاومة الغزو الفكري والخلقي الذي خطط له أعداء الإسلام بدقة وإحكام هو بالنسبة إلينا قضية مصيرية وعنصر بقاء»[١].

ولا ريب أن مواجهة الغزو الفكري يقع بالدرجة الأولى على عاتق العلماء أهل العلم والفكر، كما أن مواجهة الغزو العسكري يقع في الدرجة الأولى على عاتق القادة العسكريين أهل الحرب والقتال، ومواجهة الاستعمار السياسي يقع على عاتق القادة السياسيين بالدرجة الأولى، ومعالجة الاستهداف الاقتصادي يقع على عاتق علماء الاقتصاد، وهكذا كل على ثغر من ثغور الأمة، فالله الله أن تؤتى الأمة من قِبَلِه.

ومن أهم سبل المواجهة للغزو الفكري ما يلي[٢]:

١- نشر العلم الشرعي، وخصوصا العقيدة الصحيحة وتوحيد الله تعالى؛ إذ هو أول واجب على المكلفين، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

٢- حماية المجتمع من الداخل، وذلك بقيام كل فرد بما استرعاه الله عليه تطبيقًا للأمر النبوي: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»[٣].

٣- الدعوة إلى الإسلام وتعليمه ونشره ورد الشبهات حوله، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ

---

(١) طرق إحكام الرقابة على وسائل الغزو الفكري والخلقي. مجموعة باحثين (١/ ١٨)، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض.

(٢) للتوسع يراجع: وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي. د. حسان محمد حسان.

(٣) أخرجه البخاري (ح٨٩٣). ومسلم (ح١٨٢٩) واللفظ له.

هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

٣- كشف حقيقة هذا الغزو ووسائله وفضح أهدافه، كما قال تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥] قال القرطبي: «وإذا بان سبيل المجرمين، فقد بان سبيل المؤمنين»[١]، فبضدها تتميز الأشياء، وقد لا يعرف قدر الحق وعظمته، من لم يعرف حقيقة الباطل وفساده، ولذلك روي عن عمر ﷺ: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»[٢]، قال ابن القيم معلقًا على هذا الأثر: «وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصوَّبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية، أو نظيره، أو شر منه، أو دونه، فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه، ويعود المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حيٌّ يرى ذلك عيانًا، والله المستعان»[٣].

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٤٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١). (١٥/ ٥٤). ومنهاج السنة (٢/ ٣٩٨). (٤/ ٥٩٠).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٥١-٣٥٢).

ملخص الفصل الثاني

- **تعريف الغزو الفكري:** هو مصطلح حادث، ويراد به هنا: محاربة المسلمين لإخراجهم عن دينهم، أو صرفهم عن التمسك به بغير الطرق العسكرية.
- **أهم أهداف الغزو الفكري:** (١) القضاء على وجود الأمة، وذلك بمحو شخصيتها. (٢) القضاء على تمسك الأمة بدينها. (٣) سلب خيراتها ونهب ثرواتها. (٤) الحيلولة دون انتشار الإسلام.
- **مظاهر الغزو الفكري:** (١) محاولة الطعن في مصدر الإسلام الأول وهو القرآن العظيم. (٢) محاولة التشكيك في السنة النبوية. (٣) محاولة النيل من الرسول ﷺ والتطاول على مقامه الشريف. (٤) محاولة تشويه التاريخ الإسلامي. (٦) محاولة تشويه التراث الإسلامي.
- **مجالات الغزو الفكري:** (١) المجال العقدي: ويستهدف التشكيك في عقيدة المسلمين. (٢) المجال التشريعي: ويستهدف الطعن في شرائع الإسلام الثابتة. (٣) المجال الأخلاقي: ويستهدف أخلاق الإسلام وآدابه. (٤) المجال السياسي: ويستهدف الحكم بما أنزل الله، واستبدال القوانين الوضعية بالتشريعات الإلهية. (٥) المجال الاقتصادي: ويستهدف المعاملات المالية الشرعية عن طريق نشر الربا والمعاملات المحرمة. (٦) المجال الاجتماعي: وذلك عن طريق استهداف الأسرة، والنظام الاجتماعي الإسلامي، وإفساد المرأة.
- **آثار الغزو الفكري:** (١) الأثر العقدي: ومن مظاهره: ظهور هذه المذاهب والتيارات وانتقالها من بلاد الغرب إلى بلاد المسلمين، كالعلمانية والليبرالية والوجودية وغيرها. (٢) الأثر الثقافي: ومن مظاهره: ضحالة الثقافة الإسلامية في عقول كثير من المسلمين. (٣) الأثر الأخلاقي: ومن مظاهره: ظهور الحركات النسوية الداعية إلى تحرير المرأة والتي تستهدف إفساد المرأة المسلمة.
- **سبل مواجهة الغزو الفكري:** (١) نشر العلم الشرعي. (٢) حماية المجتمع من الداخل. (٣) الدعوة إلى الإسلام وتعليمه ونشره ورد الشبهات حوله. (٤) كشف حقيقة هذا الغزو ووسائله وفضح أهدافه.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف الغزو الفكري، واذكر أهم أهدافه.

س٢: اتخذ الغزو الفكري للإسلام والمسلمين مظاهر عديدة في العصر الحديث. اذكر أهمها.

س٣: ترك الغزو الفكري آثارًا نكدة وثمارًا خبيثة في بلاد المسلمين. اذكرها بإيجاز.

س٤: ما أهم سبل مواجهة الغزو الفكري في رأيك؟

الفصل الثالث:
الاستشراق والتنصير

المبحث الأول:
التعريف بالاستشراق، ونشأته، وأشهر رجاله، وأهدافه

التعريف بالاستشراق:

الاستشراق مشتق من كلمة (شرق)، والتي تعني جهة مشرق الشمس، وعلى هذا يكون معنى الاستشراق: طلب علم الشرق، أو علم العالم الشرقي[١].

فالاستشراق: هو اشتغال طائفة من الباحثين الغربيين بدراسة علوم الشرق وحضارته وأديانه، وقد غلب إطلاق اسم المستشرقين على الكتاب الغربيين، الذين يكتبون عن الإسلام وعقيدته وتاريخه وحضارته[٢].

نشأته:

«لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عُني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك»[٣]، ولذلك اختلف الباحثون في تحديد البداية الزمنية للاستشراق:

١- فيرى بعض الباحثين أن طلائع الاستشراق تعود إلى القرن العاشر الميلادي على يد بعض الرهبان الغربيين الذين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدراسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات[٤]، ومنهم: جربر دي أوروالياك (٩٣٨-١٠٠٣م) الذي قصد الأندلس وتعلم على يد علمائها العربية والفلك والرياضيات، ثم ارتحل إلى روما وانتخب حبرا أعظم سنة ٩٩٩م، وأمر بإنشاء مدرستين عربيتين: الأولى في روما والثانية في رايمس وطنه، ثم

(١) انظر: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت (ص: ١٧)، ترجمة: مصطفى ماهر.

(٢) انظر: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي (ص: ٥).

(٣) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم (ص: ١٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ١٧).

أضيف إليها مدرسة شارتر[١]، وقد أخذ الفرنجة يرتادون الأندلس، ينهلون من مناهل العلم، وكانت هذه الصلة أساس النهضة الأوربية المادية الحديثة، وقد ظلت ترجمات كتب المسلمين ولا سيما كتب العلوم التجريبية مصدرًا وحيدًا للتدريس في جامعات أوروبا طيلة خمسة قرون.

٢- ويرى رودي بارت أن بداية الاستشراق ترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي وما بعده؛ حيث تم في عام ١١٤٣م ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية في أسبانيا، وفي القرن الثاني عشر أيضًا وضع أول قاموس لاتيني عربي، ثم في القرن الثالث عشر والرابع عشر تم إنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية في أوروبا بجهود رايموندوس لالوس، ثم يصرح رودي بارت قائلًا: «وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير، وهو إقناع المسلمين ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي»[٢]، وهو ما أكده مكسيم رودنسون بقوله: «في أسبانيا العصور الوسطى بدأت الدراسات العربية استجابة لحاجات العمل التبشيري»[٣].

٣- ويرى آخرون أن الاستشراق بدأ في بداية القرن الرابع عشر، يقول إدوارد سعيد: «يعتبر الغرب المسيحي أن الاستشراق قد بدأ وجوده الرسمي بالقرار الذي اتخذه مجلس الكنائس في مدينة فيين الفرنسية [سنة ١٣١٢م] بإنشاء سلسلة من كراسي الأستاذية للغات العربية واليونانية والعبرية والسريانية في باريس وأوكسفورد وبولونيا وأفينيون وسالامانكا»[٤].

ويرى د. محمود زقزوق أن هذا الاستشراق الرسمي فيه إشارة إلى وجود استشراق غير رسمي، كما أن هناك باحثين أوروبيين لا يعتمدون هذا التاريخ لبداية الاستشراق، ويتجهون إلى تحديد مدة زمنية معينة لبداية الاستشراق على وجه التقريب، لا تحديد سنة معينة[٥].

أما كلمة (مستشرق) فقد ظهرت في إنجلترا سنة ١٧٧٩م، وفي فرنسا سنة ١٧٩٩م، وأدرجت كلمة (الاستشراق) في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م[٦].

والقول الراجح: أن الاستشراق بدأ في القرن العاشر الميلادي على يد بعض الرهبان من النصارى، ثم نشط في القرن الثاني عشر الميلادي بتأثير الحروب الصليبية والتي استمرت زهاء قرنين، ثم ازداد نشاط الاستشراق مع بداية الأطماع الأوربية الاستعمارية للعالم الإسلامي في

---

(١) انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي (١/ ١٢٠).

(٢) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (ص: ١٤-١٥).

(٣) تراث الإسلام، مجموعة من الباحثين (١/ ٥٢)، تحرير: جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث.

(٤) الاستشراق. د. إدوارد سعيد (ص: ١١٠). ترجمة: محمد عناني.

(٥) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. د. محمود حمدي زقزوق (ص: ١٨).

(٦) انظر: تراث الإسلام (١/ ٦٤).

القرن الثامن عشر[١].

تغيير اسم الاستشراق:

في سنة ١٩٧٣م عقد مؤتمر كبير في باريس بمناسبة مرور مائة عام على عقد المستشرقين لمؤتمراتهم العالمية، والتي كانت تعقد كل ثلاث إلى خمس سنوات[٢]، وجرى التصويت في هذا المؤتمر على الإبقاء على اسم (الاستشراق)، وكانت النتيجة لصالح إلغاء هذه التسمية، والتوافق على تغيير اسم المؤتمر إلى (المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا)، «وهكذا ألغى المستشرقون المعتمدون مصطلح (مستشرق) ورمي في ركام مزبلة التاريخ»[٣]، وذلك لأن كلمة (مستشرق) أصبحت -كما يعترف برنارد لويس- ملوثة، وفقدت قيمتها، وحتى أولئك الذين كانت تطلق كلمة (مستشرق) عليهم قد تخلوا عنها، وقد تولى عدد من المستشرقين كبر هذا التلوث لما ارتكبوه من أخطاء جسيمة في دراساتهم للإسلام والمسلمين[٤].

وقد ظهرت كتابات غربية كثيرة تنتقد الاستشراق القديم، ومنها ما كتبه ريتشارد سوذرن في كتابه (صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى)، وكتاب نورمان دانيان (الإسلام والغرب)، وفي بعض كتابات مونتجمري وات وغيره[٥].

وقد عقد تحت هذا الاسم الجديد مؤتمران، ثم تغير الاسم إلى (المؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية)[٦].

والحاصل: أن الاسم وإن تغير فحقيقة الاستشراق لم تنته أو تتوقف.

أشهر رجاله:

من أخطر المستشرقين الذين كان لهم دور في إثارة الشبهات حول الإسلام ما يلي[٧]:

١- آرثر آربري، وهو إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، وأستاذ بجامعة كمبردج، وهو أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في

---

(١) انظر: أضواء على الاستشراق، د. محمد عبد الفتاح عليان (ص: ٧-٨).

(٢) انظر: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام. د. مازن مطبقاني (ص: ١٢).

(٣) الإسلام والغرب. برنارد لويس (ص: ١٥٧-١٥٨). ترجمة: فؤاد عبد المطلب. نقلًا عن: حول الاستشراق الجديد. عبد الله الوهيبي (ص: ١١).

(٤) انظر: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام (ص: ١٤).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص: ١٤-١٥).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص: ١٢).

(٧) انظر: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، د. محمد البهي (ص: ٢٣) وما بعدها، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم. د. مصطفى السباعي (ص: ٣٨) وما بعدها.

الدراسات الإسلامية واللغوية في إنجلترا، ومن كتبه: الإسلام اليوم، وترجمة القرآن.

٢- ألفرد جيوم، وهو إنجليزي متعصب تغلب على كتاباته وآرائه الروح التنصيرية، تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية لدراسة اللغات الشرقية.

٢- بارون كارا دي فو، وهو فرنسي متعصب جدًّا ضد الإسلام، ساهم في تحرير دائرة المعارف الإسلامية.

٣- هاملتون جب، وهو أحد أبرز المستشرقين الإنجليز، كان عضوا بالمجمع اللغوي في مصر، وله مؤلفات كثيرة، منها: طريق الإسلام، والمذهب المحمدي، والاتجاهات الحديثة في الإسلام، وغيرها.

٤- جولدزيهر، وهو مستشرق مجري يهودي عرف بعدائه للإسلام، ومن أشهر كتبه: مذاهب التفسير الإسلامي.

٥- صمويل زويمر، وهو مستشرق منصر اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، وهو مؤسس مجلة العالم الإسلامي التبشيرية، ومن كتبه: الإسلام تحد لعقيدة، وتقديرا لجهوده أنشأ الأمريكيون وقفا باسمه لدراسة اللاهوت وإعداد المبشرين.

٦- فيليب حتي، وهو لبناني مسيحي كان أستاذا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا، ويعمل مستشارا غير رسمي لوزارة الخارجية الأمريكية في شؤون الشرق الأوسط، وهو من ألد أعداء الإسلام، وأحد محرري دائرة المعارف الإسلامية، ومن كتبه: تاريخ العرب، وتاريخ سوريا، وأصل الدروز وديانتهم.

٧- أرند جان فِنْسِنْك، وهو مستشرق هولندي، وعدو لدود للإسلام ونبيه، يزعم أن النبي ﷺ ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية التي سبقته، ومن كتبه: عقيدة الإسلام.

٨- لوي ماسينيون، وهو أكبر مستشرقي فرنسا، وكان يعمل مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية، والراعي للجمعيات التبشيرية في مصر، وتخصص في الفلسفة والتصوف، ومن كتبه: الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام.

٩- ماكدونالد، وهو مستشرق أمريكي متعصب ضد الإسلام والمسلمين، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة، وهو من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية، ومن كتبه: تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام، والموقف الديني والحياة في الإسلام.

١٠- مرجليوث، وهو إنجليزي متعصب ضد الإسلام، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، ومن كتبه: التطورات المبكرة في الإسلام، ومحمد ومطلع الإسلام، والجامعة الإسلامية.

١١- نيكلسون، وهو أحد أبرز مستشرقي إنجلترا، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، تخصص في التصوف والفلسفة، ومن كتبه: متصوفو الإسلام، والتاريخ الأدبي للعرب.

١٢- هنري لامنس اليسوعي، مستشرق فرنسي، مفرط في العداء للإسلام والمسلمين، ومن كتبه: الإسلام، والطائف.

١٣- يوسف شاخت، مستشرق ألماني متعصب، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله، ومن أشهر كتبه: أصول الفقه الإسلامي.

أهداف الاستشراق:

الهدف التنصيري:

سبق في نشأة الاستشراق أن الدافع الأساسي لظهور الاستشراق هو نشر المسيحية، كما صرح بذلك رودي بارت ورودنسون، وجاء في المذكرة التي رفعها جمع من الأحبار سنة ١٩٢٩م إلى المسؤولين في جامعة كمبردج، والتي طلبوا فيها إنشاء كرسي للدراسات العربية الإسلامية ما يلي: «يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وتوسيع حدود الكنيسة -إذا شاء الله- في الوقت المناسب، ونشر هدي الدين المسيحي بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة»[١]، يقصدون المسلمين!

وكان من أهدافهم أيضًا الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام، فقد عمل المستشرقون على الطعن في الإسلام، وتشويه محاسنه لإقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم.

الهدف الاستعماري:

وظف الاستشراق نفسه في الغالب لخدمة الاستعمار، وقد اعترف عدد من المستشرقين بالعلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار الذي تسلط على كثير من الدول الإسلامية منذ مطلع القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، حتى عن أحد عتاة المستشرقين وهو برنارد لويس اعترف بهذه الحقيقة قائلا: «إنها لحقيقة واقعة أن بعض المستشرقين قد خدموا الهيمنة الإمبريالية، واستفادوا منها بشكل مباشر أو غير مباشر»[٢].

وما من دولة استعمارية غربية إلا ولها مؤسسات استشراقية، وكثير من المستشرقين كانوا وما زالوا يعملون مستشارين لحكوماتهم في التخطيط لسياستها الاستعمارية[٣].

كما عملوا على تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية فكريًا بتمجيد القيم الغربية المادية

---

(١) المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد (ص: ١٤).

(٢) حول الاستشراق الجديد، عبد الله الوهيبي (ص: ١٢٩).

(٣) انظر: من افتراءات المستشرقين على أصول العقائد في الإسلام، د. عبد المنعم فؤاد (ص: ٢٣-٢٤).

الرأسمالية والنصرانية، وتشويه قيم الإسلام ومبادئه، وإضعاف الروح الإسلامية عند المسلمين بتشكيكهم في دينهم، وبث الفرقة بينهم، ومحاولة تنصيرهم، يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: «لم نبحث في الشرق إلا عن منفعتنا، لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم، فدمرنا فلسفاتهم ولغاتهم وآدابهم، والشرقيون ليسوا من السذج حتى يعتقدوا بكرم أخلاقنا، وقد تحققوا بالشواهد أننا نرغب في أن نبعثهم ضعفاء»[١]، ويكشف الأستاذ إبراهيم خليل أحمد عن هدف الاستشراق فيقول: «فهدف التبشير والاستشراق هو تمكين الأوروبي المسيحي من البلاد الإسلامية، كما يبدو واضحًا من أقوال زعماء التبشير والاستشراق، وكما لمسته في حياتي الأولى»[٢] يعني قبل دخوله الإسلام.

الهدف العلمي:

والمراد به: دراسة الإسلام بغرض العلم والمعرفة مع التزام الموضوعية، واتباع المنهجية العلمية.

ومما يدل على هذا الهدف ما جاء في مقدمة كتاب (القواعد العربية) الذي نشره جيوم بوستل (١٥١٠-١٥٨١م)، وهو أول كتاب في قواعد اللغة العربية الفصحى ينشر في الغرب، وقد ورد في مقدمة الكتاب شرح للأسباب التي من أجلها على الأوروبي أن يتعلم العربية وهي:

١- كتب الطب العربية هي أفضل المتوفر من الكتب.

٢- اللغة العربية مفتاح أدب غني.

٣- تتيح اللغة العربية لمن يتكلمها أن يتصل بأكبر عدد من الشعوب.

وفي القرن السادس عشر أمر ملك فرنسا بجمع المخطوطات الشرقية في القسطنطينية للاستفادة منها، وهذا اللون من الاستشراق دافعه علمي، وهدفه سلمي، وهو اتجاه طبيعي في حياة الأمم، ولم يكن وليد الخطة الاستشراقية العدائية ضد الأمة المسلمة.

وكان الهدف العلمي للاستشراق سببًا لإسلام طائفة من الغربيين[٣].

---

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص: ١٨٢).

(٢) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم خليل أحمد (ص: ٣٩).

(٣) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب (ص: ١٨٠-١٨١).

المبحث الثاني:
وسائل الاستشراق المعاصر ومراكزه

وسائل الاستشراق المعاصر:

«لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها»[١]، ومن هذه الوسائل:

١- وسائل الاتصال العالمي:

«لقد ساهمت موجة الاتصال العالمي، وألوان شبكات التواصل الجماهيري في انتشار المضامين الاستشراقية الجديدة تجاه الواقع الإسلامي المعاصر بتجلياته كافة، والتي صنعتها المؤسسات الأكاديمية الغربية، ومراكز الأبحاث، وروجتها وسائل الإعلام الدولي، وساندتها السياسات العالمية، ودافعت عنها للأسف شريحة واسعة من كتَّابنا المستغربين»[٢].

٢- الجمعيات الاستشراقية:

ومن هذه الجمعيات:

(أ) في عام ١٧٨٧م أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين وأصدروا (المجلة الآسيوية).

(ب) وفي لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣م، وقبل الملِك أن يكون ولي أمرها، وأصدرت (مجلة الجمعية الآسيوية).

(ج) وفي عام ١٨٤٢م أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم (الجمعية الشرقية الأمريكية)[٣].

٣- المجلات:

أصدر المستشرقون الألمان في عام ١٨٤٢م مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا[٤].

ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون في هذا القرن (مجلة جمعية الدراسات الشرقية) وكانت تصدر في مدينة جامبير بولاية أهايو، ولها فروع في لندن وباريس وليبزج، وتورنتو في كندا، وطابعها العام طابع الاستشراق السياسي وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض

(١) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم (ص: ٣٣-٣٤).

(٢) حول الاستشراق الجديد (ص: ٨).

(٣) انظر: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام (ص: ١٣).

(٤) انظر: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام (ص: ١٣).

المشكلات الدينية، وخاصة في باب الكتب.

ويصدر المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر (مجلة شؤون الشرق الأوسط)، وكذلك (مجلة الشرق الأوسط)، وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسي كذلك.

وأخطر المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون هي مجلة (العالم الإسلامي)، وقد أنشأها صمويل زويمر في سنة ١٩١١م، وطابع هذه المجلة تبشيري سافر.

وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة (العالم الإسلامي) في روحها واتجاهها العدائي التبشيري واسمها أيضًا (العالم الإسلامي)[١].

٤- كراسي اللغات الشرقية:

«لقد أنشئت في الغرب منذ العصر الوسيط مئات المدارس والمعاهد وكراسي اللغات الشرقية، ثم تضاعف عددها منذ القرن السابع عشر عندما بدأت تقوم مثيلاتها على غرارها في الشرق، ووضعت اللغات الشرقية، ولا سيما العربية، في مصاف اليونانية واللاتينية، وأصبح لها من الشأن في الجامعات باللغات الأخرى، أساتذة ومناهج وشهادات، وعلَّمت معاهد الإرساليات كاثوليكية كانت أو أرثوذكسية أو بروتستانتية أو علمانية، في الشرق الأوسط وشمالي أفريقيا، ما علمت أبناء قومها ومللها ونحلها في الغرب»[٢].

وقد حل محلها أقسام الدراسات الشرقية والعربية في جامعات أوروبا وأمريكا، كما سيأتي.

٥- التدريس في الجامعات العربية:

يقول طه حسين: «قد كان في درس الأدب بمصر مذهبان: أحدهما: مذهب القدماء... والآخر: مذهب الأوربيين الذي استحدثته الجامعة المصرية بفضل الأستاذ نللينو ومن خلفه من المستشرقين، والذي كان ينحو في درس الآداب العربية نحو النقَّاد ومؤرخي الآداب حين يعرضون لدرس الآداب الأوربية القديمة»[٣].

٦- المؤتمرات:

«في الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضارته وما تزال تعقد حتى

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ١٣-١٤).

(٢) المستشرقون. نجيب العقيقي (٣/ ١١٢٢).

(٣) في الأدب الجاهلي. طه حسين (ص: ٧).

هذه الأيام»[١].

«ولقد بلغت مؤتمرات المستشرقين الدولية (١٨٧٣ - ١٩٦٤) ٢٦ مؤتمرًا، ضم الواحد منها مئات العلماء من أعلام المستشرقين والعرب والمسلمين والشرقيين»[٢].

وتحظى هذه المؤتمرات بدعم كبير من الحكومات الغربية، ومن مظاهر ذلك رعاية بعض رؤساء الدول لها، فقد حضر رئيس جمهورية المجر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية، وألقى كلمة في الجلسة الافتتاحية، وتبنت وزارة الخارجية السويدية عقد مؤتمر كبير لبحث قضية المسلمين في أوروبا، كما نشرت الصحف أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية عقدت ندوة مفتوحة حول الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي، ودعت عددا من الباحثين المختصين في هذا المجال للحضور والمشاركة[٣].

ويشارك في هذه المؤتمرات:

١- القسس الذين يحترفون التبشير.

٢- السياسيون الذين يعملون في وزارات الخارجية لبعض الدول الغربية.

٣- الغربيون الذين قضوا وقتا كبيرا في بلاد المسلمين وعلى معرفة بأحوالها.

٤- بعض أبناء المسلمين ممن يدعو إلى الموائمة بين الإسلام والحضارة الغربية[٤].

٧- التأليف:

من وسائل المستشرقين في ترويج آرائهم «تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله ﷺ وقرآنه، وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمَّد في نقل النصوص أو بترها، وفي فهم الوقائع التاريخية، والاستنتاج منها»[٥].

وقد «تعددت مجالات التأليف في الدراسات العربية والإسلامية لدى المستشرقين، وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف -منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين) ستين ألف كتاب، لقد ألفوا في التاريخ العربي الإسلامي، وفي علم الكلام، وفي الشريعة، وفي الفلسفة الإسلامية، والتصوف الإسلامي، وفي تاريخ أدب اللغة العربية، وفي الدراسات المتعلقة بالقرآن والسنة النبوية، وفي النحو العربي، وفقه اللغة العربية، ولم يتركوا مجالا من مجالات العلوم

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم (ص: ١٩).

(٢) المستشرقون. نجيب العقيقي (٣/ ١١٤٨).

(٣) انظر: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام (ص: ١٧٤).

(٤) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين (ص: ١٢٥-١٢٧).

(٥) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم (ص: ٣٤).

العربية والإسلامية إلا وألفوا فيه»[١].

وقد ذكر د. أكرم ضياء العمري أنه يصدر في أوروبا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، وأن ستين ألف كتاب قد صدر بين ١٨٠٠-١٩٥٠م، وأن في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها يوجد قرابة خمسين مركزا مختصا بالعالم الإسلامي، وأن المستشرقين يصدرون نحو ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات، وأنهم عقدوا خلال مائة سنة ثلاثين مؤتمرا، وبعض هذه المؤتمرات مثل مؤتمر أوكسفورد ضم قرابة تسعمائة باحث[٢].

مراكز الاستشراق المعاصر:

من أبرز مراكز البحوث والدراسات الاستشراقية المعاصرة ما يلي[٣]:

١- جامعة برنستون:

أسس المؤرخ فيليب حتي سنة ١٩٢٧م برنامج دراسات الشرق الأوسط في هذه الجامعة بدعم من الرئيس الأمريكي ويلسون، وتضم هذه الجامعة ثاني أكبر مجموعة للمخطوطات العربية، وبها مكتبة كبيرة تضم قسمًا كبيرًا للكتب العربية والاستشراقية، وكانت تعقد بها ندوة كل أربعاء يحضرها طلاب الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس لدراسة ومناقشة قضايا الشرق الأوسط.

٢- معهد الشرق الأوسط:

تأسس هذا المعهد سنة ١٩٤٦م بموجب مرسوم حكومي أمريكي، وهو مرتبط بجامعة جونز هوبكنز، وقد أنشئ بهدف مساعدة الأمريكيين في فهم الشرق الأوسط، وفي عام ١٩٤٩م أصبح المعهد هيئة منفصلة، وبدأ في عام ١٩٥٥م مشروعه في نشر الكتب، ومن أنشطته: إصدار مجلة الشرق الأوسط، وعقد مؤتمر سنوي لمناقشة قضايا الشرق الأوسط، وترتيب المحاضرات والدورات لتثقيف مواطني أمريكا حول الشرق الأوسط.

٣- معهد بروكنجز:

وهو مؤسسة خاصة غير ربحية تهتم بالتعليم والبحث والنشر في مجالات الاقتصاد والسياسة الخارجية والعلوم الاجتماعية، ومن أهدافه: تحليل المشكلات السياسية العامة وزيادة الوعي بها، ويضم المعهد ثلاث برامج بحثية، وهي: الدراسات الاقتصادية، والدراسات الحكومية، ودراسات

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (ص: ٦٧-٦٨).

(٢) موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري (ص: ٥٦).

(٣) انظر: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام (ص: ٣٣) وما بعدها.

السياسة الخارجية.

٤- معهد الولايات المتحدة للسلام:

وهو معهد فيدرالي أنشئ عام ١٩٨٤م ويتم تمويله من قبل الكونجرس، ويهدف إلى تقوية قدرات الأمة على الحلول السلمية للمشكلات الدولية وتحقيق سلام عادل، ومن الموضوعات التي يهتم بها دراسة الحركات الإسلامية، وقد كلف المعهد الدكتور سعد الدين إبراهيم -الأستاذ بقسم الاجتماع بالجامعة الأمريكية بالقاهرة- بإعداد بحص حول الحركات الأصولية في العالم الإسلامي، كما أصدر المعهد دراسة بعنوان: (الحركات الإسلامية والسياسة الخارجية الأمريكية).

٥- مؤسسة راند:

وهي مؤسسة تابعة لشركة دوجلاس المتخصصة في صناعة الطائرات، ومهتمة بالأهداف طويلة المدى، والحصول على المعلومات الاستخباراتية، ومعلومات التخطيط من سلاح الجو الأمريكي، ويتكون مجلس أمناء مؤسسة راند من شخصيات علمية وسياسية وإعلامية، ورجال أعمال وأساتذة جامعات، ولها اهتمام بالحركات الإسلامية الموجودة في العالم العربي.

المبحث الثالث:

نماذج من افتراءات المستشرقين والرد عليهم

بحث المستشرقون في كل جوانب الدراسات الإسلامية والعربية، «وخلال الفترة ما بين النصف الثاني من القرن العشرين كان الاستشراق في ذروته؛ لأنه كان مدعوما من قبل الحكومات الغربية التي كانت توفر له الأسباب المعينة على دراسة العلوم الإسلامية حتى يتمكن الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، فبحث هؤلاء في كل ما يتصل بالإسلام من تاريخ وفقه وتفسير وحديث وأدب وحضارة حتى غزت تلك البحوث العالم الإسلامي في مؤسساته الفكرية والتربوية ومناهج التعليم»[١].

لقد كانت أكثر افتراءات المبشرين موجهة إلى أصلي الإسلام: القرآن الكريم والسنة المطهرة، ثم تتابعت شبهاتهم حول السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وحرصوا من وراء ذلك كله على تشويه الإسلام وحضارته العريقة.

افتراءاتهم على القرآن:

فمن افتراءاتهم حول القرآن العظيم دعواهم بأن القرآن ليس بمنزل من عند الله، فزعموا أن القرآن مأخوذ من اليهودية والنصرانية، يقول جولدتسيهر: «تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرًا عميقًا»[٢].

ومن جملة افتراءاتهم حول القرآن أن القرآن تكرار لقصص العهد القديم والجديد، يقول جولدتسيهر: «لقد أفاد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم»[٣].

ودعواهم أن النبي ﷺ جمع القرآن بتأثير من السابقين من أهل الديانات السابقة من الشبه الباطلة التي افتراها المشركون قديمًا، قال سبحانه في حكاية هذه الشبهة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) الرد على شبهات المستشرقين ومن شايعهم من المعاصرين حول السنة. أحمد محمد بوقرين (ص: ٢). منشور على شبكة الإنترنت.

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدتسيهر (ص: ١٢).

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام (ص: ١٥).

[النحل: ٢٤]، وقال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [الفرقان: ٤، ٥].

وهذه الشبه يجمعها دعواهم التلقي عن السابقين، وقد بين الله بطلان هذه الدعوى من وجوه عديدة، منها:

الأول: قوله سبحانه: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الفرقان: ٦] قال الشوكاني: «أي: ليس ذلك مما يفترى ويفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأخبار الأولين، بل هو أمر سماوي أنزله الذي يعلم كل شيء، لا يغيب عنه شيء من الأشياء، فلهذا عجزتم عن معارضته ولم تأتوا بسورة منه، وخص السر؛ للإشارة إلى انطواء ما أنزله سبحانه على أسرار بديعة لا تبلغ إليها عقول البشر، والسر: الغيب، أي: يعلم الغيب الكائن فيهما»[(١)].

الثاني: قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾ [النحل: ١٠٣]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «قالوا: إنما يعلِّم محمدًا عبدُ بن الحضرمي وهو صاحب الكتب، فقال الله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾»[(٢)].

وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلًا منهم: إنما يعلِّم محمدًا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله يقول الله تعالى ذكره مكذبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون؟ إن لسان الذي تلحدون إليه، يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدًا أعجمي، وذلك أنهم فيما ذكر كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمدًا هذا القرآن عبد رومي، فلذلك قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾ [النحل: ١٠٣] يقول: وهذا القرآن لسان عربي مبين»[(٣)].

الثالث: ومما يبطل هذه الدعاوى أن القرآن العظيم حوى من قصص السابقين ما لم يأت في كتاب آخر، «مثل ما أخبرهم عن قصة آدم، وسجود الملائكة له، وتزيين إبليس له حتى أكل من الشجرة، وهبط هو وزوجه، وأخبرهم عن قصة نوح ومكثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب، مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده، وأخبرهم عن قصة الخليل، وما جرى له مع قومه، وإلقائه في النار، وذبح ولده، ومجيء الملائكة إليه في

---

(١) فتح القدير، الشوكاني (٤/ ٧٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٩)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٣٦٤).

صورة ضيفان، وتبشيره بإسحاق ويعقوب، وذهاب الملائكة إلى لوط، وما جرى للوط مع قومه، وإهلاك الله مدائن قوم لوط، وقصة إسرائيل مع بنيه: كقصة يوسف، وما جرى له بمصر، وقصة موسى مع فرعون، وتكليم الله إياه مرة بعد مرة، وآياته كالعصا، واليد البيضاء، والقمل، والضفادع، والدم، وفلق البحر، وتظليل الغمام على بني إسرائيل، وإطعامهم المن والسلوى، وانفجار الماء من الحجر اثنتي عشرة عينا لسقيهم وعبادتهم العجل، وقتل بعضهم بعضا لما تاب الله عليهم، وقصة البقرة، ونتق الجبل فوقهم، وقصة داود، وقتله لجالوت، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم، وقصة الذي أماته الله مائة عام، ثم بعثه، وغير ذلك من أحوال بني إسرائيل. إلى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى، وعيسى ابن مريم، وأحوال المسيح وآياته، ودعائه لقومه، والآيات التي بعث بها، وتفاصيل ذلك، وذكر قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة بأحسن بيان وأتم معرفة، مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره إلى أن ادعى النبوة: أنه لم يتعلم هذا من بشر، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك، ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك، لا يهودي ولا نصراني، ولا غيرهم. فكان هذا من أعظم الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله، ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلا نبي، أو من أخذ عن نبي، فإذا لم يكن هو أخذه عن نبي، تعين أن يكون نبيًّا»[1].

الرابع: ما كان رسول الله ﷺ ولا قومه يعلمون بخبر الأمم السابقة من قبل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩]، قال الرازي: «والمعنى: إنك ما كنت تعرف هذه القصة، بل قومك ما كانوا يعرفونها أيضًا، ونظيره أن تقول لإنسان لا تعرف هذه المسألة لا أنت ولا أهل بلدك. فإن قيل: أليس قد كانت قصة طوفان نوح -عليه السلام- مشهورة عند أهل العلم؟ قلنا: تلك القصة بحسب الإجمال كانت مشهورة، أما التفاصيل المذكورة فما كانت معلومة»[2].

الخامس: أن القرآن الكريم قد ذم اليهود والنصارى وأبطل دينهم وبين تحريفهم لكتبهم، وخالف النبي ﷺ كثيرًا من أحكامهم وشرائعهم حتى صارت مخالفتهم أصلًا في الشريعة، فكيف يقال بأن القرآن مأخوذ عنهم؟!

السادس: مما ينقض هذه الدعوى أيضا ويبين بطلانها أنه لم يثبت تاريخيا وجود أي ترجمة عربية للعهد القديم والجديد، وأن أول ترجمة عربية كانت في القرن الخامس الهجري، وهذا ما انتهت

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٣٢٣-٣٢٥).

(٢) تفسير الرازي (١٨/ ٣٦١).

إليه أحدث دائرة للمعارف الدينية من خلال تتبعها الدقيق لتاريخ أقدم تراجم كتابهم المقدس[١].

افتراءاتهم حول السنة:

من شبهات المستشرقين حول السنة زعمهم أن الحديث بقي مائتي سنة غير مكتوب، ثم بعد هذه المدة الطويلة قرر المحدثون جمع الحديث، وقد ردد عدد من المستشرقين هذه الشبهة منهم جولدتسيهر وشبرنجر ودوزي، وقد أراد المستشرقون من وراء هذه المزاعم إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور، والتشكيك في صحة الحديث، واتهامه بالاختلاق والوضع، والرد على هذه الشبهة من عدة وجوه:

أولًا: أن تدوين الحديث قد بدأ منذ العهد الأول في عصر النبي ﷺ، وشمل قسمًا كبيرًا من الحديث، وما يجده المطالع للكتب المؤلفة في رواة الحديث من نصوص تاريخية مبثوثة في تراجم هؤلاء الرواة، تثبت كتابتهم للحديث بصورة واسعة جدًّا، تدل على انتشار التدوين وكثرته البالغة، ومن ذلك: حديث أبي هريرة ﷺ قال: «ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب، والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»[٣].

وعن رافع بن خديج ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء فنكتبها، فقال: «اكتبوا ولا حرج»[٤].

ثانيًا: أن تصنيف الحديث على الأبواب في المصنفات والجوامع مرحلة متطورة في كتابة الحديث، وقد تم ذلك قبل سنة ٢٠٠هـ بكثير، فتم في أوائل القرن الثاني بين سنة ١٢٠-١٣٠هـ، فهناك جملة من هذه الكتب مات مصنفوها في منتصف المائة الثانية، مثل: جامع معمر بن راشد (ت١٥٤هـ)، وجامع سفيان الثوري (ت١٦١هـ)، وهشام بن حسان (ت١٤٨هـ)، وابن جريج (ت١٥٠هـ)، وغيرها كثير.

ثالثًا: أن علماء الحديث وضعوا شروطًا لقبول الحديث تكفل نقله عبر الأجيال بأمانة وضبط،

---

(١) انظر: ماذا يريد الغرب من القرآن؟ د. عبد الراضي محمد (ص: ١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح١١٣).

(٣) أخرجه أحمد (١١/ ٥٧) وصححه محققوه، وأبو داود (ح٣٦٤٦).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٧٦)، وقال الهيثمي: «فيه أبو مدرك، روى عن رفاعة بن رافع، وعنه بقية. ولم أر من ذكره» (مجمع الزوائد ١/ ١٥١).

حتى يُؤدَّى كما سُمِع من رسول الله ﷺ، فهناك شروط اشترطوها في الراوي تضمن فيه غاية الصدق والعدالة والأمانة مع الإدراك التام لتصرفاته وتحمل المسئولية، كما أنها تضمن فيه قوة الحفظ والضبط بصدره أو بكتابه أو بهما معا، مما يمكنه من استحضار الحديث وأدائه كما سمعه، ويتضح ذلك من الشروط التي اشترطها المحدثون للصحيح والحسن والتي تكفل ثقة الرواة، ثم سلامة تناقل الحديث بين حلقات الإسناد، وسلامته من القوادح الظاهرة والخفية، ودقة تطبيق المحدثين لهذه الشروط والقواعد في الحكم على الحديث بالضعف لمجرد فقد دليل على صحته، من غير أن ينتظروا قيام دليل مضاد له.

رابعًا: أن البحث عن الإسناد لم ينتظر مائتي سنة كما زعم هؤلاء المستشرقون، بل فتش الصحابة عن الإسناد منذ العهد الأول حين وقعت الفتنة سنة ٣٥ هـ لصيانة الحديث من الدس، وضرب المسلمون للعالم المثل الفريد في التفتيش عن الأسانيد، حيث رحلوا إلى شتى الآفاق بحثا عنها واختبارا لرواة الحديث[١].

افتراءاتهم على الإسلام:

دأب المستشرقون على وصف الإسلام بأنه دين العنف والتعطش لسفك الدماء وإزهاق الأرواح[٢]، والرد على هذا الافتراء من وجوه:

أولًا: دين الإسلام قائم على السِّلْم والسلام، ولا يعرف الإسلام العنف قط لا في تشريعاته ولا في أحكامه، ويحرِّم الإسلام الاعتداء والعدوان على غير المسلمين، ويقرر حرمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ثانيًا: القتال في الإسلام إنما يكون لرد المعتدين المحاربين، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال جل وعلا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

ثالثًا: يحرم الإسلام في حال القتال قتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان، وهدم البنيان وقطع الشجر[٣].

ومن أجمع الوصايا في ذلك ما جاء عن بريدة بن الحصيب ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا

---

(١) انظر: الرد على المستشرقين ومن شايعهم، أحمد بوقرين (ص: ١٠-١٢).

(٢) انظر: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، العقاد (ص: ١٦٦).

(٣) انظر: افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد، د. عبد العظيم المطعني (ص: ٩٩-١٠١).

أمَّر أميرًا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرتَ أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»[1].

وهكذا كان الخلفاء الراشدون من بعده ﷺ، فهذا أبو بكر ﷺ حين أرسل جيش أسامة ﷺ فأوصاه قائلًا: «إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيًّا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة، ولا بعيرًا، إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلًا، ولا تغرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٧٣١).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٣/ ٦٣٥). والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٢).

المبحث الرابع:
مفهوم التنصير[١] وصلته بالاستعمار وعلاقته بالاستشراق

تعريفه:

«التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب»[٢].

صلة التنصير بالاستعمار:

صلة التنصير بالاستعمار صلة وثيقة، فالتنصير قرين الاستعمار ووسيلته وأداته، يقول الأستاذ إبراهيم خليل أحمد -الذي كان من زعماء التبشير قبل إسلامه-: «فهدف التبشير والاستشراق هو تمكين الأوروبي المسيحي من البلاد الإسلامية، كما يبدو واضحًا من أقوال زعماء التبشير والاستشراق، وكما لمسته في حياتي الأولى»[٣]، يعني قبل دخوله الإسلام.

وجاء في كتاب (التبشير والاستعمار في البلاد العربية): «ولا ريب في أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير إنما هو القضاء على الأديان غير النصرانية توصلًا إلى استعباد أتباعها، إن المعركة بين المبشرين وبين الأديان غير النصرانية ليست معركة دين، بل هي معركة في سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية»[٤].

ويثبت ذلك ويشهد له تصريحات المنصرين أنفسهم، يقول لورنس براون أحد أعلام المنصرين:

---

(١) يسميه دعاة النصرانية بهذا الاسم (التبشير)، والمتعين أن يسمى بـ(التنصير)؛ لأن الأصل أن التبشير إنما يكون بالخير. ودعوتهم شر وكفر. وقد يستعمل لفظ (التبشير) -عند بعض العلماء- في الشر. قال الحريري: «وعند أكثرهم أن لفظة (بشَّرته) لا تستعمل إلا في الإخبار بالخير، وليس كذلك. بل قد تستعمل في الإخبار بالشر. كما قال سبحانه: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]» (درة الغواص في أوهام الخواص، ص: ١٦٧)، وقال الرازي: «التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور إلا أنه بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثر في تغير بشرة الوجه، ومعلوم أن السرور كما يوجب تغير البشرة فكذلك الحزن يوجبه. فوجب أن يكون لفظة التبشير حقيقة في القسمين» (تفسير الرازي ٢٠/ ٢٢٥).

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٦٥).

(٣) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي. إبراهيم خليل أحمد (ص: ٣٩).

(٤) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ص: ٤٥).

«الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي»[١]، وجاء في خطاب القسيس زويمر الذي ألقاه في مؤتمر القدس التبشيري، إذ قال فيه للمؤتمرين بعد عدد من التوصيات: «وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية»[٢].

كما يشهد أن التنصير وسيلة المستعمر وسنده الواقع العملي للاستعمار، «فإيطاليا مثلًا تمكنت من فرض سياستها الاستعمارية على الدول التي احتلتها بمساعدة الرهبان، والمنصرين، وكذلك فإن الاستعمار الفرنسي قام على أكتاف اليسوعيين الذين امتلأت قلوبهم حقدًا على الإسلام والمسلمين، وقد مكنت لهم فرنسا عمليات التنصير، وأما بالنسبة للاستعمار البريطاني فقد تألفت في بريطانيا عام ١٩٠٧م، لجنة من كبار المفكرين البريطانيين والفرنسيين، وقد دار موضوع البحث فيها حول إيجاد أهم الوسائل التي تحفظ وجود الاستعمار البريطاني في الشرق، أو تؤجل نهايته، ومن أهم ما توصلت إليه المناقشات في تلك اللجنة أن الخطورة تكمن في البلاد الإسلامية إذا تم توحيدها تحت عقيدة واحدة، وإذا نالت تحررها، وإذا تم نشر الثقافة بين أهلها»[٣].

علاقة التنصير بالاستشراق:

التنصير دعوة إلى النصرانية، والاستشراق بحث في علوم الشرق وآدابه، ولا سيما علوم الإسلام، لكن العلاقة مع ذلك بينهما قوية، بل إن «الاستشراق في بداية أمره لم يكن سوى أداة من أدوات التنصير»[٤]، يقول المستشرق الألماني يوهان فوك: «كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية»[٥].

وأول المستشرقين وهو جرير دبجربر دي أورالياك (٩٣٨-١٠٠٣م) كان من الرهبان، وقد

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ص: ١٨٤).

(٢) أجنحة المكر الثلاثة (ص: ١١).

(٣) التنصير في فلسطين في العصر الحديث. أمل عاطف الخضيري (ص: ١٠٩-١١٠). رسالة ماجستير، كلية أصول الدين. الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٤) حول الاستشراق الجديد، عبد الله الوهيبي (ص: ٢٠).

(٥) تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك (ص: ١٦)، ترجمة: عمر لطفي العالم.

انتخب حبرًا أعظم باسم سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م) فكان أول بابا للكنيسة الفرنسية[١].

وقد «بدأ الاستشراق بقانون كنسي حدد مهمة المؤسسة الاستشراقية في التمهيد والإعداد لارتداد العرب إلى المسيحية»[٢]، وقد جاء في المذكرة التي رفعها جمع من الأحبار إلى المسؤولين في جامعة كامبردج يطالبون فيه بإنشاء كرسي للدراسات العربية الإسلامية، وأشاروا إلى أن من أهدافه نشر الدين المسيحي بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلامات الجهالة يعنون المسلمين، كما سبق نقله.

وقد عقد نجيب العقيقي فصلًا مستقلًّا في موسوعته عن المستشرقين بعنوان: (المستشرقون الرهبان)، قال في أوله: «كان الرهبان في طليعة المستشرقين»[٣]، وقد بلغ عددهم ١٣٢ مستشرقًا راهبًا، ٧٥٪ منهم عاشوا في القرن العشرين[٤].

(١) انظر: المستشرقون. نجيب العقيقي (١/ ١٢٠).

(٢) ماذا يريد الغرب من القرآن؟ (ص: ١٣٩).

(٣) انظر: المستشرقون (٣/ ١٠٤٤).

(٤) انظر: الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية، د. علي بن إبراهيم النملة، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٣، السنة ٣ (ص: ٢٣٧-٢٧٣).

المبحث الخامس:
تاريخ التنصير وأهدافه

تاريخ التنصير:

نشأ التنصير في القرن الثالث عشر الميلادي، بعد فشل الحروب الصليبية، يقول أحمد ديدات: «كان ميلاد التبشير مع فشل الحروب الصليبية تنفيذًا لوصية قائد الحملة الثامنة لويس التاسع، حيث نبه إلى قوة العقيدة الإسلامية»(١).

ففي بداية من القرن الثالث عشر آمنت الكنيسة بعدم جدوى الحملات الصليبية المسلحة لفرض المسيحية بالقوة، فاتجهت نحو البعثات التنصيرية لنشر المسيحية بين المسلمين، وبدأت الجهود التنصيرية في النصف الأول من القرن الثالث عشر، فأشار لويس التاسع على البابا أنوسنت الرابع بإنشاء جمعية التنصير الأولى سنة ١٢٥٣م، وقد ضمت هذه الجمعية عددًا كبيرًا من المنصرين(٢).

وقد نادى كثير من مفكري أوروبا في العصور الوسطى بضرورة تبني الحركة الصليبية السلمية لنشر المسيحية، ومن أشهرهم القديس توما الأكويني في كتابه (خلاصة ضد الأعاجم) الذي كتبه ما بين سنتي ١٢٦١ و١٢٦٤م، ثم نادى بها أيضًا روجر بيكون الذي قال: «إن المسيحيين قلة، وغير المسيحيين أكثر، وكسب غير المسيحيين ينبغي أن يكون بالوعظ [أي: التنصير] وليس بالحرب الصليبية»(٣).

وأول من تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها هو الأسباني ريموند لول (١٢٣٥-١٣١٥م)، فتعلم اللغة العربية، وجال في بلاد الإسلام، وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة(٤)، كما أقنع ملك ميورقة المسيحي بإنشاء كلية الثالوث المقدس سنة ١٢٧٦م، وكان أهم أهدافها إعداد مجموعة من المنصرين للقيام بمهمتهم، وكانت أهم وسيلة هي تعليمهم اللغة العربية، وبعد

---

(١) حوار مع مبشر. أحمد ديدات (ص: ١١)، ترجمة: علي عثمان.

(٢) انظر: الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور (٢/ ٤٦٤-٤٦٥).

(٣) مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، د. ممدوح حسين (ص: ١٧).

(٤) انظر: الغارة على العالم الإسلامي (ص: ٢٩-٣٠).

أن قضى ريموند عشر سنوات في إعدادهم أوفدهم إلى شمال أفريقية لنشر المسيحية، وبفضل جهوده أيضًا قرر مجمع فيينا سنة ١٣١١م إنشاء ستة معاهد لتدريس اللغات الشرقية في أوروبا لغرض إعداد المنصرين[١].

أهداف التنصير:

يمكن تلخيص أهم أهداف التنصير فيما يلي:

١- إضعاف صلة المسلمين بدينهم، وهذا ما صرح به صموئيل زويمر في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م حين قال: «مهمة التبشير التي ندَبَتْكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية [يعني الإسلامية] ليست إدخال المسلمين في المسيحية؛ فإن في هذا هداية لهم وتكريمًا، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها»[٢]، ويقول أيضًا: «أنا لا أهتم بالمسلم كإنسان، إنه لا يستحق شرف الانتساب إلى المسيح، فلنغرقه بالشهوات، ولنطلق لغرائزه العنان حتى يصبح مسخًا لا يصلح لأي شيء»[٣].

٢- السعي إلى تفريق العالم الإسلامي وتمزيق وحدته: يقول القس سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر (كذا)، وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية، ولذلك كان التبشير عاملًا مهما في كسر شوكة هذه الحركة، ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصري القوة والتمركز اللذين هما فيها»[٤].

٣- الثأر الصليبي، يقول د. محمد البهي: «وهناك بجانب تفتيت وحدة المسلمين -كهدف للمبشرين- هدف آخر، هو التنفيس عن الصليبية، وعن الانهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان أنفقوهما في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس، وانتزاعه من أيدي المسلمين»[٥]، ولهذا قال اليسوعيون: «ألم نكن نحن ورثة الصليبيين؟! أو لم نرجع تحت راية

---

(١) انظر: الحركة الصليبية (٢/ ٤٦٥).

(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب (ص: ١٦٠-١٦١).

(٣) الزحف إلى مكة. د. عبد الودود شلبي (ص: ٩٦).

(٤) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ص: ٣٧).

(٥) المبشرون والمستشرقون. د. محمد البهي (ص: ٧).

الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي، ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة، مملكة المسيح؟!»[١].

٤- نشر الأفكار والمذاهب المعادية للإسلام، يقول شاتليه: «لا شك أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، فبِنَشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يتحكَّك الإسلام بصحف أوروبا وتتمهَّد السبل لتقدُّم إسلامي مادي، وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها»[٢].

٥- نشر النصرانية في العالم الإسلامي: يقول المنصِّر روبرت ماكس: «لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقامُ قداس الأحد في المدينة»[٣]، وقد أفصح الدكتور هاريسون عن هذا الهدف بوضوح في تحديده مهمة الإرسالية العربية الأمريكية بدول الخليج في قوله: «إننا نريدهم أن يصبحوا مسيحيين»[٤]، ويقول وليم جيفورد بالكراف: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه»[٥].

٦- الحيلولة دون دخول النصارى وغيرهم من الأمم الأخرى في الإسلام[٦].

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ص: ١١٥-١١٦).

(٢) الغارة على العالم الإسلامي، شاتليه (ص: ١٧-١٨).

(٣) الزحف إلى مكة، د. عبد الودود شلبي (ص: ١٣).

(٤) الاستشراق والتبشير، د. محمد البليند (ص: ١٠٣).

(٥) الغارة على العالم الإسلامي (ص: ٩٤).

(٦) انظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله، د. علي النملة (ص: ٣٣).

المبحث السادس:
وسائل التنصير المعاصرة ومراكزه

وسائل التنصير:

تعددت وسائل التنصير وتنوعت، وهم يطورونها من حين لآخر، كما أنهم يستخدمون أي وسيلة؛ لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة، وسنفصل القول في أهم هذه الوسائل وأخطرها.

أولًا: التعليم:

للتعليم تأثيره الكبير على شخصية الإنسان وثقافة وسلوكه، يقول بنروز (رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت): «لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطلع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان»[١]، ومن أجل ذلك فقد استخدم المنصرون التعليم للتأثير على شرائح من المسلمين، حتى كانوا يلقنون بعض أطفال المسلمين تعاليم النصرانية، ومن شواهد ذلك ما ذكره دانتي في كتابه عن مؤتمر المبشرين المنعقد في القدس سنة ١٩٣٥م يقول في أول الكتاب: «كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية في نفوس الطلاب»[٢].

يقول د. محمد البهي: «لقد كان المبشرون يعملون بطرق مختلفة كالتعليم مثلا على تهيئة شخصيات شرقية لا تقاوم التبسط الأجنبي»[٣].

ومن أشهر المؤسسات التعليمية التنصيرية في البلاد الإسلامية: جامعة القديس يوسف في لبنان، وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية، والجامعة الأمريكية في بيروت التي كانت تسمى (الكلية السورية الإنجيلية)، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، والجامعة الأمريكية في اسطانبول، والكلية الفرنسية في لاهور[٤]، وقد جاء في البيان الذي أصدرته الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٠٩م ردًّا على احتجاج الطلاب المسلمين لإجبارهم على الدخول يوميًّا إلى الكنيسة: «إن هذه كلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي، هم اشتروا الأرض، وهم أقاموا الأبنية، وهم أنشأوا المستشفى وجهزوه، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر. أحمد عبد الوهاب (ص: ١٦٦).

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام (ص: ٢١٥).

(٣) المبشرون والمستشرقون، د. محمد البهي (ص: ٧).

(٤) انظر: المستشرقون والمبشرون، إبراهيم خليل أحمد (ص: ٤٤-٤٥).

تعليمًا يكون الإنجيل من مواده، فتعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ... وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف سابقًا ماذا يطلب منه»[١].

وقد كشف لنا إبراهيم خليل أحمد كيف يسير العمل التبشيري في المدارس، وأنه يتم بحسب التدرج في المراحل التعليمية، ويأخذ -في الظاهر- أسلوب المناقشة والبحث العلمي[٢].

ثانيًا: مجال الإعلام بوسائله المختلفة:

«أدرك المبشرون خطورة الإعلام وآثاره القوية في محاربة الأفكار والمعتقدات، والترويج لأخرى يراد استبدالها بغيرها... وقد اعترفوا بأنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي»[٣].

«لقد اعتمد المبشرون مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة، وبيروت. أما القاهرة فاتخذها البروتستانت مركزًا لتوزيع المنشورات المسيحية في القطر المصري، وفي جميع العالم الإسلامي، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت، تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله، أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١م، وقاموا من طريقها بعمل تبشيري في الدرجة الأولى»[٤].

وقد استخدم المنصرون وسائل الإعلام المختلفة المقروءة كالصحف والمجلات والكتب، والمسموعة كالإذاعة، والمرئية كالقنوات الفضائية، ووسائل التقنية الحديثة وشبكات التواصل الاجتماعي للدعوة إلى النصرانية، وبث الشبهات حول الإسلام، وهناك أيضًا وسائل الإعلام غير الصريحة التي تبث فيها المفاهيم التنصيرية كالأفلام والمسلسلات وأفلام الكرتون الموجهة للأطفال، وكلها تحمل طابع الثقافة النصرانية، وتحتوي على مصطلحات وممارسات وسلوكيات دينية نصرانية[٥].

ثالثًا: المجال الطبي:

كانت الإرساليات الطبية إلى البلاد الإسلامية من أهم الوسائل التي سلكها المنصرون للدعوة

---

(١) أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية. د. عبد الودود شلبي (ص: ٢٣).

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتابه: المستشرقون والمبشرون (ص: ٦٠-٦٤).

(٣) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر (ص: ١٦٧).

(٤) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ص: ٢١٤).

(٥) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي (ص: ٥٦١-٥٦٢). التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، د. عمر فروخ (ص: ٢١٢-٢١٣). التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله، د. علي النملة (ص: ٥٨-٥٩).

إلى النصرانية، يقول المبشر موريسون: «نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية»[١]، و«من أجل ذلك عني المبشرون أول ما عُنوا بالتطبيب على أنه واسطة إلى غاية، إن اليسوعيين مثلًا قد أسسوا أكثر أعمالهم التبشيرية في سورية إلى جانب مراكز التطبيب، بل إن مراكز التبشير قد بدأت عندهم مراكز للتطبيب في أول الأمر، وفي هذه المراكز وجهوا عنايتهم الأولى إلى كبار الموظفين وإلى الأعيان، وكانوا يستغلونهم من هذه الطريق لمصالح تبشيرية بحتة»[٢].

«وقد كتب زويمر حول قوة هذه الطريقة ونجاحها في إبطال التعصب وإيقاظ التعاطف في البلاد الإسلامية، قائلا: إن مستوصف جمعية الكنيسة التنصيرية في بغداد التي كان يديرها الدكتور ستون لدليل رائع على ذلك»[٣]، وقال الدكتور تومس الذي كان مسؤولا عن إحدى البعثات الطبية في العراق: «إن التعصب سرعان ما يذوب، إن الشيوخ أنفسهم أصبحوا يعتقدون بأن العمل الصحيح أن يعالجهم طبيب البعثة»[٤].

«وإذا أنت أردت أن تعرف مبلغ اهتمام هؤلاء الأطباء بالتبشير لا بالتطبيب، فاعلم أن نفرًا منهم أنشأوا مستوصفًا في بلدة الناصر في السودان، وكانوا لا يعالجون المريض أبدًا إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح ... وفي الحبشة كانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم»[٥].

وقد كشف لنا الأستاذ إبراهيم خليل أحمد عن الخطوات العملية التنصيرية المتبعة في المستشفيات[٦].

رابعًا: المجال الاجتماعي والخدمات الإنسانية:

استعمل المنصرون الأعمال الاجتماعية ستارًا للدعوة إلى النصرانية بين المسلمين، يقول صموئيل وزيمر: «إن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة كانت لاهوتية

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر (ص: ١٧٩).

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ص: ٦١).

(٣) أصول التنصير في الخليج العربي دراسة ميدانية وثائقية. هـ. كوتوي زيقلر (ص: ٣٧). ترجمة: مازن صلاح مطبقاني.

(٤) المصدر السابق (ص: ٤١).

(٥) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ص: ٦١-٦٢).

(٦) انظر: المستشرقون والمبشرون (ص: ٦٠).

دينية محضة، أما الآن فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية، وكان ينظر في سابق الأيام إلى المبشرين نظر قوم يشنون حربا صليبية ترمي إلى التنصير فقط، فتحولت الأفكار وصارت الأعمال التبشيرية تشف عن فكرة الإصلاح الاجتماعي وعن رفع شأن الشعوب غير المسيحية»[١].

وجاء في كتاب اسمه (مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين): «نحن نعني بالعمل الاجتماعي المسيحي: تطبيق مبادئ يسوع المسيح في جميع الصلات الإنسانية، إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينيًّا بالأسلحة الروحية، فالنشاط الاجتماعي يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتممه»[٢].

خامسًا: استغلال الفقر والجهل والمرض:

ينشط التنصير في البلاد الإسلامية التي يسود فيها الجهل والفقر كأفريقيا، وأندونيسيا، وشرق آسيا. ويتخذ كافة الأساليب من فتح المدارس لتنصير أبناء المسلمين، أو صرفهم عن دينهم، وفي المستشفيات للتقرب إلى المرضى للترغيب بالنصرانية، وفتح الملاجئ ودور الرعاية الاجتماعية، وتوزيع الأغذية والملابس والهدايا كل ذلك باسم السيد المسيح وباسم النصرانية، ويصاحب ذلك تشويه سمعة الإسلام والمسلمين، وأن دينهم دين الجهل والفقر والمرض، خاصة بين الناشئة. ففي أفريقيا التي يطمح المنصرون إلى تنصيرها بالكامل يبلغ عدد المنصرين فيها ١٠٤ آلاف، ويعمل ٩٣ ألف رجل وامرأة ضمن لجان تطوعية لتوزيع الإنجيل، وفيها ١٦٦٧١ معهدًا كنسيًّا لمختلف مراحل التعليم، كما تخضع ٥٠٠ جامعة أفريقية للكنيسة، وما يزيد عن ٤٨٩ مدرسة لاهوتية لتخريج المنصرين، وتنفق الولايات المتحدة وحدها على الإرساليات في أفريقيا أكثر من ٦٠٠ مليون دولار سنويًا[٣].

سادسًا: بذل الأموال الطائلة:

تذكر الإحصاءات بأن أموالًا طائلة تبذل في سبيل الدعوة إلى النصرانية تبلغ عشرات المليارات، وتزيد مع مرور السنوات، يقول د. علي النملة: «إن ميزانية التنصير في العالم كانت عام

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر (ص: ١٨٢).

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ص: ١٩١-١٩٢).

(٣) انظر: الأهداف الأخرى للتنصير، د. راشد بن عثمان الزهراني، بحث منشور على موقع طريق الإسلام على هذا الرابط: https://ru.pw/٨OZPr

١٤١١هـ-١٩٩٠م حوالي مائة وأربعة وستين مليار دولار أمريكي (١٦٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) سنويا، وقد أفادني بهذا الدكتور عبد الرحمن السميط، أحد العاملين في الساحة الإفريقية، ونشر هذا الرقم في مجلة الدعوة السعودية. ثم وجدت أن الميزانية قد قفزت عام ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م إلى مائة وواحد وثمانين مليار دولار أمريكي (١٨١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ... وفي نشرة وزعتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي جاء فيها أن عدد النصارى في العالم يبلغ مليارًا، وسبع مائة وعشرين مليون (١,٧٢١,٠٠٠,٠٠٠) نسمة ... وذكرت النشرة أن مجموع التبرعات التي حصل عليها المنصرون لعام واحد حوالي مائة وواحد وخمسين مليار (١٥١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار أمريكي»[١].

سابعًا: تأهيل المنصرين:

وضع المؤتمر التنصيري المعقود بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م مجموعة من التوصيات لهذه الوسائل الصريحة تعد قواعد ومعالم للحملات التنصيرية في المجتمع المسلم بخاصة.

أ - ففيما يتعلق بالمنصر أو المنصرة أوجبوا عليهما الآتي:

١ - تعلم اللهجات المحلية ومصطلحاتها.

٢ - مخاطبة العوام على قدر عقولهم.

٣ - إلقاء الخطب بصوت رخيم وفصيح المخارج.

٤ - الجلوس أثناء إلقاء الخطب.

٥ - الابتعاد عن الكلمات الأجنبية أثناء إلقاء الخطب.

٦ - الاعتناء باختيار الموضوعات.

٧ - العلم بآيات القرآن والإنجيل.

٨ - الاستعانة بالروح القدس[٢] والحكمة الإلهية.

ب - استخدام الوسائل المحببة إلى المسلمين من العوام كالموسيقى، واستخدام تقنيات التعليم

---

(١) التنصير مفهومه وأهدافه (ص: ٤-٥).

(٢) هو الأقنوم الثالث من الثالوث. انظر: معجم الإيمان المسيحي (ص: ٢٤٠). وهو «واحد مع الآب والابن» انظر: الروح القدس وعمله فينا، البابا شنودة (ص: ٩)، «وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (يوحنا الرسول الأولى ٥: ٧)، ومع ذلك يقولون: «بل الروح القدس هو الله» (المصدر السابق ص: ٨). وهو تناقض مبطل لدينهم. كما بين ذلك العالم بدينهم القس السابق الذي هداه إلى الإسلام إبراهيم خليل أحمد. انظر: الفرقان بين الإسلام والمسيحية. إبراهيم خليل أحمد (ص: ٩٣-٩٤).

الحديثة.

ج - دراسة القرآن للوقف على ما فيه.

د - عدم إثارة نزاعات مع المسلمين.

هـ - إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم.

و - إيجاد منصرين من بين المسلمين ومن أنفسهم.

ز - زيارة المنصرات لبيوت المسلمين والاجتماع بالنساء وتوزيع المؤلفات والكتب التنصيرية عليهن، وإلقاء المحاضرات الدينية في تعاليم الإنجيل[١].

ثامنًا: عقد مؤتمرات التنصير:

كان القسيس زويمر هو أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير للتفكير في نشر النصرانية بين المسلمين[٢]، ومن هذه المؤتمرات ما يلي:

مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م: افتتح المؤتمر في منزل عرابي باشا بباب اللوق، وبلغ عدد مندوبي إرساليات التبشير ٦٢ رجلا وامرأة، وفي هذا المؤتمر انتخب القسيس زويمر رئيسًا له، ومن أهم المسائل التي نوقشت في هذا المؤتمر: ملخص إحصائي لعدد المسلمين في العالم، وحالة الإسلام في أفريقيا والهند وفارس والملايو والصين، والنشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام، وموضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعليم في الإسلام[٣].

مؤتمر أدنبرج ١٩١٠م: عقد هذا المؤتمر في سبتمبر ١٩١٠م، وكان للمسائل الإسلامية حظ كبير من مداولات أعضائه، ونشرت أعمال هذا المؤتمر في ٩ مجلدات، وكان فيه ١٢٠٠ مندوب من مختلف الجنسيات، ومما جاء فيه ان عدد المبشرين وصل إلى ٩٨٣٨٨ مبشرًا تعضدهم لجان يبلغ عدد أعضائها ٥٥٠٠٠٠٠ شخص، وقرروا إصدار مجلة إنجليزية خاصة بالأبحاث الإسلامية ودراسة أفكار المسلمين، والخطة التي ينبغي انتهاجها لنشر النصرانية، والتأكيد على معرفة الإسلام قبل الاحتكاك به، فالغاية من هذا المؤتمر هي البحث في مسائل العالم غير النصراني، وإيجاد وحدة وتضامن بين المبشرين في عملهم، وفي نهاية المؤتمر قال اللورد

---

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي (ص: ٣٥). التنصير مفهومه وأنواعه (ص: ٣٧-٣٨).

(٢) انظر: الغارة على العالم الإسلامي (ص: ٤٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٤٩-٥١).

بلفور: «إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة، ولولاها لتعذر عليها أن تقاوم كثيرًا من العقبات، وعلى هذا فنحن في حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين»، وقد أجيب إلى اقتراحه وتألفت لجنة لهذا الغرض[١].

مؤتمر لكنو عام ١٩١١م: عقد هذا المؤتمر في مدينة لكنو الهند يوم ٢١ يناير عام ١٩١١م، واشترك فيه ١٦٨ مندوبًا، و١١٣ مدعوا من ٥٤ جمعية تنصيرية، وكان رئيسه القسيس زويمر، وقد شمل برنامج هذا المؤتمر عدة أمور: (١) دراسة الحالة الحاضرة للإسلام. (٢) استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائي (٣) إعداد القوات اللازمة ورفع شأنها[٢].

مؤتمر كولورادو ١٩٧٨م: وهو يعد من أخطر المؤتمرات، وقد عقد في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين) حضره (١٥٠) مشتركًا يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم، واستمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق، وقدمت فيه بحوث حول التبليغ الشامل للإنجيل وتقديمه للمسلمين والكنائس الديناميكية في المجتمع المسلم، وتجسيد المسيح وتحبيبه إلى قلب المسلم، ومحاولات نصرانية جديدة لتنصير المسلمين، وتحليل مقاومة واستجابة المسلم واستخدام الغذاء والصحة كعنصرين في تنصير المسلمين، وتنشيط دور الكنائس المحلية في تنصير العالم الإسلامي، وقد انتهى المؤتمر بوضع استراتيجية بقيت سرية لخطورتها مع وضع ميزانية لهذه الخطة مقدارها ١٠٠٠ مليون دولار، وقد تم جمع هذا المبلغ فعلًا وإيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى[٣].

وهناك مجموعة من الوسائل المساندة للتنصير ذكرها الأستاذ أحمد عبد الوهاب، ومنها:

١- تشويه صورة الإسلام.

٢- تحريف فهم القرآن.

٣- نشر الدعوات والمذاهب الفكرية المشبوهة.

٤- الدعوة إلى التسامح المشبوه.

٥- الدعوة إلى الحوار المشبوه.

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ١٠٦) وما بعدها.

(٢) انظر: الغارة على العالم الإسلامي (ص: ١٤١) وما بعدها.

(٣) انظر الترجمة الكاملة لأعمال هذا المؤتمر في: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، دون ماكري، وراجع رأي الأستاذ إبراهيم خليل أحمد في نتائج هذه المؤتمرات في كتابه: المستشرقون والمبشرون (ص: ٧٥).

٦- الدعوة إلى الشعوبية[١] والقومية[٢].

٧- إثارة الفتن الداخلية.

٨- بناء أكبر عدد من الكنائس في بلاد المسلمين والاهتمام بمظهرها[٣].

مراكز التنصير:

أسس المنصرون عددا من الجمعيات والمراكز التي تقدم الدعم المادي والمعنوي لإرساليات التنصير المنتشرة في العالم الإسلامي، ومنها ما يلي:

- جمعية لندن التنصيرية، تأسست سنة ١٧٦٥م، وهي موجهة إلى أفريقيا.

- جمعيات بعثات التنصير الكنسية، وتأسست في لندن سنة ١٧٩٩م، وهي موجهة إلى الهند ومنطقة الخليج العربي.

- جمعية تبشير الكنيسة الإنجليكانية البريطانية، وتأسست سنة ١٧٩٩م، وهي مدعومة من الأسرة الملكية في بريطانيا.

- جمعية طبع الإنجيل البريطانية، وتأسست سنة ١٨٠٤م، وتهتم بطبع الإنجيل وترجمته وتوزيعه.

- جمعية طبع الإنجيل الأمريكية، وتأسست سنة ١٨٦١م، ولها مطابع ومكتبات تجارية في بعض البلاد العربية[٤].

- معهد صموئيل زويمر في ولاية كاليفورنيا، وتم إنشاؤه بناء على توصية من قرارات مؤتمر كولورادو.

- المركز العالمي للأبحاث والتبشير في كاليفورنيا الذي قام بتقديم الأشخاص اللازمين للإعداد لمؤتمر كولورادو، مع تهيئة عوامل نجاح هذا المؤتمر.

---

(١) هي: «نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم وتحاول الحطَّ منهم» (المعجم الوسيط ١/ ٤٨٤). قال القرطبي: «الشعوبية تبغض العرب وتفضل العجم» (تفسير القرطبي ١١/ ١٨٩)، وانظر للتوسع: الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، عبد الله سلوم السامرائي، الشعوبية وموقف أهل السنة والجماعة منها، د. عواد برد العنزي.

(٢) هي: «حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب. وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا» (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٤٤٤). وانظر للتوسع: نقد القومية العربية، عبد العزيز بن باز، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، صالح العبود.

(٣) انظر تفصيل ذلك وشواهده من أقوال المنصرين في: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب (ص: ١٦٣) وما بعدها.

(٤) انظر: التنصير مفهومه وأهدافه (ص: ٤١-٤٢).

- جمعية التبشير الكنسية الإنجليزية، وهي أهم جمعية بروتستانتية، وقد مضى على إنشائها قرابة قرنين من الزمان.

- الجمعية التبشيرية الأمريكية، والتي يرجع عهدها إلى سنة ١٨١٠م.

- جمعية إرساليات التبشير الألمانية الشرقية، أسسها القسيس لبسيوس سنة ١٨٩٥م، وقد بدأ عملها سنة ١٩٠٠م[١].

- المجلس التبشيري الدولي. وقد أنشئ عام ١٩٢١م برئاسة الدكتور جون موت الذي يعتبر مهندس المؤتمرات التبشيرية.

- مجلس الكنائس العالمي، وقد أنشئ سنة ١٩٦١م، وفيه تم ولأول مرة في تاريخ العالم المسيحي إعلان الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية أنها جميعًا مسؤولة عن تبشير العالم بالإنجيل[٢].

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٧١-٦٧٢).

(٢) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر (ص: ٢٠٦-٢٠٧)، وانظر أيضًا: المبشرون والمستشرقون، د. محمد البهي (ص: ٩).

المبحث السابع:
طرق مواجهة التنصير المعاصر

لا بد من مواجهة النشاط التنصيري وفق خطط مدروسة، ووسائل عملية، عمادها أصول ثلاثة:

الأول: التحصين الذاتي للأمة، وذلك يعتمد على أمور، منها:

١- التحصين بنشر العلم الشرعي؛ لأنه واجب قبل العمل، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال البخاري: «باب: العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم»(١).

٢- تعلم العقيدة الصحيحة؛ لأنها أشرف المطالب وأعظمها وأهمها، ولا حياة ولا سعادة لأي إنسان إلا بأن يعرف ربه بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

٣- المحافظة على فطرة الإسلام، وحراستها من المؤثرات الخارجية اهتداء بقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجّسانه»(٢).

٤- قيام كل ولي أمر بأمانته التي استرعاه الله إياها، فكل على ثغر من ثغور الإسلام، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلكم راع. وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»(٣).

٥- إعداد المناهج التعليمية الهادفة، بوضع تيار التنصير والتيارات الوافدة عموما ضمن محاوره.

٦- الاهتمام بوسائل الإعلام ووسائل التواصل، وإعداد المواد الهادفة التي تحذر من خطر التنصير، وتحمي المسلم من خطر الأفكار الوافدة.

الثاني: الدعوة إلى الإسلام قولًا وعملًا، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٨٥). ومسلم (ح٢٦٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (ح٨٩٣)، ومسلم (ح١٨٣٩).

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وألا يتصدى للدعوة إلا أهل العلم والبصيرة، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الثالث: كشف حقيقة التنصير وخططه وأهدافه من قِبَلِ الباحثين المتخصصين، ومتابعة مستجدات حركات التنصير في العالم الإسلامي، والاطلاع على مواقعهم الإلكترونية ووسائلهم الحديثة في التنصير[١].

(١) انظر تفصيل القول في مواجهة التنصير في: حقيقة التبشير (ص: ١٩٢) وما بعدها. التنصير مفهومه وأنواعه (ص: ٧٥) وما بعدها. وراجع رأي د. محمد البهي في معالجة ومواجهة موجة التنصير في: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام (ص: ٤).

ملخص الفصل الثالث

- **تعريف الاستشراق**: هو اشتغال طائفة من الباحثين الغربيين بدراسة علوم الشرق وحضارته وأديانه، وقد غلب إطلاق اسم المستشرقين على الكتاب الغربيين، الذين يكتبون عن الإسلام وعقيدته وتاريخه وحضارته.
- **نشأة الاستشراق**: اختلف الباحثون في تحديد البداية الزمنية للاستشراق: (١) فيرى بعض الباحثين أن طلائع الاستشراق تعود إلى القرن العاشر الميلادي على يد بعض الرهبان الغربيين الذين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدراسها. (٢) ويرى رودي بارت أن بداية الاستشراق ترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي وما بعده. (٣) ويرى آخرون أن الاستشراق بدأ في بداية القرن الرابع عشر. **والراجح**: أن الاستشراق بدأ في القرن العاشر الميلادي على يد بعض الرهبان من النصارى، ثم نشط في القرن الثاني عشر الميلادي بتأثير الحروب الصليبية والتي استمرت زهاء قرنين، ثم ازداد نشاط الاستشراق مع بداية الأطماع الأوربية الاستعمارية للعالم الإسلامي في القرن الثامن عشر.
- **أخطر المستشرقين الذين كان لهم دور في إثارة الشبهات حول الإسلام**: ١- آرثر آربري، ٢- ألفرد جيوم، ٣- بارون كارا دي فو، ٤- هاملتون جب، ٥- جولدزيهر، ٦- صمويل زويمر، ٧- فيليب حتي، ٨- أرند جان فِنْسِنْك، ٩- لوي ماسينيون، ١٠- ماكدونالد، ١١- مرجليوث، وغيرهم كثير.
- **أهداف الاستشراق**: (١) الهدف العلمي: وهو اتجاه طبيعي في حياة الأمم، ولم يكن وليد الخطة الاستشراقية العدائية ضد الأمة المسلمة، وكان الهدف العلمي للاستشراق سببًا لإسلام طائفة من الغربيين. (٢) الهدف التنصيري: وهو الدافع الأساسي لظهور الاستشراق هو نشر المسيحية، والحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام. (٣) الهدف الاستعماري: فقد وظف الاستشراق نفسه في الغالب لخدمة الاستعمار، وقد اعترف عدد من المستشرقين بالعلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار الذي تسلط على كثير من الدول الإسلامية منذ مطلع القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.
- **وسائل الاستشراق المعاصر**: (١) وسائل الاتصال العالمي. (٢) الجمعيات الاستشراقية.

(٣) المجلات. (٤) كراسي اللغات الشرقية. (٥) التدريس في الجامعات العربية. (٦) المؤتمرات. (٧) التأليف.

- **أبرز مراكز البحوث والدراسات الاستشراقية المعاصرة:** (١) جامعة برنستون. (٢) معهد الشرق الأوسط. (٣) معهد بروكنجز. (٤) معهد الولايات المتحدة للسلام. (٥) مؤسسة راند.
- **افتراءات المستشرقين على الإسلام:** من افتراءاتهم حول القرآن العظيم دعواهم بأن القرآن ليس بمنزل من عند الله، وأنه مأخوذ من اليهودية والنصرانية، ومن شبهات المستشرقين حول السنة زعمهم أن الحديث بقي مائتي سنة غير مكتوب، ثم بعد هذه المدة الطويلة قرر المحدثون جمع الحديث، كما دأب المستشرقون على وصف الإسلام بأنه دين العنف والتعطش لسفك الدماء وإزهاق الأرواح، وقد تبين بطلان هذه الافتراءات وتهافت هذه الشبهات.
- **تعريف التنصير:** هو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية.
- **أهداف التنصير:** تمكين المستعمر الغربي من نهب ثروات البلاد الإسلامية والاستيلاء عليها، مع تمزيق وحدة المسلمين، وتفريقهم إلى دويلات متناحرة متنازعة من أجل كسر شوكتهم وإضعاف قوتهم.
- **نشأة التنصير:** نشأ في القرن الثالث عشر الميلادي، بعد فشل الحروب الصليبية، وبدأت الجهود التنصيرية في النصف الأول منه، حيث أشار لويس التاسع على البابا أنوسنت الرابع بإنشاء جمعية التنصير الأولى سنة ١٢٥٣م، وقد ضمت هذه الجمعية عددًا كبيرًا من المنصرين، وأول من تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها هو الأسباني ريموند لول (١٢٣٥-١٣١٥م).
- **أهداف التنصير:** (١) إضعاف صلة المسلمين بدينهم. (٢) القضاء على العالم الإسلامي وتمزيق وحدته. (٣) نشر الأفكار والمذاهب المعادية للإسلام. (٤) نشر النصرانية في العالم الإسلامي. (٥) الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام.
- **وسائل التنصير:** تعددت وسائل التنصير وتنوعت، ومن أهمها: (١) التعليم. (٢) مجال الإعلام بوسائله المختلفة. (٣) المجال الطبي. (٤) المجال الاجتماعي والخدمات الإنسانية. (٥) استغلال الفقر والجهل والمرض. (٦) بذل الأموال الطائلة. (٧) تأهيل المنصرين. (٨) عقد مؤتمرات التنصير.

- **طرق مواجهة التنصير المعاصر: الأول:** التحصين الذاتي للأمة، وذلك يعتمد على أمور، منها: ١- التحصين بنشر العلم الشرعي. ٢- تعلم العقيدة الصحيحة. ٣- المحافظة على فطرة الإسلام، وحراستها من المؤثرات الخارجية. ٤- قيام كل ولي أمر بأمانته التي استرعاه الله إياها. ٥- إعداد المناهج التعليمية الهادفة. ٦- الاهتمام بوسائل الإعلام ووسائل التواصل، وإعداد المواد الهادفة التي تحذر من خطر التنصير. **الثاني:** الدعوة إلى الإسلام قولًا وعملًا. **الثالث:** كشف حقيقة التنصير وخططه وأهدافه من قِبَلِ الباحثين المتخصصين.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف الاستشراق، واذكر تاريخ نشأته؟

س٢: اشرح الصلة بين الاستشراق والتنصير.

س٣: اذكر أهم مراكز البحوث الاستشراقية في العصر الحاضر.

س٤: عرف التنصير، واذكر تاريخ نشأته.

س٥: بين بإيجاز أهم أهداف التنصير، ووسائل المنصرين في الدعوة إلى النصرانية.

س٦: اذكر أهم طرق مواجهة التنصير في رأيك.

الفصل الرابع:
التغريب

المبحث الأول:
التعريف بالتغريب، ونشأته، وأهدافه، ووسائله

التعريف بالتغريب:

التغريب لغة: النفي والإبعاد من البلد، قال ابن منظور: «التغريب: النفي عن البلد، وغرَّب أي: بَعُدَ؛ ويقال: اغرب عني، أي: تَباعَدَ؛ ومنه الحديث: أنه أمر بتغريب الزاني[١]؛ التغريب: النفي عن البلد الذي وقعت الجناية فيه. يقال: أغربته وغربته، إذا نحيته وأبعدته»[٢].

لكن المقصود بالتغريب في هذا المبحث غير ما ورد في كتب اللغة، بل له معنى اصطلاحي آخر؛ لأن التغريب بالمعنى السابق في كتب اللغة مشتق من الغربة، أي: البُعد عن الأوطان، والتغريب هنا مشتق من الغرب، وهو ما سيأتي في التعريف الاصطلاحي.

والتغريب اصطلاحًا: قد يعرف باعتبار منهجه، فيُقال: هو ذلك الاتجاه الذي يعبر فيه أصحابه عن ضرورة جعل (الغرب) هو المنبع الرئيس الذي يجب أن تأخذ منه الثقافة العربية ولا تبغي سواه.

ويعرَّف باعتبار هدفه فيُقال: هو «طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية»[٣].

ويعرَّف باعتبار أثره فيقال: هو «تأثير الغرب بفكره وحضارته في المسلمين»[٤].

---

(١) انظر: صحيح البخاري (ح٢٦٩٥)، صحيح مسلم (ح١٦٩٧).

(٢) لسان العرب (١/ ٦٣٩).

(٣) حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين (ص: ١٠١).

(٤) الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر، د. علي محمود عبد الحليم (ص: ١٢٣).

ويُعرَّف بما يجمع ذلك في الغالب فيُقال: هو «تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية»(١).

كما يعرف باعتبار الأعراض النفسية والمرضية التي تظهر على دعاته، فيقال: التغريب هو: «حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية، والأخذ بالقيم والنظم وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له هذا الموقف أو الاتجاه غربيًّا في ميوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، ينظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قيم ونظم ونظريات وأساليب حياة نظرة إعجاب وإكبار، ويرى في الأخذ بها الطريقة المثلى لتقدم جماعته أو أمته الإسلامية»(٢).

والتغريب في حقيقته أداة من أدوات الغزو الفكري، بل هو من أخطرها؛ لأنه يستخدم أبناء الأمة الذين طبعهم الغرب بطابعه للكيد للأمة الإسلامية ودينها وحضارتها، فالمستغربون هم الدعاة إلى السير في ركاب الغرب، والأخذ بكل ما عنده خيره وشره، حلوه ومره، كما يعبر أحد دعاة التغريب(٣).

فغالبهم عملاء اختارهم المستعمر ليكونوا عيونًا له وأعوانًا، يقول القس زويمر -في استخدام المستغربين في التبشير بالنصرانية-: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها»(٤).

نشأة التغريب:

التغريب بهذا الاصطلاح نشأ في الغرب، وظهر في المعجم السياسي الغربي، وارتبط بالهجمة الاستعمارية الإمبريالية الأوروبية، وذلك في القرن التاسع عشر، وكانوا يعنون به نشر الحضارة الغربية في البلاد الآسيوية والإفريقية الواقعة تحت سيطرتهم عن طريق إزالة القوى المضادة التي

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٩٨).

(٢) التغريب والغزو الصهيوني، عمر التومي (ص: ١٦٢)، مجلة الثقافة العربية، ليبيا، العدد: ١٠، سنة ١٩٨٢م، نقلًا عن: التغريب مفهومًا وواقعًا. د. فريد محمد أمعضشو، مجلة المنهاج، العدد: ٦٤، السنة السادسة عشر ٢٠١٢م.

(٣) انظر: مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين (ص: ٣٩).

(٤) الغارة على العالم الإسلامي. شاتليه (ص: ٨٠)، وقد سبق نقله.

تحفظ لهذه البلاد كيانها وشخصيتها وعاداتها وتقاليدها، وأهمها الدين واللغة، وفي زوال هذه القوى ضمان لاستمرار السيطرة الغربية السياسية والاقتصادية حتى بعد إعلان هذه الدول استقلالها وتحررها[١].

أهداف التغريب:

للتغريب أهداف كثيرة، من أهمها ما يلي:

١- التمهيد للاستعمار في صوره المختلفة لاستغلال ثروات الأمة الإسلامية واستعباد شعوبها[٢]؛ ذلك أن صبغ واقع الشعوب المستعمرة وفق رؤية المستعمر وفكره تؤدي إلى سهولة متابعته للمستعمر، وتحمي المستعمر عن مقاومة الشعوب، وقد عبر عن ذلك ابن خلدون بقوله: «المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده»[٣]، وهو ما يسميه المفكر الجزائري مالك بن نبي «القابلية للاستعمار»[٤]، الذي يؤدي إلى الخنوع والخضوع للمستعمر.

٢- حراسة مصالح الاستعمار بتقريب الهوة التي تفصل بينه وبين المسلمين نتيجة لاختلاف القيم، ونتيجة للمرارة التي يحسها المسلم إزاء المحتلين لبلاده حين يفرض عليه دينه جهادهم[٥]، وقد لاحظ كرومر وجود هذا الخلاف الشديد بين المسلمين وبين المستعمر الغربي في العقائد والقيم والتقاليد واللغة، ولاحظ أن هذه الخلافات هي السبب في انعدام ثقة المسلم بالمستعمر الأوروبي وسوء ظنه به، وهي السبب في وجود هوة واسعة تفصل بينهما وتجعل مهمة المستعمر محفوفة بالمتاعب ودعا من أجل ذلك إلى العمل بمختلف الوسائل على بناء قنطرة فوق هذه الهوّة ولها وسيلتان:

الوسيلة الأولى: هي تربية جيل من العصريين الذين ينشئون تنشئة خاصة تقرّبهم من الأوربيين على وجه الخصوص في طرائق السلوك والتفكير، وهي التي من أجلها قصد كرومر إنشاء كلية

---

(١) انظر: التغريب مفهوما وواقعا، د. فريد محمد (ص: ١٢).

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية، د. صالح هندي وآخرون (ص: ٢٠١).

(٣) مقدمة ابن خلدون (١/ ٢٥٧).

(٤) شروط النهضة، مالك بن نبي (ص: ٣١).

(٥) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين (ص: ٤٩).

فيكتوريا لتربية الأجيال من أبناء الحكام والزعماء في محيط إنجليزي ليكونوا في المستقبل هم أدوات المستعمر الغربي في إدارة شؤون المسلمين.

والوسيلة الثانية: تطوير الإسلام وإعادة تفسيره بحيث يبدو متوافقا مع الحضارة الغربية أو على الأقل غير متعارض معها[١].

٣- تفتيت وحدة المسلمين، وذلك بإضعاف الرابطة الإسلامية التي تجمعهم على وحدة القيم الفكرية والحضارية والثقافية، حتى يستطيع الاستعمار أن ينفرد بكل بلد على حدة[٢].

٤- ضرب ثوابت الأمة الإسلامية التي تتجلى في كتاب ربها وسنة نبيها ولغتها، ولذلك يقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقا: «ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق»[٣].

٥- الانتقام الصليبي، فقد كشف الباحث الفرنسي سيرج لاتوش الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة ليل بفرنسا، والخبير بشؤون العالم الثالث- عن هدف التغريب قائلا: «إن حركة تغريب العالم إنما هي في المقام الأول حرب صليبية»[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٤٩).

(٣) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم (ص: ٣١).

(٤) تغريب العالم، سيرج لاتوش، (ص: ١١)، ترجمة: خليل كلفت، وانظر: التغريب طوفان من الغرب، أحمد عبد الوهاب (ص: ٦).

المبحث الثاني:
وسائل التغريب المعاصر ومراكزه

للتغريب وسائل كثيرة، من أهمها ما يلي:

١- التعليم، ومن ذلك:

أ- المدارس الأجنبية، وقد ذكر المؤرخ البريطاني مالكولم ياب أن هذه المدارس كانت الوسيلة التي تغلغلت من خلالها الأفكار الغربية إلى بلاد المسلمين[١]؛ لأن هذه المدارس تعنى بدراسة الثقافة الأوروبية أولا، وهي لا تخرج علماء مبتكرين ينفعون الأمة، وإنما تخرج في الغالب متغربين في هويتهم متنكرين لأمتهم، ولذلك أمَّها غير المسلمين من النصارى، ويقول أيضا « بالنسبةِ للنصارى فقد أتيحت لهم فرص جديدة في التعليم في المدارس التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية تركز على تعليم المسيحيين الكاثوليك والروم والموارنة، وفي عام ١٩١٤ بلغ عدد المدارس التبشيرية الفرنسية ما يقارب ٥٠٠ في المنطقة[٢] بكاملها تضم بين ٥٠٠٠٠ و ٦٠٠٠٠ تلميذ»[٣].

ب- المناهج الغربية، فقد سعى المستعمر لوضع مناهج التعليم بما يحقق أهدافه، يقول هاملتون جب: «لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين -ولو من غير وعي منهم- أثرًا يجعلهم في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد، ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار»[٤]، وقد ذكرت تقارير المؤتمرات الاستعمارية: «أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوربيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية[٥] يرجح على تأثير العمل المشترك

---

(١) انظر: نشوء الشرق الأدنى الحديث. مالكوم ياب (ص: ٢٢٤). ترجمة: خالد الجبيلي.

(٢) أي: سوريا.

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٢٤-٢٢٥).

(٤) أهداف التغريب في العالم الإسلامي، أنور الجندي (ص: ٩٥).

(١) اتفق الكتاب والسياسيون على أن المسألة الشرقية هي مسألة النزاع القائم بين بعض دول أوروبا وبين الدولة العثمانية، بشأن البلاد الواقعة تحت سلطانها. انظر: المسألة الشرقية، مصطفى كامل (ص: ٩).

الذي قامت به دول أوربا كلها»[١]، ومن أمثلة ذلك المناهج التي وضعها دنلوب لخدمة الاستعمار في البلاد العربية، يقول أستاذنا د/ عمر الدسوقي[٢]: وقد عمل دنلوب على نشر التعليم بين الفتيات وتلقينهن الثقافة الإنجليزية لأن ذلك يهيئ الفرصة لوجود جيل من الأبناء يحبهم ويعطف عليهم، ومناهضة اللغة العربية في المدارس، وإحلال اللغة الإنجليزية محلها[٣].

ج- المراكز البحثية التي تُموَّل من جهات أجنبية[٤].

٢- الاستعمار:

يعتبر الاستعمار من أخطر الوسائل التي تحقق من ورائه تغريب فئات من الأمة، وذلك لأنه يسعى لفرض ثقافة الغرب وقيمه وعاداته على الشعوب المستعمرة، فالاستعمار في حقيقته «نهب وسلب منظَّم لثروات البلاد المستعمرة، فضلا عن تحطيم كرامة شعوب هذه البلاد، وتدمير تراثها الحضاري والثقافي، وفرض الثقافة الغربية الاستعمارية على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المتخلفة إلى حضارة العصر»[٥].

٣- دعاة التغريب:

وهم عملاء الغرب الذين اختارهم المستعمر واشترى ضمائرهم ليكونوا دعاة وعونا له على بني قومهم، وهؤلاء طائفتان:

الطائفة الأولى: النصارى العرب: وهؤلاء النصارى كانوا أسبق أبناء العرب اتصالًا بالثقافة الغربية، بسبب نشاط البعثات التبشيرية، وانتشار مدارسها وأديرتها في الشام[٦]، ومن رموز ما

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي (ص: ١١٩).

(٢) درسنا في الدراسات العليا. وذكر لنا أنه يتقن تسع لغات، وأنه تعلم الإنجليزية في ثلاثة أشهر. وقد تخرج من دار العلوم، ثم ابتعث إلى بريطانيا لاستكمال دراسته. ثم عاد وعمل أستاذًا ورئيسًا لقسم الأدب في دار العلوم. ثم أعير للتدريس إلى عدد من البلدان آخرها المملكة العربية السعودية. وقد استفدت منه كثيرًا. وأذكر أني قلت له مرة -وكان سكنه قريبًا من الجامعة-: سأمر عليك بسيارتي، فأجاب قائلا: أريد أن أمشي، لو لم أمشِ لتوقف قلبي، وقد توفي في المملكة العربية السعودية.

(٣) انظر: في الأدب الحديث. د. عمر الدسوقي (٢/ ١٦).

(٤) مثل مركز ابن خلدون الذي أسسه د. سعد الدين إبراهيم. وقد وجهت السلطات المصرية عدة تهم إلى هذا المركز من أبرزها: تلقي أموال من جهة أجنبية دون الحصول على ترخيص بذلك من الأجهزة المختصة، وقد اعترف بذلك رئيس المركز. انظر تصريحاته على هذا الرابط: https://cutt.us/mKrQz

(٥) موسوعة السياسة، تحرير: عبد الوهاب الكيالي (١/ ١٧٢).

(٦) انظر: الإسلام والحضارة الغربية. د. محمد محمد حسين (ص: ٥٥).

يسمى بحركة التغريب النصارى: شبلي شميل النصراني اللبناني، وسلامة موسى القبطي المصري، وفرح أنطون إلياس النصراني، وأكثر هؤلاء النصارى إغراقًا في هذا الاتجاه سلامة موسى؛ فمن كلماته التي ضمنها كتابه (اليوم والغد): «كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي من الأدب كما أزاوله، فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا، فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأني منها»[١].

الطائفة الثانية: المستغربون من المنتسبين للإسلام: من أمثال: طه حسين، وعلي عبد الرازق، وقاسم أمين، وأحمد حسنين هيكل باشا، ومنصور فهمي، وزكي نجيب محمود، وغيرهم، فقد دعوا أيضًا وبكل صراحة إلى السير وراء الغرب في كل شيء، فيرى طه حسين بأن سبيل النهضة أن «نسير سير الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يجب منها وما يكره، وما يحمد وما يعاب»[٢]، ومن أماني د. زكي نجيب محمود أو أحلامه قوله: «إنني في ساعات حلمي أحلم لبلادي باليوم الذي أشتهيه، فإنما أصورها لنفسي وقد كتبنا من اليسار إلى اليمين كما تكتب أوروبا، وارتدينا من الثياب ما يرتدون، وأكلنا كما يأكلون، لنفكر كما يفكرون وننظر إلى الدنيا بمثل ما ينظرون»[٣]، وهذا قريب الشبه بقول أحد أتباع أتاتورك[٤]: «إنا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رِئَتِهم[٥]، والنجاسات التي في أمعائهم»[٦].

وبلغت الحالة المرضية لدى بعضهم أن يستبشر بقدوم الصليبيين لغزو بلاد المسلمين، يقول أحدهم في مقال له: «إنني من أكثر الناس تفاؤلًا بقدوم أمريكا إلى العراق وعندي أسباب عديدة؛ أولها: أن أمريكا لم تدخل بلدًا إلا وحسنت أوضاعه، إنني واثق أن أمريكا ستلعب في منطقتنا دور المعلم الحازم الذي يريد النجاح لتلاميذه حتى لو تطلب ذلك درسًا قاسيًا. إن العالم العربي لن يتغير من تلقاء نفسه؛ لذلك أقول: أهلًا بالنموذج الأمريكي الحر، ﴿وَعَسَى

---

(١) اليوم والغد. سلامة موسى (ص: ٧).

(٢) مستقبل الثقافة في مصر (ص: ٤١).

(٣) الاتجاه التغريبي، سامي نجيب (ص: ٤٣٢)، ضمن بحوث المؤتمر الدولي (الإسلام ومشروعات النهضة الحديثة).

(٤) وهو آغا أوغلي أحمد.

(٥) جمع رئة.

(٦) موقف العقل والعلم والعالم. لمصطفى صبري (١/ ٣٦٩) الهامش.

أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]»[١]، وحال العراق الذي صار إليه بعد الاحتلال الأمريكي كافٍ في رد هذا الحمق.

٤- الإعلام المقروء والمسموع والمرئي:

«إن الإعلام أصبح من أهم وسائل فرض الهيمنة الثقافية الغربية وأكثرها خطورة وأبعدها أثرًا بما وصل إليه من تقنيات متطورة تؤثر بشكل مباشر وسريع على المتلقي، فقد مكن الإعلام القوى الغربية من مخاطبة الشعوب والأفراد بشكل يومي منتظم وسريع وبأساليب متنوعة بالصوت والصورة والكلمة المكتوبة مما أسهم في حالات كثيرة في تهيئة النفوس والأذهان لتقبل النموذج الغربي في مختلف المجالات»[٢].

ومجمل القول في وسائل التغريب أنه كما يقول د. عبد الله التركي (عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية): «اعتمد الأعداء سلاح التغريب بواسطة المدرسة والكتاب والجامعة والصحف والمجلات والتلفاز والابتعاث للدراسة العلمية في بلادهم»[٣].

مراكز التغريب:

مراكز التغريب هي مؤسسات التعليم والإعلام والثقافة التي تروج لأفكاره، وهناك مراكز خاصة أنشئت خصيصًا لخدمة هذا التيار وإن لم تحمل اسمه، فقد «كان للاستعمار في كل بلد يحتله أربع ركائز كبرى: أولها: الكنيسة وجهاز تبشير، وثانيها: مدرسة أو مدارس تعلم بلغة الدولة المستعمرة، وثالثها: عدد من الشركات في مختلف جوانب الحياة، وأخيرًا: مصرف رئيسي يهيمن على الجوانب الاقتصادية والمالية»[٤]، ونكتفي لبيان ذلك بمثالين كليهما يتعلق بالجانب التعليمي؛ لأنه أساس صناعة المستقبل:

الأول: كلية فيكتوريا بالإسكندرية التي أسسها كرومر لتربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربية. قال اللورد لويد (المندوب السامي البريطاني في مصر) حينما افتتح هذه الكلية سنة ١٩٣٦م: «كل هؤلاء لن

---

(١) من مقال للمدعو عبد العزيز الدخيل. نشر في: جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٣/ ٤/ ٢٠٠٢م.

(٢) التغريب الثقافي وانعكاساته التربوية والتعليمية في الوطن العربي، د. يزيد الشورطي (ص: ٥).

(٣) مقدمة كتاب التغريب في التعليم (ص: ٨)، نقلا عن: الابتعاث تاريخه وآثاره، د. عبد العزيز البداح (ص: ١٠٢).

(٤) الجامعة الأمريكية حصان طروادة، محمد رضا. بحث منشور على هذا الرابط:
https://www.lahaonline.com/articles/view/٧٣٩٤.htm، بتاريخ: ١٥/ ٥/ ٢٠٢١م.

يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ»[١].

الثاني: الجامعة الأمريكية في القاهرة، فقد أنشئت الجامعة الأمريكية ولم تهتم بتدريس العلوم البحتة كالطب والزراعة والهندسة، ولكنها اهتمت ببث الأفكار الغربية عن طريق الدراسات الأدبية لدوام سيطرتها على العقول والأفكار، كتدريس الصحافة والإعلام والاقتصاد والتاريخ والإدارة وعلم المصريات[٢] وعلم النفس والاجتماع ودراسات في الشرق الأوسط، كل هذه المواد لا يوجد لها مقرر محدد، لكن يوجد مجموعة من المحاور يتناولها أساتذة الجامعة وفق الرؤية التغريبية والمنظور العلماني ويعتمدون -في الغالب- على مراجع وأبحاث المستشرقين ذوي الاتجاهات المعادية للإسلام، ومن المهم بمكان الإشارة إلى أن وندل كليلاند رئيس الجامعة الأمريكية السابق كان يعمل بمكتب معلومات الحرب خلال فترة الحرب العالمية الثانية، وكان مقره آنذاك بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، مما يؤكد قيام مراكز للتجسس وجمع المعلومات بها - على الأقل- منذ ذلك التاريخ[٣].

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٩٩-٧٠٠).

(٢) وهو علم يختص بدراسة تاريخ مصر القديمة ولغتها وآدابها ودياناتها وفنونها.

(٣) انظر: الجامعة الأمريكية حصان طروادة، محمد رضا، بحث منشور على هذا الرابط:
https://www.lahaonline.com/articles/view/٧٣٩٤.htm، بتاريخ: ١٥/ ٥/ ٢٠٢١م.

المبحث الثالث:

نماذج من صور التغريب المعاصر في العالم الإسلامي

صور التغريب ظاهرة في مجالات عديدة:

المجال الفكري: حيث وجد من ينادي بالمذاهب التي نشأت في الغرب مع أنها نشأت في الغرب لأسباب تتعلق بحال الغرب وظروفه وأوضاعه من ديانة محرفة وصراع محتدم بين العلم ورجال دينهم وطغيان كنسي متعدد الوجوه إلى غيرها من الأسباب والظروف التي مهدت لظهور هذه التيارات الفكرية في أوروبا، ولكن هذه المذاهب وجدت لها سوقا رائجا في أكثر بلاد المسلمين، فلا يكاد يوجد مذهب في الغرب إلا ويوجد له بين المسلمين دعاة ومناصرون، بل تموت المذاهب في موطنها الأصلي، ويتخلى عنها أهلها، ويظل لها في بلاد المسلمين دعاة متحمسون يدافعون عنها، ويتطوعون في نشرها بين المسلمين.

المجال الاجتماعي: ويتمثل في ظهور حركات التمرد الاجتماعي والإباحية، يقول ولفرد كانتول سميث: «إن من أهم أسباب حركة الحرية والإباحية التي تسود اليوم في العالم الإسلامي، ومن أكبر عواملها نفوذ الغرب، فقد بلغت هذه الحركة أوجها في أوروبا من أواخر القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى، وهكذا شأن نهضة أوروبا وتقدمها»[١].

المجال الاقتصادي: لما خرج المستعمر من الدول العربية والإسلامية التي وقعت تحت براثن الاحتلال لم تجد هذه الدول إلا النموذج الاقتصادي الرأسمالي الغربي والنموذج الاقتصادي الاشتراكي الشرقي، فمنهم من أخذ بالنموذج الغربي، ومنهم من أخذ بالنموذج الشرقي، ولم يسلم من ذلك سوى الدول التي سلمت من الاستعمار كالمملكة العربية السعودية التي لم تمر عليها مرحلة الاستعمار فسلمت من تبعاته.

المجال التشريعي: لقد تم في أكثر البلدان الإسلامية العدول عن تحكيم الشريعة الإلهية إلى تحكيم القوانين الوضعية، يقول المستشرق جب: «إن البلدان الإسلامية أخذت بالنمط الأوروبي في الدساتير والأنظمة الإدارية والجزائية، فضلا عن القوانين التجارية والمدنية»، ثم يقول: «ولم يبق حتى يومنا هذا سوى السعودية وأفغانستان من الدول التي حافظت على النظام الإسلامي»[٢].

---

(١) نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، أبو الحسن الندوي (ص: ٣٩).

(٢) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، جب (ص: ١٢٤)، نقلا عن: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. محمد رشاد سالم (ص: ٧٥).

المبحث الرابع:
موقف التغريبيين من قضايا المرأة المسلمة

يستهدف التغريب المرأة المسلمة، لتكون صورة من المرأة الغربية في سفورها وتبرجها وتمردها، ولذا فقد أثار دعاته العديد من الدعاوى في سبيل ذلك كقضية تحرير المرأة، وعمل المرأة، والقوامة، وتحديد النسل، والمساواة بين الرجل والمرأة، وقضية الحجاب، وهكذا حاولوا ما وسعتهم الحيلة أو المحاولة إفساد المرأة وإخراجها من دينها وحيائها وعفافها باسم الحرية والمساواة، حتى قال سلامة موسى النصراني المصري مهاجما حجاب المرأة المسلمة: «لم تنكب أمة في العالم بمثل ما نكبنا به من حجاب المرأة، فلو أن زلزالا حدث في مصر وقتل نحو عشرة ملايين نفس، ولم يترك سوى مليون، لكان أثره في الأمة من حيث ذكاؤها ونشاطها أقل جدًّا من أثر الحجاب»[١].

وقد خرجت في مصر امرأتان من داعيات التغريب وعززن بثالثة يهودية مع ثلاثمائة من التابعات لهن في مظاهرة عام ١٩١٩م فمزقن الحجاب وأحرقنه في ميدان عام، وظهرن سافرات أمام كتائب الإنجليز[٢].

ومن خلال التغريب أثيرت كثير من الشبهات حول المرأة المسلمة ونظام الأسرة في الإسلام، ونقلت كثير من العادات والتقاليد الغربية إلى الأسرة المسلمة، وظهرت الحركات النسائية الهدامة، وألغيت كثير من التشريعات الإسلامية التي تحمي المرأة وتحفظ الأسرة من التشرذم والضياع[٣].

ومن أبرز النماذج لمواقف التغريبيين من قضايا المرأة الدعوة إلى ما أسموه (تحرير المرأة) وقد تولى كبر هذه الدعوة قاسم أمين في كتابيه: (تحرير المرأة)، و(المرأة الجديدة)، ومن أبرز الأفكار التغريبية التي اشتملت عليها هذه الدعوة ما يلي:

١- حجاب المرأة بوضعه السائد ليس من الإسلام، ولا يوجد نص في الشريعة يوجب الحجاب، وإنما الحجاب عادة عرضت للمسلمين من مخالطة بعض الأمم[٤].

---

(١) اليوم والغد. سلامة موسى (ص: ٣٠).

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية، مأمون الساكت، وعطا الله خضر (ص: ٢٠٣).

(٣) انظر: مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. أحمد الشرقاوي، د. إبراهيم عيسى (ص: ١٨٨).

(٤) انظر: تحرير المرأة، قاسم أمين (ص: ٦٨).

٢- المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق[١].

٣- تعدد الزوجات من العادات القديمة التي كانت مألوفة عند ظهور الإسلام[٢].

٤- الطلاق لا يتم إلا أمام القاضي في وثيقة رسمية بحضور شاهدين[٣].

(١) انظر: تحرير المرأة (ص: ١٣٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ١٥٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ١٧٩)، وراجع العرض الموجز الذي قدمه د. محمد محمد حسين لقضايا الكتاب في: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٢٧٣-٢٨٠).

المبحث الخامس:
سبل مواجهة التغريب

يجمع سبل مواجهة التغريب أصلان:

الأصل الأول: بيان الحق، وهو دين الله الذي شرعه للناس جميعا، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، قال ابن عباس: «تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»[(١)].

ومن ذلك بيان عقيدة الإسلام العظيمة وشريعته العادلة وقيمه الرفيعة، ولا سيما فيما يتعلق بتأسيس أصول العقيدة في مواجهة المذاهب الهدامة، وأحكام الله العادلة في مواجهة القوانين الوضعية، وبيان مكانة المرأة في الإسلام مقارنة بحالها في الأمم التي لا تدين بالإسلام.

الأصل الثاني: كشف الباطل وتعريته، وهذا من أهم الواجبات، وهو من بيان سبيل المجرمين؛ فإن ما منيت به الأمة من غزو فكري غربي قد أدّى إلى تبدل كثير من أحوالها وتغير قيمها إلا ما رحم ربك، حتى أصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا، وعاد الدين غريبا كما بدأ، ولن يصلح حال آخر الأمة إلا بما صلح به أولها[(٢)].

وإذا كنا هنا نتحدث عن سبل مواجهة التغريب فهذا لا يعني رفض كل ما عند الغرب من علوم نافعة ومخترعات حديثة ووسائل تقنية نافعة، لأن العلم لا وطن له، وهو إرث بشري متوارث بين شعوب الأرض، وقد كانت أساس نهضة أوروبا الحديثة هي الحضارة الإسلامية[(٣)].

كما أن موجة التغريب التي ظهرت في بلاد المسلمين يواجهها ويقابلها انتشار الإسلام في بلاد

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩١).

(٢) انظر: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. محمد رشاد سالم (ص: ١٤٨).

(٣) انظر: شمس العرب تسطع على الغرب. زيغريد هونكه (ص: ١٢).

الغرب، حتى أصبح للمسلمين وجود كبير في أوروبا وأمريكا، ودخل في الإسلام علماء بارزون في تخصصاتهم في شتى فروع المعرفة ومجالات العلم، وهذا من شأنه أن يساعد في انحسار موجة المد التغريبي عن ديار المسلمين[١].

ومما يساعد على ذلك أيضًا الأفول الحضاري للغرب، فالعالم الغربي رغم امتلاكه لمقومات الحضارة المادية والتقدم المدني والاكتشافات العلمية إلا أنه يعاني من إفلاس روحي وفقر أخلاقي وتفكك أسري وشقاء نفسي ينذر بكارثة حضارية[٢].

(١) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، د. عمر الأشقر (ص: ١٩٠).
(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ١٩٠-١٩١).

ملخص الفصل الرابع

- **تعريف التغريب:** هو ذلك الاتجاه الذي يعبر فيه أصحابه عن ضرورة جعل (الغرب) هو المنبع الرئيس الذي يجب أن تأخذ منه الثقافة العربية ولا تبغي سواه.
- **نشأة التغريب:** التغريب بهذا الاصطلاح نشأ في الغرب، وارتبط بالهجمة الاستعمارية الإمبريالية الأوروبية، وذلك في القرن التاسع عشر، وكانوا يعنون به نشر الحضارة الغربية في البلاد الآسيوية والإفريقية الواقعة تحت سيطرتهم.
- **أهداف التغريب:** (١) التمهيد للاستعمار في صوره المختلفة لاستغلال ثروات الأمة الإسلامية واستعباد شعوبها. (٢) حراسة مصالح الاستعمار بتقريب الهوة التي تفصل بينه وبين المسلمين. (٣) تفتيت وحدة المسلمين، وذلك بإضعاف الرابطة الإسلامية التي تجمعهم. (٤) ضرب ثوابت الأمة الإسلامية التي تتجلى في كتاب ربها وسنة نبيها ولغتها. (٥) الانتقام الصليبي.
- **وسائل التغريب:** (١) التعليم، ومن ذلك: أ- المدارس الأجنبية. ب- المناهج الغربية. ج- المراكز البحثية التي تُموَّل من جهات أجنبية. (٢) الاستعمار. (٣) دعاة التغريب، وهؤلاء طائفتان: الأولى: النصارى العرب. الثانية: المستغربون من المنتسبين للإسلام. (٤) الإعلام المقروء والمسموع والمرئي.
- **صور التغريب:** صور التغريب ظاهرة في مجالات عديدة: (١) المجال الفكري: حيث وجد من ينادي بالمذاهب التي نشأت في الغرب ويروج لها في بلاد المسلمين. (٢) المجال الاجتماعي: ويتمثل في ظهور حركات التمرد الاجتماعي والإباحية. (٣) المجال الاقتصادي: فإنه لما خرج المستعمر من الدول العربية والإسلامية التي وقعت تحت براثن الاحتلال لم تجد هذه الدول إلا النموذج الاقتصادي الرأسمالي الغربي والنموذج الاقتصادي الاشتراكي الشرقي، فمنهم من أخذ بالنموذج الغربي، ومنهم من أخذ بالنموذج الشرقي. (٤) المجال التشريعي: لقد تم في أكثر البلدان الإسلامية العدول عن تحكيم الشريعة الإلهية إلى تحكيم القوانين الوضعية.

- يستهدف التغريب المرأة المسلمة، لتكون صورة من المرأة الغربية في سفورها وتبرجها وتمردها، ولذا فقد أثار دعاته العديد من الدعاوى في سبيل ذلك كقضية تحرير المرأة، وعمل المرأة، والقوامة، وتحديد النسل، والمساواة بين الرجل والمرأة، وقضية الحجاب، وأثيرت كثير من الشبهات حول المرأة المسلمة ونظام الأسرة في الإسلام، ونقلت كثير من العادات والتقاليد الغربية إلى الأسرة المسلمة، وظهرت الحركات النسائية الهدامة، وألغيت كثير من التشريعات الإسلامية التي تحمي المرأة وتحفظ الأسرة من التشرذم والضياع، وذلك في كثير من بلدان المسلمين.
- **سبل مواجهة التغريب يجمعها أصلان:** الأصل الأول: بيان الحق، وهو دين الله الذي شرعه للناس جميعا. الأصل الثاني: كشف الباطل وتعريته، وهذا من أهم الواجبات، وهو من بيان سبيل المجرمين. وهذا لا يعني رفض كل ما عند الغرب من علوم نافعة ومخترعات حديثة ووسائل تقنية نافعة، لأن العلم لا وطن له.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف التغريب، وبين تاريخ نشأته في العالم الإسلامي.

س٢: اذكر أهداف التغريب ووسائله في تحقيق أهدافه.

س٣: بين صور تغريب المرأة المسلمة في العصر الحاضر.

س٤: ما سبل مواجهة حركة التغريب في رأيك.

الفصل الخامس:
الصهيونية والماسونية

المبحث الأول:
التعريف بالصهيونية ونشأتها

التعريف بالصهيونية:

هي حركة سياسية يهودية نشأت في القرن التاسع عشر على يد هرتزل، غايتها: جمع اليهود وتهجيرهم إلى فلسطين، وتأسيس دولة يهودية.

جاء في موسوعة (الصهيونية وإسرائيل) التي صدرت في نيويورك عام ١٩٧١م تحت رعاية الرئيس الإسرائيلي سلمان شازار تحت كلمة (الصهيونية): هو «مصطلح ظهر في عام ١٨٩٠م، وأعطي للحركة التي تضع هدفًا لها عودة الشعب اليهودي إلى أرض الميعاد (فلسطين)، ومنذ عام ١٨٩٦م ارتبطت كلمة (الصهيونية) بالحركة السياسية التي أسسها ثيودور هرتزل»[١]، فهو يعرفها من خلال هدفها، وهو العودة إلى ما يسمونه أرض الميعاد، فكل يهودي يحمل هذا الهدف أو يعين عليه فهو صهيوني، وهذا هو الفرق بين اليهودي والصهيوني، ولذا يقول د. أحمد شلبي: «الصهيوني هو: اليهودي الذي يؤثر أن يعيش في فلسطين، وهو كذلك من يساعد اليهود ماديًا وأدبيًا ليستوطنوا فلسطين»[٢].

وجاء في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية تعريف الصهيونية بقولهم: «الصهيونية هي الحركة الوطنية التي تتمسك بفكرة استرداد الشعب اليهودي لوطنه -أرض إسرائيل[٣]- وعودة الحياة اليهودية السيادية فيه»[٤]، وهو تعريف يحمل طابع التمجيد لها والتمسك بأهدافها.

ويقول د. محمود دياب: «هي حركة منظمة تنظيمًا مركزيا عالميًا تستهدف استعمار أرض العرب وإجلاءهم عنها من النيل إلى الفرات، واستبدال أهلها بقوم من مختلف الأجناس في دولة

(١) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، روجيه جارودي (ص: ٣٤-٣٥).

(٢) انظر: اليهودية، د. أحمد شلبي (ص: ١١٩).

(٣) هذا بحسب مزاعمهم، وإلا فهي أرض فلسطين الإسلامية العربية.

(٤) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، على هذا الرابط: https://cutt.us/6hCud

إسرائيل تدين لها بالولاء وتمتثل لأوامرها جماهير اليهود من رعايا الدول الأخرى»[١].

إذن الصهيونية هي الحركة السياسية التي أسسها هرتزل، والتي جعلت هدفها احتلال فلسطين بدعوى العودة إلى أرض الميعاد، والصهيوني هو من يشارك في تحقيق هذا الهدف.

نشأتها:

نشأت الصهيونية في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي[٢]، بهدف دعوة اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين تحت شعار ديني، هو: العودة إلى ما أسموه (أرض الميعاد)، يقول د. عبد الوهاب المسيري: «لم يسلَّ مصطلح (الصهيونية) إلا في القرن التاسع عشر»[٣]، حيث بدأت النزعات الصهيونية تظهر بين اليهود أنفسهم في أواخر القرن التاسع عشر مع تفاقم المسألة اليهودية، وعبرت عن نفسها في بادئ الأمر عن طريق المساعدات التي كان أثرياء اليهود في الغرب يدفعونها للجمعيات التوطينية المختلفة التي كانت تهدف إلى توطين يهود شرق أوروبا في أي بلد ويشمل ذلك فلسطين، وقد نحت المصطلح نفسه المفكر اليهودي النمساوي نيثان بيرنباوم في أبريل ١٨٩٠م في مجلة الانعتاق الذاتي، وبعد المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧م في مدينة بازل السويسرية تحدد المصطلح[٤].

وقد قوبلت هذه الحركة التي أسسها ثيودور هرتزل بمعارضة شديدة من بعض حاخامات اليهود[٥].

أما الصهيونية من حيث جذورها فهي حركة دينية فكرية تهدف إلى تمكين العنصر اليهودي من تملك أرض الميعاد، وقهر جيرانها الأعداء، وتركيز سلطة العالم الروحية والحضارية والفكرية في صهيون، فهي فكرة قديمة جدًّا في رأي بعضهم[٦].

---

(١) الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر (ص: ١٣).

(٢) انظر: موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية. على هذا الرابط: https://cutt.us/٦hCud

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٦/ ١٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٦/ ١٥).

(٥) انظر تفصيل ذلك في: محاكمة الصهيونية الإسرائيلية (ص: ٣٦-٣٧).

(٦) انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي (ص: ٧).

المبحث الثاني:
مصادر الفكر الصهيوني

مصادر الصهيونية باعتبارها حركة دينية هي نفسها مصادر الديانة اليهودية، ولليهودية مصدران رئيسان:

الأول: التوراة، وهي مجمع عليها بين اليهود على اختلاف بينهم فيما يعتمد من أسفارها.

الثاني: التلمود، وهو مصدر معتمد لدى جمهور اليهود، ولا تؤمن به بعض طوائفهم كالصدوقيين[١] والسامريين[٢].

المصدر الأول: التوراة:

التوراة: «كلمة عبرانية معناها: الشريعة أو الناموس»[٣]، ويقول اليهود: «إن أهم نصوص الديانة اليهودية هو التوراة ذاتها (ما يسميه بعض المسيحيين العهد القديم)، والتي تتألف من أسفار التوراة والأنبياء والكتب»[٤].

وترتيبها بحسب تقسيم اليهود على النحو التالي:

القسم الأول: التوراة، وهي كتب موسى أو الأسفار الخمسة، وهي: (١) التكوين، (٢) والخروج، (٣) واللاويين، (٤) والعدد، (٥) والتثنية.

القسم الثاني: الأنبياء (نبينيم)، وعددها ثمانية، وهو قسمان:

الأول: يضم أربعة أسفار، وهي: (١) يوشع، (٢) والقضاة، (٣) وصموئيل (الأول والثاني)، (٤) والملوك (الأول والثاني).

والثاني: يضم أسفار الأنبياء الكبار، وهم: (١) أشعيا، (٢) إرميا، (٣) حزقيال، (٤) أسفار

---

(١) وهم فرقة صغيرة اندثرت مع الزمن، وسموا بهذا الاسم نسبة إلى كاهن يدعى صادوق، وقيل إن التسمية أطلقت عليهم من قبل أعدائهم لأنهم عرفوا بالإنكار، فهي نوع من التسمية المضادة. انظر: دائرة المعارف الكتابية (٥/ ١١)، موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٣٢٣)، قاموس الكتاب المقدس (ص: ٥٣٩)، الفكر الديني اليهودي. د. حسن ظاظا (ص: ٢١٤)، دراسات في الأديان، د. ناصر القفاري (ص: ٢١٩-٢٢١).

(٢) وهم فرقة يهودية صغيرة قليلة العدد. يعيش بعضهم في نابلس، وبعضهم في حولون (إحدى ضواحي تل أبيب)، وسموا بهذا الاسم نسبة إلى مدينة السامرة القديمة. انظر: دائرة المعارف الكتابية (٤/ ٣٢٤)، العقائد. عمر عنايت (ص: ٧٩)، الفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا (ص: ٢٠٨). دراسات في الأديان. د. ناصر القفاري (ص: ٢١٣-٢١٤).

(٣) تفسير المنار (٣/ ١٢٩).

(٤) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية. على هذا الرابط: http://cutt.us/jtxSm بتاريخ: ٢٥/ ٦/ ٢٠١٩م.

الأنبياء الصغار أو الأنبياء الاثني عشر (ناحوم، حبقوق، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبيديا، يونان، ميخا، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي).

القسم الثالث: الكتابات (كتوبيم)، ويحتوي على أحد عشر سفرًا، وهي: (١) المزامير، (٢) الأمثال، (٣) أيوب (أسفار الكتابات الشعرية)، (٤) نشيد الإنشاد، (٥) المراثي، (٦) راعوث، (٧) إستير، (٨) الجامعة (أسفار اللفائف الخمسة)، (٩) دانيال، (١٠) عزرا ونحميا، (١١) أخبار الأيام الأولى والثانية (أسفار الكتابات التاريخية).

فعدد مجموع أسفار العهد القديم لدى اليهود: (٢٤) سفرًا[١]، ويفيد المؤرخ اليهودي يوسيفوس بأن عدد الأسفار (٢٢) سفرًا، بضم سفر راعوث إلى القضاة، وسفر المراثي إلى إرميا[٢]، بينما يقسمها آخرون إلى ٣٩ سفرًا[٣]، وهذا الاختلاف بالزيادة والنقص مرده إلى ضم بعض الأسفار إلى بعض، أو عدمه، وفي كتاب (المدخل إلى العهد القديم) للقس صموئيل يوسف ترتيب أسفار العهد القديم بحسب اللغة الأصلية (العبرية)، وذكر أنها ٣٩ سفرًا[٤]، لكن ذكر أنها عند اليهود ٢٤ سفرًا بدمج صموئيل الأول مع الثاني، والملوك الأول مع الثاني، والأخبار الأول مع الثاني، وعزرا مع نحميا، ومع اعتبار الأسفار الاثني عشر سفرًا واحدًا[٥].

وهناك أسفار أخرى لدى اليهود تسمى (الأبوكريفا) أي: الكتب غير القانونية، أو المخفية، ويعنون أنها نصوص مروية على أنها مقدسة، ولكنها لم تقبل عندما تم تسجيل أسفار العهد القديم لديهم، مثل: سفر يهوديت، وسفر يسوع بن سيراخ، وكتب المكابيين[٦].

ولا شك أن هذه التوراة هي التوراة المحرفة لا التوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى -عليه السلام-[٧].

المصدر الثاني: التلمود:

وهو اسم عبري معناه: تعليم، أي: الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية[٨]، ويعرف

---

(١) اعتمدنا في هذا على كتاب: العهد القديم وعالمه وتحدياته. القس د. عيسى دياب (ص: ١٩)، المدخل إلى العهد القديم. القس صموئيل يوسف (ص: ٣٢). التوراة الهيروغليفية. د. فؤاد حسنين (ص: ٢٠-٢١). تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. محمد فتحي الزغبي (ص: ٤٧).

(٢) انظر: العهد القديم عالمه وتحدياته (ص: ١٩).

(٣) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د. علي عبد الواحد وافي (ص: ١٣).

(٤) انظر: المدخل إلى العهد القديم. القس صموئيل يوسف (ص: ١٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص: ٣٢).

(٦) انظر: الفكر الديني اليهودي (ص: ٦٢). الأسفار المقدسة في الأديان السابقة (ص: ١٦).

(٧) انظر البراهين على تحريف التوراة في: دراسات في الأديان، د. ناصر القفاري (ص: ١٠٨) وما بعدها.

(٨) انظر: فضح التلمود، الأب براناتيس (ص: ٢١).

التلمود باسم (الشريعة الشفهية)؛ لتمييزه عن التوراة التي تعرف باسم (الشريعة المكتوبة)[١]، ويعتبر التلمود المصدر الثاني للدين اليهودي بعد العهد القديم، وهو مصدر شارح للعهد القديم، ومفسر لمادته الدينية، ويحتل مكانة كبيرة في تكوين الدين اليهودي[٢].

أقسام التلمود: يتكون التلمود من قسمين:

١- المشنا، وهو المتن.

٢- الجمارا، وهو الشرح له.

ويطلق عليهما معًا اسم (التلمود)، و«قد تطلق كلمة (التلمود) أو (التلموذ) على الجمارة وحدها، أو على المشناة والجمارة معًا»[٣].

ويقول السموأل المغربي: «فأما المشنا فهو الكتاب الأصغر وحجمه نحو ثمانمائة ورقة، وأما التلمود فهو الكتاب الأكبر[٤]، ومبلغه نحو نصف حِمْل بَغلٍ لكثرته، ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه في عصر واحد وإنما ألفوه في جيل بعد جيل»[٥].

والمشنا كلمة عبرية معناها: التكرار، وتعرَّف اصطلاحًا بأنها: مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والفتاوى والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال شفاهة[٦]، وقد جمعها يهوذا هاناسي فيما بين ١٩٠ و ٢٠٠م، أي: بعد قرن تقريبًا من تدمير الهيكل[٧].

وتم وضعها في ستة أجزاء، يعرف الجزء الأول باسم (الزراعات)، ويتناول كافة القضايا المتعلقة بفلاحة الأرض، والجزء الثاني باسم (المواسم والأعياد) ويتناول قضايا الأعياد والسبوت والتقويم اليهودي، وقواعد الطقوس التي تنظم الاحتفالات الدينية الخاصة بكل عيد، ويعرف الجزء الثالث باسم (النساء) ويتناول قضايا الأحوال الشخصية والعلاقات الأسرية، ويعرف الجزء الرابع باسم (الجنايات أو الأضرار) ويتناول القانون الديني وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض، والأحكام الخاصة بالخسائر والأضرار والتعويضات المترتبة عليها، ويعرف الجزء الخامس باسم

---

(١) انظر: التلمود أصله وتسلسله وآدابه، د. شمعون مويال (ص: ٢١)، ترجمة: د. ليلى إبراهيم أبو المجد. المدخل لدراسة التوراة، د. محمد البار (ص: ١١١).

(٢) انظر: مقدمة د. محمد خليفة حسن لمتن التلمود (المشنا). ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود (ص: ٤).

(٣) كنوز التلمود، محمد خليفة التونسي (ص: ١١)، وانظر: الكنز المرصود في قضائع التلمود، د. محمد الشرقاوي (ص: ٤٢) هامش: ١.

(٤) هذا يدل على أن اسم التلمود عنده مختص بالجمارا. انظر: بذل المجهود في إفحام اليهود (ص: ١٦١). هداية الحيارى (٢/ ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٥).

(٥) إفحام اليهود (ص: ١٦١).

(٦) انظر: مقدمة المشنا (١/ ٧-٨)، ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود.

(٧) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان (ص: ١١).

(المقدسات) ويتناول قضايا العبادة وبخاصة في الهيكل، والطقوس والشعائر المتعلقة بالقرابين والتضحيات في الهيكل، ويعرف الجزء السادس والأخير باسم (الطهارة) ويتناول القضايا الخاصة بالنجاسة وكيفية التطهر[١].

والجمارا أو الجمارة[٢] -بكسر الجيم- كلمة عبرية معناها: الإكمال[٣]، وهي تعني: التعليقات والحواشي والشروح التي علقها علماء اليهود على المشنا، فمن المشنا وشروحها تكون (التلمود)[٤].

وهناك نوعان أو نسختان من (الجمارا): جمارا أورشليم (فلسطين)، وجمارا بابل (العراق).

فجمارا أورشليم (أو فلسطين) هو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين، أو بالأخص علماء مدارس طبرية لشرح أصول المشناه، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠م، وهو أقل حجمًا وقيمة من التلمود البابلي[٥].

وجمارا بابل هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناه، دوَّنها علماء بابل اليهود، وانتهوا من جمعه سنة ٥٠٠م تقريبًا.

«فالمشنا واحدة، ولكنَّ لها جمارتين: فلسطينية تمت في مدارس فلسطين في أخريات القرن الرابع، وبابلية تمت في مدارس بابل في آخر القرن الخامس، وأضيفت إليها سبعة أبواب في القرن السادس ... ويقارب حجم التلمود البابلي أربعة أضعاف الفلسطيني»[٦]، وكلاهما يطبع على حدة[٧].

وكثير من اليهود ممن يعتمد التلمود لا يعتدون كثيرًا بالتلمود الفلسطيني، ويعدون التلمود البابلي أكثر شمولًا وأفضل ترتيبًا منه، ولذا يحتل التلمود الفلسطيني عندهم مركزًا أدنى[٨]، فالتلمود البابلي هو الأكثر شيوعًا وتداولًا بين اليهود[٩].

---

(١) انظر: مقدمة المشنا (١/ ١٢-١٦)، التلمود أصله وتسلسله وآدابه، د. شمعون موبال (ص: ٢٢).

(٢) وتكتب أحيانًا (الغامارة).

(٣) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان (ص: ٢٠-٢١).

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٢٢٢). الكنز المرصود في قواعد التلمود. ترجمة: د. يوسف نصر الله (ص: ٤٧-٤٨).

(٥) انظر: التلمود أصله وتسلسله وآدابه، د. شمعون موبال (ص: ٢٣).

(٦) كنوز التلمود، محمد خليفة التونسي (ص: ٢٢).

(٧) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان (ص: ١١-١٢).

(٨) انظر: التاريخ اليهودي، إسرائيل شاحاك (ص: ٦٢)، ترجمة: صالح علي سوادح.

(٩) مقدمة المشنا، د. مصطفى عبد المعبود (ص: ١٧).

والتلمود من الكتب التي افتراها اليهود كذبا ونسبوها إلى الله تعالى[١].

أما مصادر الصهيونية باعتبارها حركة سياسية فأهمها مصدران:

المصدر الأول: بروتوكولات حكماء صهيون[٢]، وهي مجموعة من البروتوكولات عددها ٢٤ بروتوكولًا تمثل الخطة السرية لليهود لتحقيق أهدافهم، ويقال بأنها خلاصة التعاليم التوراتية والتلمودية، وقد نشرت في كتاب سمي بهذا الاسم (بروتوكولات حكماء صهيون).

ويعدُّ هذا الكتاب الخطة التنفيذية أو ورقة العمل لوضع ما جاء في التوراة والتلمود موضع التنفيذ، وقد لخصت هذه البرتوكولات كل هذه التعاليم التوراتية والتلمودية المحرفة في خطة تنفيذية عملية حديثة ومعاصرة[٣].

ويرى مترجمه محمد خليفة التونسي أن هذا الكتاب هو أخطر كتاب ظهر في العالم، ولا يستطيع أن يقدره حق قدره إلا من يدرس البروتوكولات كلها كلمة كلمة في أناة وتبصر[٤].

وقد أجمل الأستاذ محمد خليفة التونسي مترجم الكتاب مضامين البروتوكولات، وأنها تتلخص في تدبير الوسائل للقبض على زمام السياسة العالمية، ونشر وسائل الفتنة التي تمهد لقلب النظام العالمي، وتهدده في كيانه بإشاعة الفوضى والإباحية بين شعوبه، وتسليط المذاهب الفاسدة، والدعوات المنكرة على عقول أبنائه، وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخلق القويم[٥].

المصدر الثاني: الدولة اليهودية، لتيودور هرتزل، ويعد أحد الكتب المقدسة للحركة الصهيونية، والكتاب مشروع يهودي قدمه هرتزل في نهاية القرن التاسع عشر لإقامة دولة يهودية في فلسطين، وقد تحقق هذا المشروع عام ١٩٤٨م وهو مستمر إلى الآن[٦].

---

(١) انظر نقد التلمود في: دراسات في الأديان، د. ناصر القفاري (ص: ١٣١) وما بعدها.

(٢) انظر اختلاف الباحثين حول نسبة الكتاب إلى اليهود في: دراسات في الأديان، أ.د. ناصر القفاري (ص: ١٤٨-١٥١).

(٣) انظر: الكنز المرصود في فضائح التلمود. د. محمد الشرقاوي (ص: ٦٩).

(٤) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون. محمد خليفة التونسي (ص: ٢٩).

(٥) انظر: مقال العقاد في تقديم كتاب بروتوكولات حكماء صهيون (ص: ١٣).

(٦) انظر: مقدمة كتاب الدولة اليهودية. عادل المعلم (ص: ٧).

المبحث الثالث:

أهداف الصهيونية ووسائلها

أهداف الصهيونية:

جاء في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: «الحركة الصهيونية حددت وأعلنت أهدافها الرئيسية: إقامة الوطن القومي للشعب اليهودي على أرض إسرائيل، على أساس خطة بازل»[١]، وهم يشيرون بذلك إلى أول مؤتمر دولي للصهاينة عقد في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م، وحضره نحو ثلاثمائة شخص يمثلون خمسين جمعية يهودية تمخض عنه تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية، وقد انتخب المؤتمر ثيودور هرتزل رئيسًا له، وفي اليوم الثاني من أيام انعقاده تم الاتفاق على تحديد الهدف الأساسي من قيام الحركة، وهو: أنها حركة ترمي إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي معترف به في أرض فلسطين[٢].

وسائل الصهيونية:

حدد مؤتمر بازل الوسائل الصالحة لتحقيق هذا الغرض، ومنها:

١- تأليف اليهود في جميع البلدان جماعات محلية، أو جماعات عامة على حسب القوانين المرعية في تلك البلدان، وهذه هي أهم وسيلة عندهم، ولذا جاء في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: «الحركة الصهيونية التي نشأت على أساس المبادرات التي قدمها هرتزل أقامت لها هيئات وآليات تنظيمية وسياسية واقتصادية لتنفيذ رؤيتها وأيديولوجيتها»[٣].

٢- تقوية الوعي اليهودي في كافة البلدان التي يوجد فيها اليهود.

٣- اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على السند الضروري من الحكومات[٤].

لكن يكشف هرتزل عن الهدف الحقيقي من وراء اختيار فلسطين وطنًا لليهود، وهو أن تكون دسيسة استعمارية، وخنجرًا مسمومًا في قلب الأمة الإسلامية، يسعى إلى تمزيق وحدتها وشق صفها، وحماية مصالح أعدائها، يقول روجيه جارودي: «كانت أهم عملية دبلوماسية لهرتزل هي اكتشافه القاسم المشترك بين كل المستعمرين الغربيين، وذكر في كتابه (الدولة اليهودية)

---

(١) انظر: موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، على هذا الرابط: https://cutt.us/6hCud

(٢) انظر: أبحاث في اليهودية والصهيونية، د. أحمد سوسة (ص: ١٤٦).

(٣) انظر: موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، على هذا الرابط: https://cutt.us/6hCud

(٤) انظر: الصهيونية العالمية، عباس العقاد (ص: ٢٤).

(الناشر ليبشوتز باريس ١٩٢٩م، ص٥٩) يقول: «من أجل أوروبا سوف نبني هناك حاجزًا في مواجهة آسيا، سنكون حراس المقدمة للحضارة ضد البربرية» منذ ذلك الحين أصبح إقامة دولة تلعب هذا الدور في الشرق الأوسط على المدى القصير والمدى الطويل مسألة تضمن مساندة كل المستعمرين الغربيين»[١].

فتتلخص أهداف الصهيونية في إقامة دولة إسرائيل الكبرى، واستخدام الوسائل المؤدية لذلك، وقد حققوا بعض هدفهم عام ١٩٤٨م، ثم تحقق لهم عام ١٩٦٧م مكاسب أخرى، وهم يحلمون للوصول إلى غايتهم، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

وإذا كانت أهم وسائل الصهيونية لتحقيق أهدافها تكمن في إقامة هيئات ومنظمات، فإن من أخطر هذه المنظمات وأوسعها نفوذا المنظمات النصرانية الصهيونية، وسيتبين ذلك فيما يلي.

منظمات نصرانية صهيونية:

هناك منظمات ذات أصول نصرانية من حيث المعتقد، لكنها صهيونية من حيث المواقف والأهداف، حيث تؤيد الصهاينة وتدعمهم، وهي منظمات كثيرة، حتى جاء في دراسة مقدمة لندوة الإعلام الصهيوني ومتطلبات المواجهة العربية أن عددها يقارب ٢٥٠ منظمة نصرانية كلها مؤيدة للصهيونية، ومن هذه المنظمات على سبيل المثال[٢] ما يلي:

١- الطائفة الإنجيلية الأمريكية، وهي إحدى الطوائف النصرانية المتصهينة، وقد ذكرت دراسة أعدها الأمريكيان مايكل ليدن وبربارا ليدن ونشرتها مجلة (نيز ريبلك) أن عدد أعضائها بلغ ٤٥ مليونًا، ولهم هيئة في القدس تسمى (صندوق الهيكل)، وينسق رؤساء الهيئة أعمالهم مع الحاخام الأكبر في إسرائيل وهو مردخاي إلياهو[٣].

٢- منظمة الأغلبية الأخلاقية، وهي منظمة سياسية دينية ذات فروع في جميع أنحاء أمريكا أسسها القس جيري فولويل عام ١٩٧٩م، ومن أهم ما تدعو إليه: أن اليهود شعب الله المختار، وأن الله بارك الولايات المتحدة الأمريكية لأنها باركت اليهود.

٣- مؤسسات بات روبرتسون، نسبة إلى القس بات روبرتسون، وشهدت هذه المؤسسات نموا واسعا خلال العقد الأخير، وقامت بدور خطير أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م حيث عبأ أنصاره وأتباعه لدعم هذا الغزو ومواصلته واستمراره.

٤- المنظمة النصرانية للقدس، وقد جاء تأسيسها تعبيرًا عن دور مدينة القدس المركزي لدى

---

(١) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية. روجيه جارودي (ص: ٣٩).

(٢) وللتعرف على المزيد من هذه المنظمات المتصهينة، انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي. إسماعيل كيلاني.

(٣) انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي. إسماعيل كيلاني (ص: ١٣٨).

النصارى، ومركزها الرئيس في كل من القدس وولاية كارولينا الشمالية، ولها فروع في ٣٧ دولة أوروبية وأمريكية[١].

وقد أقامت هذه المنظمات النصرانية المتصهينة مؤتمرًا عام ١٩٨٥م على غرار المؤتمر الصهيوني الأول برئاسة هرتزل بمدينة بازل بسويسرا في القاعة التي عقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول، واجتمع في هذا المؤتمر أتباع الكنائس النصرانية المؤيدة لقيام الدولة اليهودية التي يعتبرون قيامها تحقيقًا لنبوءات الكتاب المقدس بزعمهم، وفي هذا المؤتمر أعلنوا تضامنهم مع دولة الاحتلال (إسرائيل) ودعمها وتأييدها، ودعوة النصارى إلى أن يتخلصوا من معاداة السامية، ودعوة الدول إلى نقل سفاراتها إلى القدس، ودعوة الدول التي لم تعترف بإسرائيل إلى المسارعة في الاعتراف بها وتأييدها[٢].

ويأتي في سياق الدعم الغربي للصهيونية ما أعلنه الرئيس الأمريكي الأسبق دونالد ترامب في ٦ ديسمبر ٢٠١٨م باعتراف بلاده بالقدس عاصمة لإسرائيل، وطالب وزارة الخارجية باتخاذ الإجراءات اللازمة لنقل السفارة إلى مقرها الجديد، وقد صاحب ذلك استنكار دولي واسع، فقد أكدت المملكة العربية السعودية وقوفها مع الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه المشروعة، وأعلن الاتحاد الأوروبي رفضه لقرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس[٣].

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ١٤٠-١٤١).

(٢) انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل كيلاني (ص: ١٥١-١٥٤).

(٣) انظر تفاصيل هذا الخبر على هذا الرابط: http://cutt.us/glpM٤، بتاريخ ١٨/ ٨/ ٢٠١٩م.

المبحث الرابع:
صلة الصهيونية باليهودية العالمية

١- يرى بعضهم أن الصهيونية حركة سياسية لا صلة لها بالدين اليهودي، وممن يذهب إلى ذلك الأستاذ عباس العقاد، حيث يقول: «يغلب على ظن الكثيرين أن الصهيونية حركة دينية قديمة، وأنها مرتبطة بما ورد من الوعود للخليل إبراهيم -عليه السلام-، والواقع أنها ليست بالحركة الدينية، وليست بالحركة القديمة في بني إسرائيل أنفسهم، ولكنها حركة سياسية تابعة لقيام الدولة وسقوطها في بيت داود»[١]، ويلاحظ على كلام العقاد أنه ربطها ببيت داود وهو ذو بعد ديني لارتباطه بنبي الله داود، وبعد تاريخي يشير إلى تاريخ بني إسرائيل، فلا يتفق هذا مع قوله بأنها حركة سياسية!!

وجاء في كتاب (الدولة اليهودية) لهرتزل -الذي يعد أحد الكتب المقدسة للحركة الصهيونية- لما تحدث عن شكل الحكومة التي ستحكم الدولة عند قيامها تساءل: «هل سينتهي بنا المطاف إلى حكومة دينية؟» ثم أجاب قائلًا: «في الواقع لا، فبينما يوحدنا الإيمان تمنحنا المعرفة الحرية، لذلك سوف نحول دون محاولة أي نزعات دينية من قبل الكهنة إلى احتلال المقدمة، وسنبقي الكهنة داخل حدود معابدهم تمامًا كما سنبقي الجيش داخل حدود الثكنات العسكرية، وسيتلقى رجال الجيش والكهنة قدر الاحترام الذي تستحقه وظائفهم، إلا أنهم لن يتدخلوا في إدارة الدولة»[٢].

وقد صرح هرتزل بأن الصهيونية مشروع استعماري بحت لا صلة له بالديانة اليهودية، فقال: «لقد أبلغت الحاخام الأكبر في لندن، كما قلت للحاخام الأكبر في باريس زادوك كان: إنني لن أطيع أيًّا من التعاليم الدينية في مشروعي»، وحينما سئل: ما علاقتك بالتوراة؟ أجاب: «إنني مفكر حر»، ويعلق جارودي على ذلك بقوله: «كان مشروعه استعماريًّا بحتا ... لقد كان هذا المشروع يهدف في حقيقته إلى تشكيل شركة بميثاق تحت حماية قوة استعمارية كبرى مثل إنجلترا أو ذات طموحات استعمارية.. على أن تكون في أي مكان، سواء في أوغندا أو موزمبيق أو الأرجنتين أو قبرص أو ليبيا، ولكن أشار عليه أصدقاؤه أن فلسطين تمثل فعل السحر لعملية تعبئة أكثر فاعلية، وقرر هرتزل.. تأييد اقتراحهم من أجل استخدام ما أطلق عليه الأسطورة القوية.. أسطورة العودة والتي بالنسبة له تمثل مجرد أسطورة، ولكنها بالنسبة

(١) الصهيونية العالمية (ص: ١٠).

(٢) الدولة اليهودية، هرتزل (ص: ١١٧)، ترجمة: محمد فاضل.

لليهود المتدينين قوة محركة ... فقد كتب يقول: (أستطيع أن أقول لك كل شيء عن أرض الميعاد، باستثناء المكان التي توجد فيه؟! علينا الأخذ في الاعتبار كل العوامل الطبيعية، فمن أجل تجارتنا العالمية في المستقبل، علينا أن نكون في مكان بالقرب من البحر، ومن أجل تحقيق الميكنة الزراعية يجب أن نحصل على أرض واسعة قابلة للامتداد، والقرار سيتخذه مجلس إدارتنا)» ثم علق جارودي قائلًا: «ذلك هو أصل الصهيونية»[١]، بمعنى أنها بالنسبة لهرتزل حركة سياسية استعمارية بحتة، وبالنسبة لليهود المتدينين حركة دينية تهدف إلى العودة إلى أرض الميعاد.

ويبدو أنه اتخذ هذا المسلك السياسي؛ لأنه لو رفع الشعار الديني لوقفت في وجهه الدول النصرانية، ولذلك أعلنها دولة لا دينية في الظاهر، وأقول: (في الظاهر) لأنه صرح -كما سيأتي- بأن الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية (الدين) لا إلى أرض الميعاد (المكان).

ولذلك يصف روجيه جارودي زعماء الصهيونية العلمانيين بالتناقض قائلًا: «إنهم يزعمون أن تلك الأرض أعطاها لهم إله لا يؤمنون به!»[٢]، وهذا التناقض قد يكون مقصودًا لإخفاء الحقيقة، ومما يكشف ذلك ما قاله ناتان فاينستوك في كتابه (الصهيونية ضد إسرائيل): «ليس للصهيونية أي أساس أو مرجعية يعتد بها، إلا بالرجوع الانتقائي للعهد القديم، فسيؤدي إلغاء الإيمان بالشعب المختار وأرض الميعاد، سيؤدي إلى انهيار أسس الصهيونية، لهذا السبب تضع الأحزاب الدينية كل قوتها، رغم اختلافاتها وخلافاتها للتعاون مع الصهيونية التي لا تعلم شيئا عن الله، لقد أدى التماسك الداخلي للبناء الصهيوني الإسرائيلي إلى فرض سلطة رجال الدين، إنه حزب مباى (الديمقراطي-الاجتماعي) وليس الأحزاب الدينية، الذي فرض بناء على اقتراح ابن جوريون، تعليم الدين في المدارس»[٣].

٢- بينما يرى فريق آخر بأنها حركة دينية تستمد أصولها من الديانة اليهودية، ويستند في ذلك إلى عدة أدلة، منها:

الأول: دلالة التسمية، وهي (الصهيونية) المنسوبة إلى جبل صهيون الوارد ذكره في العهد القديم بين مائة ومئتين مرة[٤]، فالتسمية ذات شعار ديني، وصهيون يطلق على الجزء الجنوبي من القدس، ثم أصبح اليهود يطلقونه على القدس ويسمونه «بنت صهيون»[٥]، فقد جاء في

(١) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، روجيه جارودي (ص: ٣٣-٣٤).

(٢) المصدر السابق (ص: ٣١).

(٣) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، روجيه جارودي (ص: ٣١).

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص: ٥٥٨).

(٥) انظر: صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية، د. محمد عثمان شبير (ص: ٩٢).

التوراة: «ترنمي وافرحي يا ابنة صهيون؛ لأني ها أنا ذا آتي وأسكن في وسطك»[١].

الثاني: من خلال هدفها، وهو العودة إلى ما يسمونه أرض الميعاد، وهو ما ورد الوعد به في كتابهم المقدس حسب مزاعمهم، حيث يستندون في هذا الزعم إلى ما جاء في توراتهم المحرفة من وعد إلهي لإبراهيم -عليه السلام-، جاء فيه: «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقًا قائلًا: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات»[٢].

ولذلك فكل تعريف للصهيونية يربطها بهدفها، وهو احتلال فلسطين، وقد أصبح ذلك «أحد القوانين الأساسية لدولة إسرائيل الذي يعطي الحق لكل يهودي الهجرة إلى إسرائيل، والذي وافقت عليه الكنيست يوم ٥ تموز سنة ١٩٥٠م»[٣].

الثالث: من حيث النشأة، يقول هرتزل: «الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد»[٤]، وقال ليفي أبو عسل (المفكر اليهودي): «إن موسى كان أول من شيد صرح الصهيونية، ووطد دعائمها ونشر مبادئها السياسية، وقد أثبت الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالا مستمسكًا وثيقًا، ومتوافقة أجزاؤها تماسكًا محكمًا شديدًا»[٥]، وقال إسرائيل إبراهامز: «لقد أجمع يهود العالم على أن قوميتنا اليهودية المشتركة لن يكتسحها قصيرو النظر المتعصبون من دعاة الوطنية المحلية، فجميعنا إذن صهيونيون بحكم أن الصهيونية هي التي تقوي فينا روح التضامن، وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة»[٦].

الرأي المختار:

لعل الأقرب القول بأنها حركة سياسية في الظاهر، ودينية في الباطن، فهي «سياسية تهدف إلى جمع اليهود ولمّ شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين لتأسيس دولة يهودية فيها تدين بالدين اليهودي، وتتميز بالعنصر اليهودي وبالثقافة اليهودية، وبإرادة بعث مملكة داود. نشأت في أواسط القرن التاسع عشر على يد والدها وزعيمها الأول تيودور هرتزل»[٧].

---

(١) سفر زكريا (٢: ١٠).

(٢) سفر التكوين (١٥: ١٨).

(٣) معجم المصطحات الصهيونية (ص: ٢١٠).

(٤) صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية، د. محمد عثمان شبير (ص: ٩١).

(٥) يقظة العالم اليهودي، إيلي ليفي أبو عسل (ص: ٢٢).

(٦) صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية، د. محمد عثمان شبير (ص: ٩١).

(٧) أصول الصهيونية في الدين اليهودي (ص: ٧).

المبحث الخامس:
واجب المسلمين تجاه المخططات الصهيونية

يجب على المسلمين تجاه المخططات الصهيونية ما يلي:

١- معرفة هذه المخططات حق المعرفة، لأن معرفة خطط العدو من أهم أسباب الانتصار عليه، فلا بد من التعرف على الوسائل الخفية للمكر اليهودي الصهيوني لمواجهتها والحذر من الوقوع في براثنها.

٢- تعريف أهل الإسلام خصوصًا والعالم عمومًا بالخطط والوسائل الصهيونية التي لا تريد بالبشرية خيرًا، وتسعى إلى نشر الفساد في الأرض.

٣- إعداد القوة المادية والمعنوية لمواجهة هذا المكر الصهيوني، والذي بات يهدد وجود أمة الإسلام في وجودها ومستقبلها، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٤- الإيمان بوعد الله جل وعلا الذي وعدنا فيه بالنصر على اليهود، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء: ٤ - ٧].

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»[١].

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٢٢).

المبحث السادس:

مفهوم الماسونية ونشأتها وأهدافها ووسائلها

مفهوم الماسونية:

تتكون كلمة (Free Masonry) من ثلاثة مقاطع:

الأول: Free ومعناه: حر، أو غير مقيد.

والثاني: Mason ومعناه: حرفة الحجارة أو حرفة البناء، أو الحرفة عامة.

والمقطع الأخير: ry للنسبة، ومعنى الاسم: جمعية البنائين الأحرار[١].

وكان اسم هذه الجمعية في عهد التأسيس الأول (القوة الخفية)، ثم أطلق عليها اسم الماسونية (Free Masonry)[٢].

وهو مصطلح خادع؛ لأنه يوهم بأنه منسوب إلى مهنة البناء، ولكن حقيقة هذا المصطلح هو الإشارة إلى بناء ما يسمونه هيكل سليمان، فالبناء الحر يرمز إلى هيكل سليمان، والبناؤون الأحرار -بزعمهم- هم البناؤون الأوائل الذين بنوا هيكل سليمان[٣]، وهو رمز سيطرة اليهود بحسب خططهم أو أمانيهم على مقاليد العالم، ومن خلال هذا الشعار الخادع للماسونية يقول شاهين مكاريوس (أحد دعاة الماسونية والمدافعين عنها): «الماسونية جمعية أدبية أخذت على عاتقها خدمة الإنسانية وعضد الدين بأدبياتها وإصلاح الشعوب وتنوير الأذهان»[٤].

ولكن حقيقتها غير ذلك، بل هي -كما عرفها المستشرق الهولندي دوزي-: «جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة، هي: إعادة الهيكل؛ إذ هو رمز دولة إسرائيل»[٥].

ويقول الدكتور أحمد الشرباصي: «يطلق الماسون على جمعيتهم اسم جمعية (البنائين الأحرار)، وكذبوا، ولو صدقوا لسموها جمعية الهدامين الأشرار»[٦].

---

(١) انظر: الماسونية. أحمد عبد الغفور عطار (ص: ٨).

(٢) انظر: جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة. د. صلاح العادلي (ص: ٢٢٦).

(٣) انظر: الماسونية بين الشيوعية والصهيونية، د. عفيفي إبراهيم حسن (ص: ٥).

(٤) الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية، شاهين مكاريوس (ص: ٨).

(٥) الماسونية في العراء، د. محمد علي الزعبي (ص: ٢٢).

(٦) الماسونية مؤامرة أخرى على الإسلام، للدكتور أحمد الشرباصي. مقال بمجلة الهلال عدد جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ-يونيو ١٩٧٧م. (ص: ٢٨)، نقلًا عن: جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة (ص: ٢٣٩).

وتعددت تعريفات الباحثين للماسونية، وكلها ترجع لمعنى واحد، وهي: أنها جمعية يهودية سرية غايتها تحقيق أهداف اليهود، وإليك طائفة من أقوال الباحثين في تعريفها:

ويقول عبد الله التل: «الماسونية حركة يهودية هدفها القضاء على الأديان والمجتمعات الإنسانية، تمهيدًا لتسلط دولة اليهود على العالم»[١].

ويعرفها أحمد عبد الغفور عطار بأنها «جمعية سرية تحوي حشدًا من الناس ينتمون إلى مذاهب وديانات ونحل وجنسيات وأوطان مختلفة، تضم الملحد والمؤمن والشيوعي والقومي والرأسمالي والعربي وغير العربي، والمسلم وغير المسلم، والعامل ورب العمل، والكادح والمترف، والأرستقراطي والديمقراطي، تجمعهم غاية واحدة -في الظاهر- يعملون لها ولا يعلم حقيقتها إلا آحاد»[٢].

ويقول الجنرال رفعت آتلخان: «الماسونية هي الاسم الجديد للشريعة اليهودية المقنعة، ورموزها وتقاليدها يهودية كابالا[٣]»[٤]، وهو من أوجز التعاريف وأجمعها.

ويجمع ما تقدم القول بأن الماسونية «مؤسسة يهودية سرية انتشرت في معظم أنحاء العالم لخدمة أهداف الصهيونية»[٥]، وهو من أدق التعاريف، وأقربها لواقع الماسونية.

نشأتها:

اختلف الباحثون في تاريخ نشأة الماسونية على أقوال:

الرأي الأول: أن نشأة الماسونية موغلة في القدم حتى زعم بعضهم أنها نشأت حين كان موسى -عليه السلام- مع قومه في التيه، بل ادعى الدكتور جيمس أندرسون اليهودي[٦]، في (كتاب القوانين)[٧] أن الأستاذ الأكبر للماسونية -بزعمه- هو النبي موسى -عليه السلام- وهو الذي أنشأ المحفل الماسوني، وكان القيّم عليه بوصف كونه الأستاذ الماسوني الأكبر، فهو الذي نظم صفوف الإسرائيليين ووحدهم في محفل ماسوني منظم عندما كان في التيه، ويذكر أندرسون في كتابه المذكور أن الملك سليمان كان الأستاذ الأعظم للمحفل الماسوني في القدس، ثم كان

---

(١) جذور البلاء، عبد الله التل (ص: ١١٦).

(٢) الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ٧).

(٣) الكابالا هي مجموعة باطنية من الحكم تتعلق بأسرار الكون وبالإله والكائنات. كانت في مراحلها الأولى تدعى (الحكمة المستورة)، ثم صارت عند اليهود تدعى (الكابالا أو القبالة). انظر: أبحاث في اليهودية، د. أحمد سوسة (ص: ١٣).

(٤) أسرار الماسونية (ص: ١٩).

(٥) الماسونية في العالم العربي، وائل الدسوقي (ص: ١٧).

(٦) وقيل: إنه عالم مسيحي، ويجوز أن يكون مسيحيًا تهوّد. انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١١).

(٧) هو أقدم كتاب في الماسونية مطبوع بلندن سنة ١٧٢٣م. انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١١).

نبوخذنصر (٥٦٢- ٦٠٥ ق.م) الأستاذ الأعظم، مع أن نبوخذ نصر دمر أورشليم والهيكل[١]، ودعوى أن موسى -عليه السلام- هو الماسوني الأكبر، وأن سليمان -عليه السلام- هو الأستاذ الأعظم للماسونية مما درج عليه اليهود من الطعن في أنبياء الله ورسله -عليهم السلام- ونسبة النقائص ودنايا الأفعال إليهم.

الرأي الثاني: أن المؤسس الأول للماسونية هو (هيرودوس الثاني)، الذي كان واليًا على القدس لدولة الرومان، وذلك سنة ٤٣م، حيث أسس في القدس بالاشتراك مع مستشاريه اليهوديين (أحيرام ابيود)، و(مو آب لافي) جمعية سرية باسم (القوة الخفية)، وكان هدفها مقاومة دعوة المسيح -عليه السلام-، لأنه كان يبشر بزوال هيكل سليمان، وملاحقة النصارى وتشريدهم، وكان لهذه الجمعية مجلس سري مكون من تسعة أعضاء، وقد عقد أول مجلس بتاريخ ١٠/ ٨/ ٤٣م في مكان سموه الهيكل، وأطلق عليها اسم (كوكب الشرق الأعظم)، وفي آخر لقاء للجمعية قال أحيرام: هل يحسن في رأي سيدي ومولاي (الملك هيرودس) أن يكون اسم الجمعية (الاتحاد اليهودي الأخوي)؟ فأجابه الملك: كلا يا أحيرام، لقد هيأت لها اسمها أمس، وهو (القوة الخفية) أفلا تستحسنونه؟ فأجابوه جميعًا مستحسنين، وسجل الاسم، ثم وضع هؤلاء الأعضاء التسعة قسمًا يكون بمثابة الدستور للتنظيم اليهودي، ونصه: «أنا فلان بن فلان، أقسم بالله وبالتوراة وبشرفي بأنني حيث قد صرت عضوا من التسعة الأعضاء المؤسسين لجمعية القوة الخفية أتعهد ألا أخون إخواني أعضاءها بشيء يضر بشخصيته، ولا بكل ما يعود لمقررات الجمعية، أتعهد أن أتبع مبادئها وأتمم كل ما تقرره باتفاقنا نحن التسعة المؤسسين بكل دقة وطاعة وضبط، وبكل غيرة وأمانة، وأتعهد أن أجتهد بتوقير أعضائها، أتعهد بمناهضة كل من يتبع تعاليم الدجال يسوع، ومحاربة رجاله حتى الموت، أتعهد ألا أبوح بأي سر من الأسرار المحفوظة بيننا نحن التسعة لأي كان من الخارجين أو من أعضائها»[٢].

وهذه هي أول جمعية ماسونية تأسست في التاريخ، وإليها ترجع جميع التنظيمات الماسونية وتنبثق منها على امتداد التاريخ. وبدأ هذا الاسم يشق طريقه في التاريخ الإنساني حتى تحول سنة ١٧١٧م من (القوة الخفية) إلى (الماسونية العالمية)[٣].

الرأي الثالث: أنها ظهرت في بداية القرن الثامن عشر، وكان أول ظهور لها بهذا الاسم

---

(١) انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١١).

(٢) من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية، د. محمد الجليند (ص: ٢٦١-٢٦٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٦١).

(الماسونية) في اسكتلندا ببريطانيا، ومنها انتقلت إلى دول أخرى، وكان أول استعمال لكلمة (الماسونية) في مؤتمر لندن سنة ١٧١٧م برئاسة أندرسون، وقيل: إن هذا الاسم أطلقه عليها غود فروادي بويون [١].

الرأي الرابع: أنها مجهولة النشأة، يقول الماسوني شاهين مكاريوس: «تضاربت الآراء واختلفت الأقاويل فيها، فمن ناسبٍ أصلَها إلى أقدم الأزمان، ومن قائل: إنها لا تتجاوز الجيل السابع عشر، وبالإجمال فإن دون معرفة الحقيقة أستارًا مسدولة تمنع النور عن خَرْق الحجاب»[٢]، ويقول حسين اللاز (نائب الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطني السوري اللبناني) ومعه أحمد مختار نجا (السكرتير الأعظم للمحفل) في كتابهما (كيف أنشئ المحفل الأكبر الوطني السوري اللبناني): «إن أصل الماسونية ما زال في طي الكتمان، بل لغز من الألغاز الغامضة»[٣].

ويؤكد هذا القول كاتلين شلنجر (كاتب بحث الماسونية في دائرة المعارف البريطانية)، فيذهب إلى أن تاريخ الماسونية القديم لا يزال مجهولًا [٤].

سبب خفاء نشأتها:

يعلل الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار خفاء نشأة الماسونية بعدم وجود مادة تاريخية وثائقية تكشف الحقيقة أمام الباحث، فيقول: «غموض تاريخ الماسونية مع وجود المؤلفات الكثيرة مردود إلى عدم وجود الوثائق المكتوبة عنها، وما بذل من جهود لكشف حقيقتها في القرن الثامن عشر والتاسع عشر -وبخاصة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر- كان مبنيًّا على بعض تفسيرات الوصايا الموجهة إلى الإخوة من الأحداث والشباب المنتسبين إلى الجمعية، ولكنه لا يكفي لإلقاء الضوء الذي يكشف عما يكون صالحا لأن يكون مادة مؤرخ يريد كشف الحقيقة» [٥].

بينما يرى آخرون أن سبب ذلك يرجع إلى «تقلبها وتغير أسمائها وأساليبها حسب تغير الأمم والشعوب والديانات والعصور» [٦]. والأقرب أن السبب أنها جمعية سرية وأكثر أمورها تجري

---

(١) انظر: الماسونية، محمد صفوت السقا، وسعدي أبو حبيب (ص: ١٤-١٥)، من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية، د. محمد الجليند (ص: ٢٥٥).

(٢) الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية، شاهين مكاريوس (ص: ٣٤).

(٣) الماسونية في العالم العربي، وائل الدسوقي (ص: ٨٥).

(٤) انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١٠).

(٥) الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١٠).

(٦) الماسونية في العالم العربي، وائل الدسوقي (ص: ٨٧).

على نهج شفوي، وقد نقل الجنرال رفعت آتلخان في كتابه (أسرار الماسونية)[١] عن أحد المحافل الماسونية قولهم: «إن الماسونية مذهب سري لم تدون معالمها جميعا، وأكثر أمورها تجري على نهج شفوي»[٢]، وقد اعترف بهذه الحقيقة الماسوني شاهين مكاريوس، فقال: «جميع الذين ينظرون إلى الماسونية بعين الإخلاص، يحكمون بأن تسترها تواضع من أعضائها، لكي لا يظن الناس أنهم يشهرون أعمالهم ليطلبوا عليها أجرا»[٣]، وقال أيضًا: «إن أسرارنا هذه المقدسة هي ما بها يحفظ تصاون جمعيتنا عن أن يبتذل، فيكون مضغة في أفواه الغمارة، وفي كتمانها ما هو أدعى إلى الهيبة والإجلال»[٤].

انتشار الماسونية: بعد ظهور الماسونية في اسكتلندا تمددت فانتقلت إلى دول أخرى، فمن اسكتلندا انتقلت الماسونية إلى فرنسا سنة ١٧٣٢م، ثم انتقلت إلى غرب أوروبا ومستعمرات إنجلترا وفرنسا شرقا وغربا، فوصلت أمريكا سنة ١٧٣٣م، والبرتغال سنة ١٧٣٥م، وهولندا والدانمارك سنة ١٧٤٥م، والهند ١٧٥٢م، وإيطاليا سنة ١٧٦٣م، وبلجيكا سنة ١٧٦٥م، وروسيا سنة ١٧٧١م، والسويد سنة ١٧٧٣م، أما ألمانيا فقد تأسست فيها الماسونية سنة ١٧٧٦م، ومنها انتشرت في أقطار أوروبا الشرقية والوسطى، وهكذا، فللماسونية الحديثة منبعان رئيسيان: أ- منبع إسكتلندي ب- ومنبع ألماني. وكانت الماسونية «الإسكتلندية» تعرف باسم (الماسونية الحرة)، أما الماسونية الألمانية فكانت تعرف بـ(الماسونية النورانية)، إلا أن الماسونيتين سرعان ما التقتا في مجرى واحد في سويسرا وفرنسا.

وأما في الوطن العربي فقد كانت مصر أول بلد عربي تدخله الماسونية قادمة من أوروبا، وذلك عقب غزو بونابرت لها سنة ١٧٩٨م، ثم دخلت الماسونية العراق سنة ١٨٣٩م، وبيروت سنة ١٨٩٢م، وفلسطين سنة ١٨٧٣م، حيث أنشئ محفل (سليمان الملوكي الأساسي)، توالي بعده على مدى الثلاثين عاما التالية المخطط الماسوني، حيث غطت شبكة المحافل الماسونية جميع مدن فلسطين، وأما في مصر -وهو أول بلد عربي يبتلى بالماسونية، كما ذكرنا- فقد أسس بونابرت بها محفلًا في أولى سنوات غزوه لها باسم (محفل إيزيس)، ثم توقف نشاط المحفل بعد رحيل بونابرت، ومضى زمن طويل، ثم تكررت المحاولة في سنة ١٨٣٠م حيث أسس بعض

---

(١) وهو أهم الكتب عن الماسونية. كما ذكر ذلك لي الشيخ عبد الرحمن الدوسري -رحمه الله-.

(٢) أسرار الماسونية (ص: ٢٠).

(٣) الآداب الماسونية، مكاريوس (ص: ٧).

(٤) المصدر السابق (ص: ٢٤).

الإيطاليين في الإسكندرية محفلًا، ثم تلاه محفل آخر في القاهرة سنة ١٨٣٨م، وفي سنة ١٨٤٥م شهدت الإسكندرية تأسيس محفل آخر اسمه (الأهرام)، ثم انضم إليه كثيرون من الأجانب والأهالي، تحت سمع وبصر الحكومة إلى غير ذلك من المحافل التي تأسست بالقاهرة والإسكندرية، وامتدت إلى غيرهما من مدن مصر، حتى بلغ عدد المحافل بمصر في سنة ١٩٢٧م ٥٩ محفلًا، ثم صدر في ١٨/ ٤/ ١٩٦٤م قرار بحل الجمعيات والمحافل الماسونية بمصر بسبب السرية التي تغلف اجتماعاتها[١].

طبقات الماسونية:

تتكون الماسونية من ثلاث طبقات أو درجات، وهي:

الأولى: الماسونية الرمزية: ولقبت بالرمزية؛ لأنها تتضمن كثيرًا من الرموز التي تتصل بإحدى الحوادث الدينية التي وردت في الكتب السماوية القديمة وخاصة التوراة، وهذه الطبقة متاحة لجميع الأجناس والأديان[٢]، وهي تطلق على المبتدئين المنتسبين لأول مرة، وبلغ من استهتار اليهود أن أطلقوا على أفراد هذه الطبقة وصف (العمي الصغار)، وبما أن أفراد هذه الطبقة هم المبتدئون، فإنهم يمرون في مراحل من التجارب المثيرة والاختبارات الدقيقة القاسية قد تستغرق سنوات، ويبدأ دخولهم بقسم يقسمونه بين يدي القائد، وهو: «أقسم بمهندس الكون الأعظم أني لا أفشي أسرار الماسونية ولا علاماتها ولا أقوالها ولا تعاليمها ولا عاداتها، وأن أصونها مكتومة في صدري إلى الأبد، وأقسم بمهندس الكون الأعظم ألا أخون عهد الجمعية وأسرارها لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحركة، ولا أكتب شيئا منها، ولا أنشره بالطبع أو الحفر أو التصوير، وإذا حنثت بيميني فأنا راض بأن تحرق شفتاي بحديد محمي، وأن تقطع يداي، ويحز عنقي، وتعلق جثتي في محفل ماسوني ليراه غيري من التلامذة، وأكون عظة لغيري، ثم تحرق جثتي ويذر رمادها في الهواء لئلا يبقى أي أثر لخيانتي»[٣].

الثانية: الماسونية الملوكية: إذا أثبت المبتدئ إخلاصًا وفهمًا للمبادئ الماسونية خلال بضع سنوات يصعد إلى الطبقة الثانية التي تسمى (الماسونية الملوكية) أو (ماسونية القصر الملوكي) وتقتصر على اليهود ومن والاهم من المخلصين، ولا ينال هذه الدرجة إلا من خان وطنه وأمته

(١) انظر: جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة (ص: ٢٢٦-٢٢٨).

(٢) انظر: الماسونية في العالم العربي، وائل الدسوقي (ص: ٣٣).

(٣) الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ٦٥).

وأخلص لليهودية وفداها بروحه.

الثالثة: الماسونية الكونية: وهي قمة الطبقات، وكل أفرادها يهود، وهم آحاد قليلة، بيدهم أمر كل المحافل اليهودية في العالم، ويتحكمون في كثير من الملوك والرؤساء ويسيطرون عليهم، وعلى من حولهم من القادة[١].

ولكل درجة من تلك الدرجات رموز خاصة وشارة خاصة وتحية خاصة وأسرار محددة تتسع دائرتها كلما ارتقى العضو إلى درجة أعلى، كما أنها تختلف باختلاف طبقات المحافل نفسها، ولا يجوز لدرجة أن تطلع على أسرار وتعاليم الدرجة التي تعلوها[٢].

ومجمل القول أن الماسونية ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الماسونية الابتدائية، وهي لمن دخل في الماسونية حديثًا.

الدرجة الثانية: الملكية، وهي خاصة باليهود ومن يختارونه من الدرجة الابتدائية ممن تثبت عمالته لهم وخيانته لوطنه.

الدرجة الثالثة: الكونية، وهي خاصة بأكابر اليهود الماسون، وهم رؤساء المحافل الماسونية.

أهداف الماسونية:

للماسونية هدفان، هدف ظاهر معلن، وهو شعارات خادعة، وهو (الحرية، الإخاء، المساواة).

فتحت شعار الحرية: تحارب الأديان (غير اليهودية) وتنشر الفساد والفوضى.

وتحت شعار الإخاء: تحاول التخفيف من كراهية الشعوب الأخرى لليهود.

وتحت شعار المساواة: تنشر الفوضى الاقتصادية والسياسية، وتحرض على اغتصاب حقوق الناس وأموالهم وأعراضهم، وتروج للشيوعية والاشتراكية[٣].

وللماسونية هدف باطن خفي غير معلن، يتبين فيما يلي:

١- الاستيلاء على العالم عن طريق بث أفكارها.

٢- مناهضة الأديان والقوميات والتقاليد.

٣- تأسيس جمهورية عالمية لا دينية تتخذ الوصولية والنفعية أساسًا لها.

---

(١) انظر: الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ٦٥-٦٧)، حكومة العالم الخفية، شويب وفيتش (ص: ١٢-١٣)، ترجمة: مأمون سعيد.

(٢) انظر: الماسونية في العالم العربي، وائل الدسوقي (ص: ٣٣-٣٤).

(٣) انظر: الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية، مكاريوس (ص: ٨-٩)، جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة (ص: ٢٢٩-٢٣٠).

٤- المحافظة على الدول العلمانية ومساندتها[١].

وسائل الماسونية:

للماسونية مجموعة من الوسائل التي تسعى من خلالها لنشر أفكارها ومبادئها، وتجنيد اتباع لها، ومن هذه الوسائل ما يلي:

١- سرية التنظيم والطاعة العمياء للرئيس:

«لعل أقدم وثيقة موجودة الوثيقة التي تحوي (الوصايا القديمة) Old Charges التي نسخها داود كاسلي بخطه، وتاريخها المدون عليها هو سنة ١٧٣٤م، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني بقسم (الأناجيل) في الخزانة رقم ١٧ والرف A.١. وجاء فيها ما يبين سرية التنظيم والطاعة المطلقة للرئيس بعد مبايعته واستلام نسخة من الوصية العامة، حيث قالت: «يضع كل عضو جديد يدخل الجمعية كفه في كف القيم، ثم يعطى نسخة من الوصية العامة»، ثم ذكر الوصية المنظومة شعرًا، وها هي ذي الترجمة نثرًا: «فرض على الأخ حب الله، والكنيسة المقدسة، وسيّده الذي يصحبه، وليحفظ المبادئ الثلاثة[٢] كما يحفظ حياته، ولا يخط خطوة دون رأي سيده الذي يجب أن يتبعه في المقاصد النبيلة، ولا يكشف أمره، ولا يبح لأحد بسرّه، ولا يحد قيد شعرة عما يأمره به المحفل في جميع الأحوال، ومهما كان الأمر، وحيثما ذهب»[٣].

٢- عالمية التنظيم:

ينقل الجنرال رفعت آتلخان عن وثائق الماسونية قولهم: «يجب ألا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره»[٤]، وهذا ظاهر من خلال تاريخ الماسونية وانتشارها في كثير من بلدان العالم تحت شعارات وأسماء خادعة.

٣- محاربة الدين ومحاربة رجاله:

جاء في وثائقهم: «لتحقيق الماسونية العالمية يجب سحق عدونا الأزلي الذي هو (الدين)، مع إزالة رجاله.. أيها الإخوان إن رجال الدين عن طريقه يحاولون السيطرة على أمور الدنيا، وعلينا

(١) انظر: أسرار الماسونية (ص: ٢٨-٣٠).

(٢) لعل المراد بها: حب الله، والكنيسة المقدسة، وسيّده.

(٣) الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١٣).

(٤) أسرار الماسونية (ص: ٢١).

أن لا نألوا جهدًا في التمسك بفكرة (حرية العقيدة)، وألا نتردد في شن الحرب على كافة الأديان لأنها العدو الحقيقي للبشرية، ولأنها السبب في التطاحن بين الأفراد والأمم عبر التاريخ، أيها الإخوان لا بد لنا أن نكافح بجهد أكبر لإدامة القوانين والنظم اللادينية، لأن السلطة المطلقة التي صنعها رجال الدين على وجه المعمورة قد قاربت النهاية، لا بل آلت إلى الزوال، وإن غايتنا قبل كل شيء هي إبادة الأديان جميعًا»[١].

٤- الدعوة للإلحاد:

في مؤتمر الطلاب الذي انعقد في سنة ١٨٦٥م في مدينة (ليبج) أعلن الماسوني الشهير لاف آرج (LAF ARGE) في الطلاب الوافدين من ألمانيا وأسبانيا وإنجلترا وفرنسا قائلًا: «يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق»[٢].

٥- إعلاء شأن الدين اليهودي ومحاربة الإسلام والمسيحية:

من أهم الوثائق التاريخية التي كشفت وسائل الماسونية لتحقيق أهدافها، وأماطت اللثام عن كثير من أسرارها ما كتبه عوض الخوري أحد الباحثين عن تاريخ الماسونية في كتابه (تبديد الظلام أو أصل الماسونية)؛ حيث كان له اتصال بالدكتور برودنتي رئيس جمهورية البرازيل المطلع على أسرار الماسونية، وقد أطلعه على مخطوط كتب باللغة العبرية يسمى (القوة الخفية) كان في حوزة رجل يسمى لوران بن جورج الروسي الأصل، وهو أحد أحفاد تسعة من الآباء اليهود الذين تسلسل نسبهم من الأب الأول جوزف لافي اليهودي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للماسونية (جمعية القوة الخفية)، وقد ترجم من العبرية إلى الروسية، ثم ترجم إلى الإنجليزية والفرنسية، وترجمه عوض الخوري من الفرنسية إلى العربية[٣]، وقد ذكر لوران أن من أهداف تأسيس الماسونية القضاء على الدين المسيحي، يقول لوران بعد ذكر تاريخ الماسونية: «القصد الأساسي من إنشاء الماسونية الأم (القديمة) هو قتل المسيحية وهدم أركانها، وإعلاء شأن الدين اليهودي»[٤]، ويقول عوض الخوري مترجم هذه الوثيقة: «تبين من جميع نصوص هذا التاريخ أن مبادئ

---

(١) أسرار الماسونية (ص: ٢١).

(٢) أسرار الماسونية (ص: ٣٢).

(٣) انظر: تبديد الظلام أو أصل الماسونية. عوض الخوري (ص: ٢٢). وانظر عرضًا لهذا الكتاب وأهميته في: من قضايا الفكر الإسلامي، د. محمد الجليند (ص: ٢٥٧-٢٥٩).

(٤) تبديد الظلام أو أصل الماسونية. عوض الخوري (ص: ٦٤).

الجمعية الأساسية هي مناوأة يسوع ورجاله، وبعدهم محمد ورجاله، والاحتفاظ بالدين اليهودي وحده دون سواه»[١].

٦- المال:

وذلك عن طريق امتلاك الأموال وخاصة الذهب، والتحكم في الاقتصاد العالمي، واستخدام الرشوة والخديعة والخيانة لتحقيق مآربهم[٢].

٧- إنشاء المؤسسات الاحتكارية:

ويقصد بها إنشاء البنك الدولي وصندوق النقد العالمي لجمع الثروات الكبيرة، ومن خلالها يمكن التحكم في النظام الاقتصادي العالمي، ومنها مجلس الأمن والاتفاقيات الدولية التي يتم بها السيطرة على الدول الضعيفة وإخضاعها للنفوذ الماسوني[٣].

٨- وسائل الإعلام:

عمدت الماسونية إلى السيطرة على وسائل الإعلام لما لها من تأثير بالغ في توجيه العقول إلى ما فيه منفعة ومصلحة اليهود وتحقيق أهدافهم[٤].

---

(١) المصدر السابق (ص: ٦٣).

(٢) انظر: الماسونية والمرأة (ص: ١٢٥-١٢٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ١٢٦).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ١٢٧).

المبحث السابع:
مصادر الفكر الماسوني

تتفق جميع المصادر على أن الماسونية ترجع إلى اليهودية الصهيونية المتآمرة على الإنسانية، يقول أحمد عبد الغفور عطار: «الإجماع منعقد على أن الماسونية الخطرة الهدامة من ولائد اليهودية الخبيثة بعد أن تراكم عليها كل ما في الوجود من شرور وآثام وموبقات اختزنتها ثم أخرجت منها أبشع أساليب المكر والخداع والتضليل، وأخطر وسائل الهدم والتخريب لتمسخ بني الإنسان، وتجعلهم آلات تحركها أصابع اليهود الذين يبتهجون بآثارهم الجهنمية ونجاح مخططاتهم الهدامة، ويتلذذون بمنظر ضحاياهم من البشر، ويزداد تلذذهم كلما ازداد عذاب بني البشر وشقاؤهم»[١].

وتقول دائرة المعارف اليهودية: «إن اللغة الفنية والرموز والطقوس التي تمارسها الماسونية الأوروبية ملأى بالأفكار والاصطلاحات اليهودية، وفي محفل اسكتلندا تجد التواريخ الموضوعة على المراسلات والوثائق الرسمية كلها بحسب تقويم السنين والأشهر اليهودية، وتجد كذلك الأبجدية العبرية» [٢].

ويقول العلامة محمد أبو زهرة -بعد التحاقه بالماسونية بغرض كشف حقيقتها-: «عرفت أن اليهود ... هم الذين أنشأوا الماسونية، وجعلوا منها جمعية سرية للدفاع عن مصالحهم، ولكي يهربوا من الاضطهاد كانوا يعتنقون المسيحية ظاهرًا، ويستمرون على اليهودية باطنًا، ومن أجل هذا ولكي يعرف أحدهم الآخر اخترعوا لجمعيتهم رموزًا معينة يتخاطبون بها، وحركات معينة باليد عندما يسلم أحدهم على الآخر» [٣].

ويقول الأستاذ محمد كرد علي: «إن هذه الجمعية أنشأها اليهود ... وما كنت أظن ولا أكثر الماسون هنا يظنون أن جمعيتهم أيضًا ألعوبة صهيونية صرفة، لا يهودية فقط، يسعى اليهود بواسطة نفوذها أن يعيدوا مجد صهيون، ومعنى مجد صهيون: نزع فلسطين العربية من أيدي العرب، وهي ملك العرب منذ ثلاثة عشر قرنًا ونصف» [٤].

فمصادرها هي مصادر الدين اليهودي.

---

(١) الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار (ص: ١٥).

(٢) دائرة المعارف اليهودية (٥/ ٥٠٣)، نقلا عن: جذور البلاء، عبد الله التل (ص: ١٢٨).

(٣) شهادات ماسونية، حسين عمر حمادة (ص: ٦٢).

(٤) شهادات ماسونية، حسين عمر حمادة (ص: ٦٣-٦٤).

المبحث الثامن:

النوادي الماسونية المعاصرة

اختفى اسم (الماسونية) وحل محلها أسماء جديدة لها نفس النشاط والأهداف، وهي النوادي الماسونية التي فتحت شعار العمل الاجتماعي، مثل نوادي الروتاري ونوادي الليونز، فهي تعمل لتحقيق الأهداف التي دعت إليها الماسونية، وتحاول استقطاب علية القوم من كبار رجال الدولة والإعلام، وسيدات الوزراء والمسؤولين للاستفادة من مناصب أزواجهم[١].

ومن أشهر النوادي والمحافل الماسونية:

١- محفل أبناء العهد (بناي برث)، وقد أسس هذا المحفل عام ١٨٤٢م في مدينة نيويورك من قبل اليهود المهاجرين من أوروبا الشرقية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأهم مبادئها: إعلاء شأن اليهود في العالم، والمحافظة على خصائصهم العرقية.

٢- محفل الاتحاد اليهودي العالمي، وأسس هذا المحفل سنة ١٨٦٠م في فرنسا على يد الحاخام إسحق كريميتي، ودستور الاتحاد: أن أبناء إسرائيل يتولى بعضهم بعضا، وانضم إليه الطبقات الراقية من اليهود، وتهدف إلى نشر النفوذ اليهودي في العالم.

٣- محفل مدينة القدس، وقد تأسس عام ١٨٨٨م، واللغة الرسمية التي يتحدث بها في هذا المحفل هي العبرية، وهو تابع لمحفل أبناء العهد، وأعضاؤه من اليهود ومن غيرهم كشأن المحافل الأخرى.

٤- محفل موتا، وهو اسم لقرية يهودية بجوار القدس وهو تابع لمحفل أبناء العهد بأمريكا أيضًا.

٥- نوادي الروتاري، وقد أسسها المحامي بول هاريس في مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٠٥م.

٦- فرع المنظمة الروتارية بفلسطين، وقد تأسس عام ١٩٢٩م في قرية رامات غان.

٧- نوادي الليونز العالمية: ومعنى الليونز الأسود جمع أسد، وهي نوادي ماسونية مركزها أمريكا، ولهذه النوادي عملاء سريون في جميع أنحاء العالم[٢].

---

(١) انظر: من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية، د. محمد الجليند (ص: ٢٩٤)، الاختراق اليهودي، د. فرج الله عبد الباري (ص: ١٢٤).

(٢) انظر: أسرار الماسونية، رفعت آتلخان (ص: ١٠-١١).

المبحث التاسع:
موقف علماء المسلمين من الماسونية ومن انتسب إليها

جاء في جواب اللجنة الدائمة للإفتاء بيان حقيقة الماسونية والحكم على من انتسب إليها، فذكروا أنها «جمعية سرية سياسية تهدف إلى القضاء على الأديان والأخلاق الفاضلة وإحلال القوانين الوضعية والنظم غير الدينية محلها، وتسعى جهدها في إحداث انقلابات مستمرة وإحلال سلطة مكان أخرى بدعوى حرية الفكر والرأي والعقيدة ... والجمعيات الماسونية من أقدم الجمعيات السرية التي لا تزال قائمة ولا يزال منشؤها غامضا وغايتها غامضة على كثير من الناس، بل لا تزال غامضة على كثير من أعضائها؛ لإحكام رؤسائها ما بيتوا من مكر سيئ وخداع دفين ولشدة حرصهم على كتمان ما أبرموه من تخطيط، وما قصدوا إليه من نتائج وغايات، ولذا يدبر أكثر أمورها شفويا. وإن أريد كتابة فكرة أو إذاعتها عرضت قبل ذلك على الرقابة الماسونية لتقرها أو تمنعها، وقد وضعت أسس الماسونية على نظريات فأخذت من مصادر عدة، أكثرها التقاليد اليهودية ... إن الماسونية في ظاهرها دعوة إلى الحرية في العقيدة والتسامح في الرأي، والإصلاح العام للمجتمعات، ولكنها في حقيقتها ودخيلة أمرها دعوة إلى الإباحية والانحلال وعوامل هرج ومرج وتفكك في المجتمعات، وانفصام لعرى الأمم ومعاول هدم وتقويض لصرح الشرائع ومكارم الأخلاق وإفساد وتخريب العمران.

وعلى هذا فمن كان من المسلمين عضوًا في جماعة الماسونية وهو على بينة من أمرها، ومعرفة بحقيقتها ودفين أسرارها، أو أقام مراسمها وعني بشعائرها كذلك، فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل[1]، وإن مات على ذلك فجزاؤه جزاء الكافرين، ومن انتسب إلى الماسونية وكان عضوًا في جماعتها وهو لا يدري عن حقيقتها ولا يعلم ما قامت عليه من كيد للإسلام والمسلمين وتبييت الشر لكل من يسعى لجمع الشمل وإصلاح الأمم، وشاركهم في الدعوة العامة، والكلمات المعسولة التي لا تتنافى حسب ظاهرها مع الإسلام فليس بكافر، بل هو معذور في الجملة لخفاء واقعهم عليه، ولأنه لم يشاركهم في أصول عقائدهم ولا في مقاصدهم ورسم الطريق لما يصل بهم إلى غاياتهم الممقوتة، فقد قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» الحديث، لكن يجب عليه أن يتبرأ منهم إذا تبين له أمرهم، ويكشف للناس عن حقيقتهم، ويبذل جهده في نشر أسرارهم، وما بيتوا للمسلمين من كيد وبلاء ليكون ذلك

(١) يعني بحكم من القضاء الشرعي، لا من آحاد الناس.

فضيحة لهم ولتحبط به أعمالهم»[١].

وجاء أيضًا في قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأنها ما يلي: «نظر المجمع في دورته الأولى المنعقدة بمكة المكرمة في العاشر من شعبان ١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨/٧/١٥، في قضية الماسونية والمنتسبين إليها وحكم الشريعة الإسلامية في ذلك، وقد قرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله»[٢].

وجاء في بيان صدر من لجنة الفتوى بالأزهر بشأن الماسونية والروتاري والليونز: «إن الإسلام والمسلمين يحاربهم الأعداء بكل الأسلحة، ومن بين هذه الوسائل التي يحاربون بها الإسلام وسيلة الأندية التي ينشؤونها باسم الإخاء والإنسانية، ولهم غاياتهم وأهدافهم الخفية وراء ذلك، وإن من بين هذه الأندية الماسونية والمؤسسات التابعة لها مثل الليونز والروتاري، وهما من أخطر المنظمات الهدامة التي يسيطر عليها اليهود والصهيونية يبتغون بذلك السيطرة على العالم عن طريق القضاء على الأديان، وإشاعة الفوضى الأخلاقية وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطانهم باسم الإنسانية، ولذلك يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها»[٣].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٤٤٠-٤٤٥).

(٢) قرارات المجمع الفقهي الإسلامي (ص: ٢١).

(٣) الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية (ص: ١٣٠).

ملخص الفصل الخامس

- **تعريف الصهيونية:** حركة سياسية يهودية نشأت في القرن التاسع عشر على يد هرتزل، غايتها: جمع اليهود وتهجيرهم إلى فلسطين، وتأسيس دولة يهودية.
- **نشأة الصهيونية:** نشأت في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي، بهدف دعوة اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين تحت شعار ديني، هو: العودة إلى ما أسموه (أرض الميعاد).
- **مصادر الصهيونية باعتبارها حركة دينية**: هي نفسها مصادر الديانة اليهودية، ولليهودية مصدران رئيسان: (١) التوراة، وهو مجمع عليها بين اليهود على اختلاف بينهم فيما يعتمد من أسفارها. (٢) التلمود، وهو مصدر معتمد لدى جمهور اليهود، ولا تؤمن به بعض طوائفهم.
- **أما مصادر الصهيونية باعتبارها حركة سياسية**، فأهمها مصدران: (١) بروتوكولات حكماء صهيون. (٢) الدولة اليهودية، لتيودور هرتزل.
- **هدف الحركة الصهيونية**: إقامة الوطن القومي للشعب اليهودي على أرض فلسطين، على أساس الخطة المقررة في مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م.
- **وسائل الصهيونية لتحقيق هذا الغرض:** (١) تأليف اليهود في جميع البلدان جماعات محلية، أو جماعات عامة على حسب القوانين المرعية في تلك البلدان. (٢) تقوية الوعي اليهودي. (٣) اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على السند الضروري من الحكومات.
- **منظمات صهيونية نصرانية:** هناك منظمات ذات أصول نصرانية من حيث المعتقد، لكنها صهيونية من حيث المواقف والأهداف، ومن هذه المنظمات على سبيل المثال: (١) الطائفة الإنجيلية الأمريكية. (٢) منظمة الأغلبية الأخلاقية. (٣) مؤسسات بات روبرتسون. (٤) المنظمة النصرانية للقدس.
- **صلة الصهيونية باليهودية العالمية**: يرى بعضهم أن الصهيونية حركة سياسية لا صلة لها بالدين اليهودي، بينما يرى فريق آخر بأنها حركة دينية، ولعل الأقرب القول بأنها حركة سياسية في الظاهر، ودينية في الباطن، فهي سياسية تهدف إلى جمع اليهود وتهجيرهم إلى فلسطين لتأسيس دولة تدين باليهودية، وتتميز بالعنصر اليهودي وبالثقافة اليهودية.
- **واجب المسلمين تجاه المخططات الصهيونية:** (١) معرفة هذه المخططات حق المعرفة،

لأن معرفة خطط العدو من أهم أسباب الانتصار عليه. (٢) تعريف أهل الإسلام خصوصًا والعالم عمومًا بالخطط والوسائل الصهيونية التي لا تريد بالبشرية خيرًا، وتسعى إلى نشر الفساد في الأرض. (٣) إعداد القوة المادية والمعنوية لمواجهة هذا المكر الصهيوني. (٤) الإيمان بوعد الله جل وعلا الذي وعدنا فيه بالنصر على اليهود.

- **تعريف الماسونية:** هي حركة يهودية سرية انتشرت في معظم أنحاء العالم لخدمة أهداف الصهيونية.
- **نشأة الماسونية:** اختلف الباحثون في ذلك على أقوال: الأول: أنها موغلة في القدم حتى زعم بعضهم أنها نشأت حين كان موسى -عليه السلام- مع قومه في التيه. الثاني: أن المؤسس الأول للماسونية هو (هيرودوس الثاني)، الذي كان واليًا على القدس لدولة الرومان، وذلك سنة ٤٣م. الثالث: أنها ظهرت في بداية القرن الثامن عشر، وكان أول ظهور لها بهذا الاسم (الماسونية) في اسكتلندا ببريطانيا، ومنها انتقلت إلى دول أخرى. الرأي الرابع: أنها مجهولة النشأة.
- **طبقات الماسونية:** تتكون الماسونية من ثلاث طبقات أو درجات، وهي: (١) الماسونية الرمزية: ولقبت بالرمزية؛ لأنها تتضمن كثيرًا من الرموز التي تتصل بإحدى الحوادث الدينية التي وردت في الكتب السماوية القديمة وخاصة التوراة. (٢) الماسونية الملوكية: وهي الدرجة الثانية في الماسونية، ويصعد إليها المبتدئ إذا أثبت إخلاصا وفهما خلال بضع سنوات، وتسمى (الماسونية الملوكية) أو (ماسونية القصر الملوكي) وتقتصر على اليهود ومن والاهم من المخلصين للماسونية الخائنين لدينهم ولوطنهم. (٣) الماسونية الكونية: وهي قمة الطبقات، وكل أفرادها يهود، وهم آحاد قليلة، بيدهم أمر كل المحافل اليهودية في العالم، ويتحكمون في كثير من الملوك والرؤساء ويسيطرون عليهم، وعلى من حولهم من القادة.
- **أهداف الماسونية:** (١) الاستيلاء على العالم عن طريق بث أفكارها. (٢) مناهضة الأديان والقوميات والتقاليد. (٣) تأسيس جمهورية عالمية لا دينية تتخذ الوصولية والنفعية أساسًا لها. (٤) المحافظة على الدول العلمانية ومساندتها.
- **وسائل الماسونية:** للماسونية مجموعة من الوسائل التي تسعى من خلالها لنشر أفكارها ومبادئها، وتجنيد اتباع لها، ومن هذه الوسائل ما يلي: (١) السرية للتنظيم الماسوني. (٢) البيعة، حيث يضع كل عضو كفه في كف القيّم، ويتسلّم الوصية التي هي بمثابة نص البيعة. (٣) الطاعة العمياء لرئيسه، فلا يخطو خطوة دون موافقته. (٤) حفظ

أسرار الماسونية، فلا يبح لأحد بسره. (٥) عالمية الماسونية، فلا تقتصر على شعب دون غيره، ولا على بلد دون سواها. (٦) معاداة الأديان واعتبارها العدو الأول والحقيقي، ومحاربتها بكل الوسائل ابتداء بالنصرانية ثم الإسلام. (٧) سحق ما يسمونه (رجال الدين). (٨) رفع شعار حرية العقيدة لمحاربة الدين وأهله. (٩) دعم النظم والقوانين اللادينية (العلمانية). (١٠) إنشاء المؤسسات الاحتكارية للسيطرة على الاقتصاد العالمي كالبنك الدولي وصندوق النقد. (١١) السيطرة على وسائل الإعلام.

- **مصادر الماسونية**: تتفق جميع المصادر على أن الماسونية ترجع إلى اليهودية الصهيونية المتآمرة على الإنسانية، فمصادرها هي مصادر الدين اليهودي.
- **النوادي الماسونية المعاصرة**: اختفى اسم (الماسونية) وحل محلها أسماء جديدة لها نفس النشاط والأهداف، وهي النوادي الماسونية التي فتحت شعار العمل الاجتماعي، ومن أشهر النوادي والمحافل الماسونية: (١) محفل أبناء العهد (بناي برث). (٢) محفل الاتحاد اليهودي العالمي. (٣) محفل مدينة القدس. (٤) محفل موتا. (٥) نوادي الروتاري. (٦) فرع المنظمة الروتارية بفلسطين. (٧) نوادي الليونز العالمية.
- **موقف علماء المسلمين من الماسونية ومن انتسب إليها**: الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين، وكل من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف الصهيونية، واذكر تاريخ نشأتها، وهدفها.

س٢: حدد مؤتمر بازل الوسائل الصالحة لتحقيق هدف الصهيونية. تحدث عن هذا المؤتمر مبينا هذه الوسائل.

س٣: هل هناك صلة بين الصهيونية واليهودية؟ وضح ذلك في ضوء ما درست.

س٤: عرف الماسونية، واذكر تاريخ نشأتها، مع بيان سبب اختلاف الباحثين في ذلك.

س٥: اذكر بإيجاز أهداف الماسونية، وأهم وسائلها في نشر أفكارها وتجنيد أتباعها.

س٦: اختفى اسم الماسونية وحل محلها أسماء جديدة، وضح ذلك.

الفصل السادس:
الوجودية

المبحث الأول:
التعريف بالوجودية، وظروف نشأتها، وأشهر فلاسفتها

التعريف بالوجودية:

ورد في المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية تعريفها بأنها: «مذهب يقوم على إبراز الوجود وخصائصه وجعله سابقًا على الماهية ... ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يمنع نفسه بنفسه، ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه»(١).

فهي «اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه»(٢)، و«أن وجود الإنسان هو ما يفعله، فأفعال الإنسان هي التي تحدد وجوده وتكونه، ولهذا يقاس الإنسان بأفعاله، فوجود كل إنسان بحسب ما يفعله»(٣).

فالوجودية بحسب تعريفها تقوم على أصلين:

الأصل الأول: أن الوجود سابق على الماهية، ويبين سارتر معنى هذه الجملة، فيقول: «والآن ماذا نعني عندما نقول: إن الوجود سابق على الماهية؟ إننا نعني أن الإنسان يوجد أولًا، ثم يتعرف إلى نفسه، ويحتك بالعالم الخارجي، فتكون له صفاته، ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده، فإذا لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محددة، فذلك لأنه قد بدأ من الصفر، بدأ ولم يكن شيئًا، وهو لن يكون شيئًا إلا بعد ذلك، ولن يكون سوى ما قدره لنفسه»(٤)،

---

(١) المعجم الفلسفي (ص: ٢١١)، وانظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا (٢/ ٥٦٥).

(٢) الموسوعة الميسرة (٢/ ٨١٨).

(٣) دراسات في الفلسفة الوجودية، د. عبد الرحمن بدوي (المقدمة)، وانظر: أفيون الشعوب، العقاد (ص: ٧٩).

(٤) الوجودية مذهب إنساني (ص: ١٤).

فـ«الإنسان ليس سوى ما يصنعه هو بنفسه»[١]، ويقول د. عبد الرحمن بدوي: «الوجودية بكل معانيها تتفق في القول بأن الوجود يسبق الماهية، فماهية الكائن هي ما يحققه فعلًا عن طريق وجوده، ولهذا هو يوجد أولًا، ثم تتحدد ماهيته ابتداء من وجوده»[٢]، وهذا هو الأصل الذي قامت عليه الفلسفة الوجودية لتبرر به إلحادها وإباحيتها، وهو أصل باطل في العقل والمنطق، وخاطئ في القياس والاستدلال[٣]؛ لوجوه منها:

١- أنه لا فرق بين الماهية والوجود، فماهية كل شيء عين وجوده، وليس وجود الشيء قدرًا زائدًا على ماهيته[٤].

٢- أن تصور سبق الوجود على الماهية -على فرض القول به- هو تصور خاطئ عقلا؛ لأن «وجود النوع الإنساني أولا وجود حقيقي صادق في الحس كصدق وجود الفرد أو أصدق، وجود النوع الإنساني حقيقة بيولوجية من حقائق اللحم والدم، وليس كما يقولون فرضا من فروض التصور في الأذهان»[٥].

٣- أن القول بأن الإنسان بدأ من الصفر، وأنه ليس له صفة تحدده غير صحيح، بل الإنسان يولد على الفطرة، وهو الميل إلى الحق والصواب ما لم تنحرف هذه الفطرة بأحد عوامل الانحراف من تربية أو نشأة أو بيئة، لحديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، أو يمجسانه»[٦].

الأصل الثاني: أن الإنسان له مطلق الحرية في الاختيار، فيصنع نفسه بنفسه، ولا يحتاج إلى موجّه، ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه[٧]، دون ارتباط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته[٨]، ومعنى ذلك عندهم: أن يتحلل من القيم، وينطلق لتحقيق رغباته وشهواته بلا قيد.

---

(١) الوجودية مذهب إنساني (ص: ١٤).

(٢) دراسات في الفلسفة الوجودية (ص: ١٢).

(٣) انظر: الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة. د. مصطفى حلمي (ص: ١٥٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٥٦).

(٥) بين الكتب والناس، العقاد (ص: ١٨-١٩).

(٦) أخرجه البخاري (ح١٣٥٩). ومسلم (ح٢٦٥٨).

(٧) انظر: المعجم الفلسفي. د. جميل صليبا (٢/ ٥٦٥).

(٨) انظر: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، إسماعيل عبد الفتاح (ص: ٤٨٥).

فالوجودية هي -كما يقول الأستاذ العقاد- إباحية سافرة لا فرق بين من يتعاطونها وبين سائر الإباحيين في كل زمن[١].

ويرى جارودي أن تصور الوجودية للحرية المجردة الصورية تؤدي إلى تطبيقات عملية تبعث على الذعر، وأن الوجودية لا تحمل لمشكلاتنا أي حل، وأنها تجعلنا ننسى أن المرء ليس مسؤولا عن نفسه فحسب، بل أيضا عن مجتمعه وطبقته ووطنه[٢].

ظروف نشأتها:

«نشأت الوجودية -بصورتها الحديثة[٣]- بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م، فقد كانت محنة الحرب وما تركته من الدمار والرعب بيئة ملائمة لظهور أفكار الوجوديين وتفسيراتهم التشاؤمية، فقد شعر الإنسان الأوروبي بعد تلك الحروب المدمرة، بأن هذا العالم الذي يعيش فيه عالم هش قابل للانكسار السريع والتحطيم المروع، وكان العلاج -في اعتقادنا لهذا الشعور المرضي- الذي يشبه الغثيان -على حد تعبير سارتر- هو الإيمان والإسلام، ولكن هذا العلاج لا يملكه سارتر ولا غيره من فلاسفة أوروبا، فظهر المذهب الوجودي على يد الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر في هذه البيئة ... ونشأت من كتابات سارتر حركة وجودية بين الشباب تتلخص بالتحلل من القيم، وانطلاق الفرد لتحقيق شهواته بلا قيد، ما دامت الحياة لا غاية لها في اعتقادهم، وقابلة للانتهاء في أي لحظة»[٤].

يقول د. عبد الرحمن بدوي: «وهي [أي: الوجودية] أصدق تعبير عن حالة القلق العام الذي تملَّك العالم الشعور الحاد به بعد الحرب العالمية الأولى ثم الثانية، فلقد كان لهذين الحادثين أثر بالغ في

---

(١) انظر: أفيون الشعوب (ص: ٧٥).

(٢) انظر: الأخلاق والدين، جارودي (ص: ٤٢). نقلا عن: الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة، د. مصطفى حلمي (ص: ١٦٣-١٦٤).

(٣) «يرى بعض المؤرخين أن الوجودية قد بدأت بسقراط وبمحاولاته تشخيص المشاكل الفلسفية. وبجعل الفلسفة تتجه إلى الإنسان نفسه، وليس إلى العالم الخارجي. فسقراط قد حول الفلسفة من القوى الكونية والبحث في كل ما ليس إنسانيًا. وجعلها تتجه إلى الإنسان ومنه إلى ما عداه من الكائنات والأشياء، على أن المحاولات القوية الحقيقية لجعل الفلسفة حياة وحركة، والأفكار الفلسفية شخصيات إنسانية تروح وتجيء، قد ظهرت في القرن العشرين على أيدي الفلاسفة الوجوديين الفرنسيين» (مقالات عن الوجودية، أنيس منصور ص: ٢٢).

(٤) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص: ١١٦-١١٧).

إشعار الإنسانية بالمعاني الكبرى التي تؤلف نسيج وجودها»[١].

أشهر فلاسفتها:

١- سورين كيركجارد (١٨١٣-١٨٥٥م) وهو مؤسس الوجودية[٢]، ولذا يعده د. عبد الرحمن بدوي أبا الفلسفة الوجودية[٣]، وقد «ظهرت كلمة (وجودية) بالمعنى الفلسفي الذي تستخدم به اليوم لأول مرة فيما كتبه كيركجارد»[٤].

وباعتباره المؤسس الأول للوجودية فسنتوقف للنظر في سيرته، لما لذلك من أثر في صياغة مذهبه، يتحدث كيركجارد عن طفولته البائسة، فيقول: «لما كنت طفلا تلقيت تربية متشددة قاسية هي في نظر الناس ضرب من الجنون، فمنذ نعومة أظفاري تحطمت ثقتي بالحياة تحت الانطباعات التي تحطم تحتها الشيخ الحزين الذي فرضها عليَّ» يقصد بالشيخ الحزين: والده[٥]، و«كان في المدرسة يعتزل زملاءه، ولا يصادق أحدًا ولا يدعو أحدًا ولا أحد يدعوه إلى منزله، فظل بينهم غريبًا، وموضعًا للشفقة والرثاء بسبب بزته التي كانت دائمًا هي هي لا تتغير ... وكان قليل الاجتهاد، غشاشًا في بعض الأحيان»[٦]، «وفي خريف سنة ١٨٣٥م مرَّ كيركجور بفترة من الهبوط النفسي الشديد، ومنذ ذلك الوقت وقد صار يعتريه داء غريب سيطارده حتى وفاته، داء سماه مالنخوليته، أو سوداويته، وفي هذه الفترة كانت تعصف بنفسه أزمات قلق وجزع هائلة، وصار كل شيء يقلقه ابتداء من الذبابة حتى سر التجسد الإلهي، وتسلط عليه الخوف من الوقوع في هاوية الجنون، وشغله هاجس الانتحار، فكان يسكر سكرًا شديدًا، ويطارد المومسات»[٧]، وفي سنة ١٨٥٥م كانت قد تدهورت صحته بما اعتمل فيها من أحزان وانفعالات، فسقط مغشيا عليه في الشارع، ثم توفي بعدها[٨].

---

(١) دراسات في الفلسفة الوجودية (ص: ١٩).
(٢) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٨١٨).
(٣) انظر: دراسات في الفلسفة الوجودية (ص: ٣١).
(٤) الوجودية فلسفة الوهم الإنساني (ص: ٩٣).
(٥) موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي (٢/ ٣٢٦).
(٦) موسوعة الفلسفة (٢/ ٣٢٦).
(٧) المصدر السابق (٢/ ٣٢٨-٣٢٩).
(٨) انظر: المصدر السابق (٢/ ٣٣٣).

٢- ثم جاء مارتن هيدجر «الذي أقام بنيان الوجودية ... وهو الذي وضع مذهبًا كاملًا في الوجودية بوجه عام»[١].

٣- ولم تظهر الوجودية في صورة إنسانية واضحة إلا عند جان بول سارتر الذي تزعم الفلسفة الوجودية[٢]، وهو ملحد ومناصر للصهيونية[٣]، ويقول عنه د. عبد الرحمن بدوي: «كان أشجع الفلاسفة الوجوديين في استخلاص النتائج الفكرية التي تمس معتقدات الناس ومذاهبهم، ثم صياغة هذه النتائج في عبارات ملتهبة متحدية في كثير من الأحيان»[٤].

٤- القس جبرييل مارسيل، وهو يعتقد أنه لا تناقض بين الوجودية والنصرانية.

٥- كارل جاسبرز، وهو فيلسوف ألماني.

٦- بسكال بليز: مفكر وفيلسوف فرنسي.

٧- وفي روسيا: بيرديائيف، وشيسوف، وسولوفييف[٥].

(١) دراسات في الفلسفة الوجودية (ص: ٨٢).
(٢) انظر: مقالات عن الوجودية (ص: ٢٢).
(٣) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٨١٨).
(٤) دراسات في الفلسفة الوجودية (ص: ٢١٤).
(٥) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٨١٨).

المبحث الثاني:
آثار الوجودية في المجتمع الغربي

من آثار الوجودية في المجتمع الغربي ما يلي:

١- التحلل من المبادئ والقيم:

فالوجوديون «لا يؤمنون بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الناس وتضبطه، إنما كل إنسان يفعل ما يريد وليس لأحد أن يفرض قيمًا أو أخلاقًا معينة على الآخرين»[١]، يقول سارتر: «إذا كان الله غير موجود، فإن وجود القيم والشرائع التي تبرر تصرفاتنا تسقط بالتبعية، وتصير غير موجودة»[٢]، ويقول: «القيم الأخلاقية غامضة غير محددة، وهي تمتد وتتسع إلى ما لا نهاية ... وإزاء غموضها ذاك لا يسعنا إلا أن نرفضها، ولا يتبقى لنا إلا الغرائز نلجأ إليها ونستلهمها الحل الصحيح»[٣]، ويقول: «أستطيع أن أصدر حكمًا أخلاقيًّا؛ بأن أعلن أن الحرية في الظروف العينية لا يمكن أن تكون لها غاية أو هدف آخر خلاف نفسها، وإذا ما اعترف الإنسان مرة بأنه مبدع القيم وخالقها، فإنه لن يطلب إلا شيئًا واحدًا فقط، وهو الحرية»[٤].

ويقول د. عبد الرحمن بدوي: «إنما الوجود الحقيقي هو وجود الفردية، والفردية هي الذاتية، والذاتية تقتضي الحرية»[٥]، فباسم الحرية تستباح الأعراض، وتضيع الأخلاق، وتذهب المثل، وتنهار القيم والمبادئ.

ويقول أنيس منصور: «المجتمع الذي نولد فيه مليء بالقيود؛ قيود الأسرة، وقيود الدين، وقيود الطبقة، والإنسان هو الذي يختار من القيود ما يشاء ويرفض منها ما يشاء، والإنسان الذي يدين بدين معين ولا يرى غيره دينا إنسان ليس حرًّا، والإنسان الذي يعتنق مذهبًا ولا يرى

---

(١) الموسوعة الميسرة (٢/ ٨١٩).
(٢) الوجودية مذهب إنساني (ص: ٢٥).
(٣) المصدر السابق (ص: ٣٠).
(٤) المصدر السابق (ص: ٥٧).
(٥) دراسات في الفلسفة الوجودية (ص: ٢٣٦).

غيره مذهبًا إنسان ليس حرًّا»[١].

٢- انتشار القلق، حتى سمي هذا العصر بعصر القلق -كما يقول العقاد-، ويقول كيركجارد (مؤسس الوجودية): «إنني أحس بالموت في كل لحظة، إنني سجين أحس الأغلال في يدي وفي رجلي، وكلما أخذتني سنة من النوم صحوت مذعورًا لأنني أسمع وقع أقدام الموت فترتعد القيود في يدي، فأصحو مرة أخرى على ضجيج القيود، وأفتح عيني للموت، والموت لا يمر إلا بعيون النائمين، وأنا لا أنام»[٢].

ولهذا «يعاني الوجوديون من إحساس أليم بالضيق والقلق واليأس والشعور بالسقوط والإحباط؛ لأن الوجودية لا تمنح شيئًا ثابتًا يساعد على التماسك والإيمان وتعتبر الإنسان قد أُلقي به في هذا العالم وسط مخاطر تؤدي به إلى الفناء»[٣]. يقول أنيس منصور: «الوجودية لا تريح القارئ ولا تريح من يفهمها ولا من يعيشها؛ لأنها توقظ فيه كل حس، وتعلق أضواء وأجراسًا على كل وظائفه وصفاته وعيوبه وآماله ومخاوفه»[٤].

«إن الوجودية لا تعالج شيئًا ولا تقترح العلاج لشيء أو لأحد من الناس، وإذا كنا نطلب من الوجودية أن تعالج المجتمع، فلماذا لا نطلب من الطبيب الذي يصور بالأشعة الأعضاء المريضة في جسم الإنسان أن يعالج هذا المريض بدلًا من هذه الصور الورقية السخيفة! إن مهمته أن يصور، أما العلاج فمن شأن طبيب آخر»[٥].

كما ساهمت الوجودية في انتشار الفساد، وفشو الإلحاد، وارتفاع معدلات الانتحار.

---

(١) مقالات عن الوجودية (ص: ٥٩).
(٢) المصدر السابق (ص: ٤٣).
(٣) الموسوعة الميسرة (٢/ ٨١٨-٨١٩).
(٤) مقالات عن الوجودية (ص: ٤).
(٥) مقالات عن الوجودية (ص: ١٦).

المبحث الثالث:

الاتجاهات الوجودية في العالم الإسلامي، وأبرز ممثليها

الأصل في الاتجاهات الوجودية في العالم الإسلامي هي الاتجاهات الوجودية في العالم الغربي، ولذا فسنبدأ بالأصل؛ لأن الوجودية بضاعة رديئة مستوردة من نفايات الغرب ومزابله.

الاتجاهات الوجودية في الغرب:

الاتجاهات الوجودية في الغرب اتجاهان، هما: (١) الوجودية الملحدة. (٢) الوجودية المسيحية، ويسمونها: المؤمنة.

يقول سارتر: «هناك فلسفتان للوجودية وليست فلسفة واحدة، يعتنقها صنفان من الوجوديين، وليس صنفًا واحدًا منهم، فهناك الوجوديون المسيحيون، وعلى رأسهم: جبرييل مارسيل، ويسبرز، والاثنان مسيحيان كاثوليكيان مخلصان لكاثوليكيتهما، وهناك الوجوديون الملحدون، وعلى رأسهم: هيدجر، والوجوديون الفرنسيون، وأنا والوجوديون عمومًا سواء المسيحيين أو الملحدين يؤمنون جميعًا أن الوجود سابق على الماهية، أو أنَّ الذاتية تبدأ أولًا»[١].

ويذكر د. عبد الرحمن بدوي نفس التقسيم إلا أنه يسمي الوجودية الملحدة بالوجودية الحرة، ويسمي الوجودية المؤمنة بالوجودية المقيدة، فيقول: «الوجودية تنقسم إلى اتجاهين:

الأول: الوجودية الحرة. الثاني: الوجودية المقيدة»، والفرق بينهما أن «الأولى حرة من كل المعتقدات الموروثة، والثانية تشد نفسها إلى عقيدة. ويمثل الأولى هيدجر وفي إثره أبنيانو في ايطاليا الذي يسمي وجوديته الوضعية، ثم جان بول سارتر في فرنسا. والثانية يمثلها كارل يسبرز ولد سنة (١٨٨٣) وجبرييل مارسيل ولد (١٨٨٩). وكلتا النزعتين تعترف بكيركجارد بوصفه الأب الروحي للوجودية بكل اتجاهاتها، وإن كانت الشعبة الثانية أقرب صلة إليه، وكثيرًا ما تهيب به»[٢].

---

(١) الوجودية مذهب إنساني (ص: ١١)، وانظر: الوجودية فلسفة الوهم الإنساني (ص: ٩٤).

(٢) دراسات في الفلسفة الوجودية (ص: ١١-١٢). وانظر: المصدر السابق (ص: ١٣).

أبرز ممثليه:

يقول د. عبد الرحمن بدوي-: إن «التيار الوجودي أسسه هيدجر، ثم يسبرز، ومن أشهر ممثليه سارتر في فرنسا، وأبنيانو في إيطاليا، وأرتيجا أي جاسيت في أسبانيا»[١].

اتجاهات الوجودية في العالم الإسلامي:

يقول جارودي بأن الوجودية «استمرت مسيطرة أكثر من ثلث قرن»[٢] بحكم تقليد المغلوب للغالب، فإن اتجاهات الوجودية في العالم الإسلامي هي اتجاهات الوجودية في الواقع الغربي غالبًا؛ لأنه هو موردها ومصدرها، وقد تسللت الوجودية إلى العالم الإسلامي بواسطة الروايات والمسرحيات الأدبية المترجمة، ولم تعرف الوجودية في العالم الإسلامي كفلسفة بقدر ما عرفت مما تسرب من آثارها في الأعمال الأدبية كالقصص والروايات التي عبرت عن حالة الغربة والضياع عقب الحرب العالمية الثانية، كما ارتبطت الوجودية في أذهان المثقفين العرب بسارتر وإنتاجه الفلسفي والأدبي، وأكثر ما تتمثل آراؤه في رواياته المسرحية وأبطاله في تلك الروايات يستبيحون الشذوذ والإجرام والخيانة[٣].

ومن المعلوم أن سارتر يمثل الوجودية الملحدة، وهذا هو الاتجاه الذي يمثله غالب من وقع في فخها في العالم الإسلامي.

أبرز ممثليها في العالم الإسلامي:

يعد عبد الرحمن بدوي الرائد الأول للوجودية في العالم الإسلامي، وقد تبنى الاتجاه الوجودي الذي بدأه هيدجر، وهو الاتجاه الملحد للوجودية، وقد بذل جهدا كبيرا في نشرها والترويج لها من خلال مؤلفاته ومحاضراته، وقد تأثر به شريحة كبيرة من المثقفين، وكان ذكاؤه واجتهاده وسعة اطلاعه من أسباب إعجاب كثير من المثقفين بالوجودية[٤].

لكنه تاب منها ورجع عنها في آخر حياته، فقد أجرت مجلة الحرس الوطني بالكويت حوارًا مع

---

(١) دراسات في الفلسفة الوجودية (ص: ٦).

(٢) نظرات حول الإنسان، روجيه جارودي (ص: ٢٩٧)، ترجمة: يحيى هويدي.

(٣) انظر: الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة. د. مصطفى حلمي (ص: ١٥٦).

(٤) انظر: عبد الرحمن بدوي ومذهبه الفلسفي، د. عبد القادر الغامدي (ص: ٢٦٦-٢٦٨).

عبد الرحمن بدوي قبل وفاته بشهر بتاريخ ٢٠٠٢/١٠/١م، ومما جاء فيه:

«- هل تبرأت من كتاباتك السابقة عن (الوجودية) و(الزمن الوجودي) وعن كونك رائد الوجودية في الوطن العربي؟!!

- نعم، أي عقل ناضج يفكر لا يثبت على حقيقة واحدة، ولكنه يتساءل ويستفسر ويطرح أسئلته في كل وقت، ويجدد نشاطه باستمرار؛ ولهذا فأنا في الفترة الحالية أعيش مرحلة القرب من الله تعالى، والتخلي عن كل ما كتبت من قبل، من آراء تتصادم مع العقيدة والشريعة، ومع الأدب الملتزم بالحق والخير والجمال. فأنا الآن هضمت تراثنا الإسلامي قراءة وتذوقًا وتحليلًا وشرحًا، وبدا لي أنه لم يتأت لأمة من الأمم مثل هذا الكم الزاخر النفيس من العلم والأدب والفكر والفلسفة لأمة الضاد!! كما أني قرأت الأدب والفلسفات الغربية في لغاتها الأم مثل الإنجليزية والفرنسية واللاتينية والألمانية والإيطالية، وأستطيع أن أقول: إن العقل الأوروبي لم ينتج شيئًا يستحق الإشادة والحفاوة مثلما فعل العقل العربي!! وتبين لي -في النهاية - الغي من الرشاد، والحق من الضلال»[1].

كما بدأت هذه العودة إلى الإسلام في كتابين كتبهما في الدفاع عن القرآن ونبي الإسلام ﷺ، الأول: دفاع عن القرآن ضد منتقديه، والثاني: دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره.

(١) المصدر السابق (ص: ٦٧).

المبحث الرابع:
موقف الإسلام من الوجودية

الوجودية مذهب فلسفي إلحادي إباحي، فهو إلحادي لا يؤمن بالله ولا بالدين، وهو إباحي يدعو إلى الإباحية السافرة، فهو مناقض للإسلام.

وقد قرر مجمع الفقه الإسلامي بالإجماع في دورته المنعقدة بتاريخ ٢٦/ ٤/ ١٣٩٩هـ - ٤/ ٥/ ١٣٩٩هـ برئاسة العلامة عبد الله بن حميد، وعضوية عدد من كبار العلماء منهم العلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة محمد بن عثيمين: «أن فكرة الوجودية في جميع مراحلها وتطوراتها وفروعها لا تتفق مع الإسلام؛ لأن الإسلام إيمان يعتمد النقل الصحيح، والعقل السليم معًا في وقت واحد؛ فلذا لا يجوز للمسلم بحال من الأحوال أن ينتمي إلى هذا المذهب متوهمًا أنه لا يتنافى مع الإسلام، كما أنه لا يجوز -بطريق الأولوية- أن يدعو إليه، أو ينشر أفكاره الضالة»[1].

(١) قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة (ص: ٥٠).

ملخص الفصل السادس

- **تعريف الوجودية:** هي مذهب يؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يملأ وجوده على النحو الذي يلائمه، دون ارتباط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته.
- **مبادؤها:** الوجودية تقوم على أصلين: (١) أن الوجود سابق على الماهية. (٢) أن الإنسان له مطلق الحرية في الاختيار، فيصنع نفسه بنفسه، ولا يحتاج إلى موجّه.
- **نشأتها:** نشأت الوجودية -بصورتها الحديثة- بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، حيث كانت محنة الحرب وما تركته من الدمار والرعب بيئة ملائمة لظهور أفكار الوجوديين وتفسيراتهم التشاؤمية.
- **أشهر فلاسفتها:** سورين كيركجارد وهو مؤسس الوجودية، ومارتن هيدجر، وجان بول سارتر، وجبرييل مارسيل، وكارل جاسبرز، وبسكال بليز، وغيرهم.
- **آثار الوجودية في المجتمع الغربي:** (١) التحلل من المبادئ والقيم. (٢) انتشار القلق، حتى سمي هذا العصر بعصر القلق، كما ساهمت الوجودية في انتشار الفساد، وفشو الإلحاد، وارتفاع معدلات الانتحار.
- **الاتجاهات الوجودية في الغرب:** (١) الوجودية الملحدة. (٢) الوجودية المسيحية، ويسمونها: المؤمنة.
- **انتقال الوجودية في العالم الإسلامي:** تسللت الوجودية إلى العالم الإسلامي بواسطة الروايات والمسرحيات الأدبية المترجمة، ولم تعرف الوجودية في العالم الإسلامي كفلسفة بقدر ما عرفت مما تسرب من آثارها في الأعمال الأدبية كالقصص والروايات التي عبرت عن حالة الغربة والضياع عقب الحرب العالمية الثانية.
- **رائد الوجودية في العالم الإسلامي:** يعد عبد الرحمن بدوي الرائد الأول للوجودية في العالم الإسلامي، وقد تبنى الاتجاه الوجودي الذي بدأه هيدجر، وهو الاتجاه الملحد للوجودية، وقد بذل جهدا كبيرا في نشرها والترويج لها من خلال مؤلفاته ومحاضراته، وقد تأثر به شريحة كبيرة من المثقفين، لكنه تاب منها ورجع عنها في آخر حياته.
- **موقف الإسلام من الوجودية:** الوجودية مذهب فلسفي إلحادي إباحي، فهو إلحادي لا يؤمن بالله ولا بالدين، وهو إباحي يدعو إلى الإباحية السافرة، فهو مناقض للإسلام.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف الوجودية، واذكر أهم الأصول التي تقوم عليها.

س٢: متى نشأت الوجودية؟ ومن أبرز فلاسفتها؟

س٣: تكلم بإيجاز عن آثار الوجودية في العالم الغربي.

س٤: يعد د. عبد الرحمن بدوي رائد الوجودية في العالم الإسلامي. بين الاتجاه الوجودي لديه، ثم اذكر ما انتهى إليه رأيه في الوجودية.

س٥: اذكر بإيجاز موقف الإسلام من الوجودية.

الفصل السابع:
العقلانية

المبحث الأول:
التعريف بالعقلانية والعقلانيين

«العقلانية مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه»[١]، وهي لا تعني استخدام العقل، وإنما تعني الاعتماد على العقل في تحصيل المعارف كلها[٢]، مع استبعاد كل ما سواه من مصادر المعرفة، ولذا يقول عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر إدغار موران: «العقلانية هي رؤية للعالم تؤكد على الاتفاق الكلي بين ما هو عقلي (التناسق) وواقع الكون، فهي إذن تقصي من الواقع كل ما ليس عقليًا، وكل ما ليس ذا طابع عقلي»[٣].

والمذهب العقلي بهذا المعنى مقابل للمذهب التجريبي الذي يزعم أن كل ما في العقل فهو متولد من الحس والتجربة، وهو أيضًا مضاد لمذهب الإيمانيين الذين يعتقدون أن العقل لا يكشف عن الحقيقة، وإنما يكشف عنها الوحي[٤]، يقول جوليان باجيني: «يعتقد أصحاب المذهب العقلي أن الطريقة للحصول على المعرفة هي بالتعويل على موارد المنطق والعقل، وهذا النوع من التفكير لا يعتمد على معطيات الخبرة، بل ينطلق من الحقائق الأساسية التي يطلب أن تكون موجودة، وليست نابعة من الخبرة»[٥].

فالعقلانية عندهم بديل للدين، يقول المؤرخ الأمريكي كرين برينتون: «تعتبر النزعة العقلانية -

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٩٦).

(٢) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة. د. خالد السيف (ص: ٥٤).

(٣) العقل والعقلانية، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي (ص: ٧).

(٤) انظر: موسوعة لالاند (٣/ ١١٧٢)، المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا (٢/ ٩٠-٩١).

(٥) الفلسفة موضوعات مفتاحية، جوليان باجيني (ص: ٣٠)، ترجمة: أديب يوسف شيش.

بالصورة التي نمت بها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر في الغرب- نسقًا ميتافيزيقيا كاملًا، بل وأكثر من هذا، إنها كانت وما زالت بالنسبة لقليل من الناس بمثابة البديل للدين»[١]، والدين عندهم أيضًا يخضع لحكم العقل قبولا وردًّا، يقول المفكر الأمريكي جون هرمان: «إن الدين ليس حاجة غريزية ونتيجة فعل في النفس البشرية، وإنما هو علم في الأساس كعلم الفيزياء، أي: إنه نظام من القضايا العقلية أعطي لنا من الخارج لامتحانه كما تمتحن أية قضايا أخرى ببراهين العقل الإنساني»[٢].

وقد ظهر هذا المصطلح بهذا المعنى في القرن السابع عشر الميلادي[٣].

أما المقصود بالعقلانيين فإن هذا المصطلح قد استعمل في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر للدلالة على المفكرين الأحرار الذين أوقفوا تفكيرهم وعلومهم لمحاربة الإكليروس[٤] والدين النصراني[٥].

(١) تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون (ص: ٧٢)، ترجمة: شوقي جلال.

(٢) تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندل (١/ ٤١٩)، ترجمة: د. جروج طعمه.

(٣) موسوعة لالاند الفلسفية (٣/ ١١٧٢).

(٤) إكليروس كلمة يونانية المقصود بها أصحاب الرتب الكهنوتية من أساقفة وكهنة وشمامسة. انظر: موقع الأنبا تكلا هيمانوت، على هذا الرابط: https://cutt.us/yvlPIy، بتاريخ: ٢٩/ ٧/ ٢٠١٢م.

(٥) انظر: العقلانية المعاصرة عند روبير بلانشي، علي بوقليع (ص: ج)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

المبحث الثاني:
المقصود بعصر التنوير، والتنويريين، والعصرانيين

المقصود بعصر التنوير:

يقصد بعصر التنوير: الحركة الفلسفية التي بدأت في أوربا في القرن الثامن عشر الميلادي[١].

وقد ارتبطت هذه الحركة بإعلاء شأن العقل، واعتباره الميزان الوحيد للحكم على الأشياء حتى لو تعارض مع ما تعارف الناس على اعتباره من المقدسات[٢].

يقول د. محمد البهي: «للعقل -في نظر أصحاب عصر التنوير- الحق في الإشراف على كل اتجاهات الحياة، وما فيها من سياسة وقانون ودين، والإنسانية هي هدف الحياة للجميع، وليس الله أو المجتمع الخاص أو الدولة الخاصة ... فالتنوير لا يقصد به إلا إبعاد الدين عن مجال التوجيه وإحلال العقل محله فيه، والإنسانية التي يبشر بها هذا العصر ليست إلا عوضًا عن القرب من الله كهدف للإنسان في سلوكه في الحياة، والإله الذي ليس له وحي ولا خلق يتفق مع تحكيم العقل وحده، وطلب سيادته على أحداث الحياة واتجاهاتها، وكانت في عصر التنوير إذن خصومة فكرية بين الدين والعقل، واتجه التفكير فيه إلى إخضاع الدين العقل؛ ولذلك عُدَّ زمن هذا العصر فترة سيادة العقل، كما عُدَّ العصر السابق عليه فترة سيادة الدين»[٣].

المقصود بالتنويريين:

يقصد بالتنويريين في أوروبا الفلاسفة الذين قادوا حركة التنوير للخلاص من ظلمات دين بولس واستبداد الكنيسة ففي إنجلترا: جون تولاند، ودافيد هيوم، وفي فرنسا: مونتسكيو، وفولتير، ودولباخ[٤].

ويقصد بالتنويريين في الفكر العربي الحديث: الفئة التي تعتمد العقل في فهم الدين أكثر من

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية (ص: ١٣٩).
(٢) قضايا التنوير والنهضة في الفكر العربي المعاصر. مجموعة باحثين (ص: ٧٠).
(٣) الفكر الإسلامي الحديث (ص: ٢٩٨-٢٩٩).
(٤) انظر: مصطلح التنوير (ص: ٣).

اعتمادها على الوحي[١].

وهو نفس الاتجاه الكلامي الذي وجد مع ظهور الفرق الكلامية التي تعتمد على العقل عوضا عن النقل كالجهمية والمعتزلة، إلا أن هؤلاء أضافوا إلى ذلك إخضاع نصوص الوحي إلى مفاهيم الغرب وقيمه وتصوراته، ومن هنا أصبح يطلق مصطلح التنوير في الخطاب العربي الحديث بشكل عام على الحركة التي حدثت في العالم الإسلامي منذ قرنين من الزمان، واتسمت بتأثرها بالطريقة الغربية، وبإعجابها بالغرب وعلومه وتقدمه الفكري والعلمي، وبتيار النهضة والإحياء الذي عرف في القرون الأخيرة[٢].

المقصود بالعصرانيين:

نسبة إلى العصرانية، وهي «الحركة التي سعت إلى تطويع مبادئ الدين لتتلاءم مع قيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، وإخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شؤون الحياة»[٣].

«ويطلق المصطلح بخاصة على: حركة في الفكر الكاثوليكي سعت إلى تأويل تعاليم الكنيسة على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد اشتد ساعد هذه الحركة في فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا.

ويطلق المصطلح أيضا على: حركة تحررية في الكنيسة البروتستانتية، نشأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولا تزال ناشطة حتى اليوم، وهي تهدف إلى التوفيق بين المفاهيم اللاهوتية ومقتضيات المعرفة الحديثة»[٤].

وقد أطلق هذا المصطلح في العالم الإسلامي على طائفة تلقت تعليمها -في الغالب- في بلاد الغرب، وحاولت تأويل نصوص القرآن والسنة حتى تتلائم مع منهج الغرب وعلومه وقيمه.

ومن أبرز دعاة العصرانية في العالم الإسلامي:

---

(١) انظر: المثقفون في الحضارة العربية، د. محمد عابد الجابري (ص: ١١٤).

(٢) مصطلح التنوير (ص: ٨).

(٣) مفهوم تجديد الدين، د. بسطامي محمد سعيد (ص: ٩٨).

(٤) موسوعة المورد، منير البعلبكي (٧/ ٤٤). نقلا عن: العصرانيون.. حقيقة التجديد عند العصرانيين، د. حمزة أبو الفتح قاسم، بحث منشور على موقع: رابطة العلماء السوريين، على هذا الرابط:
https://islamsyria.com/site/show_articles/٤٥٦

سيد أحمد خان: حيث كان أول رجل في الهند الحديثة سعى إلى طرح آرائه التي يرى فيها ضرورة إيجاد تفسير جديد للإسلام يقوم على الحداثة والتقدم والتحرر، وأنشأ مدرسته الفكرية القائمة على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية، واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها، وعلى علاتها، وتفسير الإسلام والقرآن تفسيرًا يطابقان ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة في آخر القرن التاسع عشر(١).

وكان من تلاميذه الذين تأثروا بنظرياته وحملوا فكرته في القارة الهندية: شراغ علي في كتابه: الإصلاحات السياسية والقانونية والاجتماعية المقترحة للإمبراطورية العثمانية والدول الإسلامية الأخرى، وسيد أمير علي من طائفة الشيعة في كتابه: روح الإسلام، ومحمد علي من طائفة القاديانية(٢) في كتابه: الدين الإسلامي، غلام أحمد برويز من منكري السنة في كتابه: الإسلام، وممن تأثر بالفكر التجديدي الغربي أيضا: محمد إقبال في كتابه: تجديد الفكر الديني في الإسلام.

(١) انظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار العربية، أبو الحسن الندوي (ص: ٨٢).
(٢) هم أتباع المتنبي الكذاب غلام أحمد القادياني الذي ادعى النبوة.

المبحث الثالث:

الجذور الفكرية والعقدية للعقلانيين

ترجع جذور هذا المذهب إلى عصر الفلسفة اليونانية، «وقد بدأت كتيار وكمنهج فلسفي في الفلسفة اليونانية مع سقراط وأفلاطون»[١]، فقد «كانت العقلانية اليونانية لونًا من عبادة العقل وتأليهه، وإعطائه حجمًا أكبر بكثير من حقيقته»[٢].

وقد برزت العقلانية في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي كثير من الفلاسفة الذين أثَّروا كثيرًا في الفكر البشري من أمثال: رينيه ديكارت الذي يعده الكثيرون أبا للعقلانية الحديثة[٣]؛ لأنه اعتمد المنهج العقلي لإثبات الوجود عامة ووجود الله على وجه أخص، وذلك من مقدمة واحدة عُدت من الناحية العقلية غير قابلة للشك وهي: أنا أفكر فأنا إذن موجود.

ومن أمثال ليبنتز الذي قال بأن كل موجود حي، وليس بين الموجودات مِنْ تفاوت في الحياة إلا بالدرجة -درجة تميز الإدراك- والدرجات أربع: مطلق الحي أي: ما يسمى جمادًا، والنبات، فالحيوان، فالإنسان.

وفي المجتمع الإسلامي نجد المعتزلة تقترب من العقلانية جزئيًّا، إذ اعتمدوا على العقل، وجعلوه أساس تفكيرهم، ودفعهم هذا المنهج إلى تأويل النصوص من الكتاب والسنة التي تخالف رأيهم[٤].

---

(١) العقلانية المعاصرة، علي بوقليع (ص: ب).

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٩٧).

(٣) انظر: العقلانية المعاصرة، علي بوقليع (ص: ب).

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٧٩٦).

المبحث الرابع:
المدرسة العقلية الحديثة
تعريفها، ونشأتها، ومعالمها، وآثارها

تعريفها:

«المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلًا جديدًا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين»[١].

نشأتها:

بدأت جذور المدرسة العقلية في الظهور نتيجة الاختلاط بين الشرق والغرب عن طريق البعثات التعلمية، حيث تأثر تلامذة البعثات من أمثال رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي بما وجدوه في أوروبا من تقدم مادي، ولما رجعوا إلى بلادهم أخذوا ينادون بالنهوض بالأمة الإسلامية، وأن السبيل إلى تحقيق ذلك هو اللحاق بركب الحضارة الغربية[٢].

وقد نشأت المدرسة العقلية الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي على يد جمال الدين الأفغاني (ت١٨٩٧م) في مصر، وأحمد خان (ت١٨٩٨م) في الهند، وكان سبب نشأتها محاولة النهوض بالعالم الإسلامي من التخلف العلمي والمادي، في ظل الانبهار بالحضارة الغربية المادية، وكان التجديد والإصلاح في نظرهم يتمثل في الموائمة والتوفيق بين نصوص الشرع ومعطيات الحضارة الغربية، وذلك بتأويل النصوص تأويلًا لا يعارض المفاهيم والنظريات الغربية السائدة، مع إعطاء العقل المنزلة الأولى في التعامل مع النصوص الشرعية من حيث القبول والرد، ومن حيث الفهم والتنزيل على الواقع[٣].

---

(١) المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من الحديث الشريف. نجمية أردول (ص: ١١).

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث. محمد العبده. طارق عبد الحليم (ص: ١٢٧).

(٣) انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. د. فهد الرومي (١/ ٧٠)، التجديد في الفكر الإسلامي، د.عدنان محمد أمامة (ص: ٣٦٤).

معالمها:

١- تقديم العقل على النصوص الشرعية، بل ومحاكمة النصوص إلى العقل، يقول أحدهم: «الإسلام الجديد تعبير صريح عن تقديم العقل على النص، بل واستخدام منتجات العقل الإنساني في دراسة الظاهرة الدينية ومنتجاتها الرمزية والمادية... إن أهم ما يميز الفكر الحديث هو نزع التعالي عن النصوص الدينية وإخضاعها لسنن القراءة، شأنها في ذلك شأن بقية النصوص»[١].

٢- الجهل بالعقيدة دراسة غالبهم في مدارس أجنبية، واهتمامهم بدراسة عقائد الفرق المنحرفة، حتى قال بعضهم[٢]: إن «العقيدة أتت لتبرير اختلاف المواقف السياسية، مما يدل على أن علم أصول الدين هو علم سياسي، وأن مشاكله كلها أتت كصدى للمشاكل السياسية، وأن الفرق الكلامية هي في حقيقة الأمر فرق سياسية تأخذ العقيدة كسلاح أيديولوجي في مجتمع تحركه العقيدة»[٣]، ويقول أيضًا في الإسراء والمعراج: «لم يظهر هذا الموضوع كجزء من العقائد إلا في العقائد المتأخرة في مرحلة انحسار العقل وزيادة النقل ... وهي مادة مستمدة أحيانا من علوم السيرة وأحيانا أخرى من الخيال الشعبي والمصنفات فيه»[٤]، وهو جهل فاضح؛ فالعقيدة الإسلامية مستمدة من القرآن والسنة، والإسراء والمعراج معجزة نبوية عظيمة، ولكنه الجهل يعمي ويصم.

٣- معارضة النصوص الشرعية ولا سيما السنة النبوية، إما بإنكار حجيتها، أو عدم قبول ما سوى المتواتر منها، أو تأويلها بمقتضى عقولهم وأهوائهم وخلفياتهم العلمية، يقول أحدهم في الطعن في نقلة الشريعة: «نحن نجد أن جيل الصحابة هو وحده الذي رأى وسمع وشهد الظروف الأولى والكلمات الأولى التي نقلت فيما بعد على هيئة القرآن والحديث والسيرة، إن لمن الصعب تاريخيًا إن لم يكن من المستحيل التأكيد على القول بأن كل ناقل قد سمع بالفعل ورأى الشيء الذي نقله، على الرغم من هذه الحقيقة، فالنظرية الثيولوجية المزعومة قد فرضت بالقوة فكرة إن كل الصحابة معصومون في شهاداتهم ورواياتهم»[٥]، ويقول آخر في الطعن في حفظ السنة

---

(١) إسلام المجددين، محمد حمزة (ص: ٤٧).

(٢) هو د. حسن حنفي.

(٣) موسوعة الحضارة الإسلامية، حسن حنفي (٢/ ٤١).

(٤) من العقيدة إلى الثورة، د. حسن حنفي (٤/ ٢٠٥).

(٥) الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون (ص: ١٧٤).

النبوية: «إن السبب الأساسي لجمع الحديث أولا وللتأكيد عليه ثانيا هو سبب سياسي بحت، تولد عنه منطلق فكري عقائدي بعد سقوط دولة الخلفاء الراشدين وظهور الدولة الأموية»[١].

٤- رد جملة من الأحكام الشرعية بدعوى أنها أحكام مرحلية، يقول أحدهم: «علينا اعتبار كل الأحاديث المتعلقة بالحلال والحرام والحدود التي لم يرد نص فيها في الكتاب على أنها أحاديث مرحلية مثل الغناء والموسيقى والتصوير، واعتبارها أحاديث قيلت في حينها حسب الظروف السائدة»[٢].

٥- الطعن في الثوابت والأصول الشرعية، يقول أحدهم: «الفقه الإسلامي كما صاغه لنا الفقهاء في القرنين الثاني والثالث الهجريين وكذلك علوم القرآن بحاجة ملحة إلى إعادة النظر وخاصة فيما يسمى بالثوابت أو الأصول؛ حيث نحن اليوم بحاجة ماسة إلى إعادة تأصيل الأصول نفسها، وإعادة النظر فيما يسمى بالأحكام الشرعية وأدلتها، والتفكير بصياغة شرعية جديدة بعد شرعية الخلافة»[٣].

٦- الأخذ بالمناهج الغربية خصوصًا مناهج المستشرقين، حيث يسعى أصحاب هذه المدرسة إلى تقليد نظام الحياة الغربية، والمنهج الاستشراقي على وجه أخص، وهم يرون أن الدراسات الاستشراقية التزمت بأدوات منهجية جديدة لا عهد للفكر الإسلامي بها[٤].

٧- عدم الالتزام بالضوابط الشرعية، والدعوة إلى حرية مطلقة[٥].

٨- التلاعب بمعاني النصوص الشرعية، وادعاء أنها تقبل جميع القراءات، وتخضع لجميع مناهج التأويل[٦].

٩- نقد العلوم الشرعية؛ حيث يسعى أتباع هذه المدرسة إلى نقد العلوم الشرعية وعدم التسليم بقواعد هذه العلوم وتحريف معانيها[٧].

١٠- الدعوة إلى حرية الاعتقاد، يقول أحدهم: «الإسلام يدعو إلى حرية الفكر والعقيدة إلى

---

(١) الكتاب والقرآن، محمد شحرور (ص: ٥٦٦).
(٢) الكتاب والقرآن، محمد شحرور (ص: ٥٧٢).
(٣) تجفيف منابع الإرهاب، محمد شحرور (ص: ٣٠٤).
(٤) انظر: موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، د. محمود البعداني (١/ ١١١).
(٥) انظر: موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير (١/ ١١٢).
(٦) انظر: المصدر السابق (١/ ١١٣).
(٧) انظر: المصدر السابق (١/ ١١٥).

آخر مدى، وسيكون دليلنا على هذا نصوص القرآن والكريم وسنة الرسول -عليه الصلاة والسلام- وعمل الصحابة، أما الفقهاء فليس لنا معهم كلام»[١].

آثارها:

ترك أصحاب ما يسمى بالمدرسة العقلية كثيرًا من الآثار السيئة في المجتمعات الإسلامية[٢]، ومن أخطرها ما يلي:

١- إنشاء مؤسسات لنشر آرائهم وأفكارهم، وتشكيل ثقافة كثير من المجتمعات وفق أهدافهم، ومن أمثلتها: مؤسسة ابن رشد للفكر الحر في ألمانيا، ومركز دراسات الوحدة العربية في لبنان.

٢- تسخير كثير من وسائل الإعلام المختلفة من قنوات فضائية ومجلات بحثية ومواقع إلكترونية لترويج آرائهم وثقافتهم، ومن أمثلتها: مجلة التسامح، ومجلة منبر ابن رشد للفكر الحر التابعة لمؤسسة ابن رشد، وموقع تنوير، وموقع أوان، ومنتدى العقلانيين العرب.

٣- التدريس في عدد كبير من الجامعات مما ساعد على ترسيخ أفكارهم ومبادئهم في جيل الشباب.

٤- إقامة ندوات ومؤتمرات لبث مفاهيمهم[٣].

---

(١) حرية الفكر والاعتقاد في الإسلام، جمال البنا (ص: ٤).

(٢) لأصحاب هذه المدرسة مؤلفات كثيرة في عدد من أبواب العلوم والمعارف يتعذر إحصاؤها. فهم يكتبون في العلوم الشرعية، وفي اللغة والأدب الحديث، والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، مع عنايتهم بترجمة الكتب الغربية.
فعلى سبيل المثال بلغت كتب نصر حامد أبو زيد كما جاء في موقعه اثنان وعشرون كتابا وإحدى وثلاثون مقالة. وقد ترجم كثير منها إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإندونيسية وغيرها.
وأما كتب محمد عابد الجابري في موقعه فهي اثنان وثلاثون كتابا، ومقالاته تتجاوز مئتي مقالة.
وكتب حسن حنفي تتجاوز عشرين مجلدا.
وكتب جمال البنا تجاوزت مئة كتاب. انظر: موقف المدرسة العقلية من علوم القرآن وأصول التفسير (١/ ٩٣) الهامش.

(٣) انظر: موقف المدرسة العقلية من علوم القرآن وأصول التفسير (١/ ١٢١-١٣٤).

ملخص الفصل السابع

- **تعريف العقلانية:** هي مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية
- **نشأتها:** ظهر هذا المصطلح بهذا المعنى في القرن السابع عشر الميلادي، وقد استعمل هذا المصطلح في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر للدلالة على المفكرين الأحرار الذين أوقفوا تفكيرهم وعلومهم لمحاربة الإكليروس والدين النصراني.
- **تعريف عصر التنوير:** الحركة الفلسفية التي بدأت في أوربا في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد ارتبطت هذه الحركة بإعلاء شأن العقل، واعتباره الميزان الوحيد للحكم على الأشياء حتى لو تعارض مع ما تعارف الناس على اعتباره من المقدسات
- **تعريف التنويريين:** يقصد بالتنويريين في أوروبا الفلاسفة الذين قادوا حركة التنوير للخلاص من ظلمات دين بولس واستبداد الكنيسة، ويقصد بالتنويريين في الفكر العربي الحديث: الفئة التي تعتمد العقل في فهم الدين أكثر من اعتمادها على الوحي.
- **تعريف العصرانية:** هي الحركة التي سعت إلى تطويع مبادئ الدين لتتلاءم مع قيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، وإخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شؤون الحياة.
- **نشأة العقلانية:** ترجع جذور العقلانية إلى عصر الفلسفة اليونانية، وقد بدأت كتيار وكمنهج فلسفي في الفلسفة اليونانية مع سقراط وأفلاطون. وقد برزت العقلانية في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي كثير من الفلاسفة الذين أثَّروا كثيرًا في الفكر البشري من أمثال: رينيه ديكارت الذي يعده الكثيرون أبا للعقلانية الحديثة.
- **تعريف المدرسة العقلية:** هي اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلًا جديدًا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين.
- **نشأة المدرسة العقلية:** بدأت جذورها في الظهور نتيجة الاختلاط بين الشرق والغرب عن طريق البعثات التعلمية وغيرها، وقد نشأت المدرسة العقلية الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي على يد جمال الدين الأفغاني (ت١٨٩٧م) في مصر، وأحمد خان (ت١٨٩٨م) في الهند، وترسخت على يد محمد عبده (ت١٩٠٥م) وتلامذته

من بعده.

- **أهم معالمها:** (١) تقديم العقل على النصوص الشرعية، بل ومحاكمة النصوص إلى العقل. (٢) الجهل بالعقيدة بحكم دراسة غالبهم في مدارس أجنبية. (٣) معارضة النصوص الشرعية ولا سيما السنة النبوية، إما بإنكار حجيتها، أو عدم قبول ما سوى المتواتر منها، أو تأويلها بمقتضى عقولهم وأهوائهم وخلفياتهم العلمية. (٤) رد جملة من الأحكام الشرعية بدعوى أنها أحكام مرحلية. (٥) الطعن في الثوابت والأصول الشرعية. (٦) الأخذ بالمناهج الغربية خصوصًا مناهج المستشرقين. (٧) عدم الالتزام بالضوابط الشرعية، والدعوة إلى حرية مطلقة. (٨) التلاعب بمعاني النصوص الشرعية، وادعاء أنها تقبل جميع القراءات، وتخضع لجميع مناهج التأويل. (٩) نقد العلوم الشرعية، وعدم التسليم بقواعدها وتحريف معانيها. (١٠) الدعوة إلى حرية الاعتقاد.
- ترك أصحاب ما يسمى بالمدرسة العقلية كثيرٌ من الآثار السيئة في المجتمعات الإسلامية، ومن أخطرها ما يلي: (١) إنشاء مؤسسات لنشر آرائهم وأفكارهم، وتشكيل ثقافة كثير من المجتمعات وفق أهدافهم. (٢) تسخير كثير من وسائل الإعلام المختلفة من قنوات فضائية ومجلات بحثية ومواقع إلكترونية لترويج آرائهم وثقافتهم. (٣) التدريس في عدد كبير من الجامعات مما ساعد على ترسيخ أفكارهم ومبادئهم في جيل الشباب. (٤) إقامة ندوات ومؤتمرات لبث مفاهيمهم.

أسئلة تطبيقية

س١: ما المراد بالعقلانية؟ ومتى نشأت؟

س٢: بين المراد بالمصطلحات التالية: عصر التنوير، العصرانية، التنويريون، المدرسة العقلية الحديثة؟

س٣: بين بإيجاز أهم معالم المدرسة العقلية الحديثة التي ظهرت في العالم الإسلامي.

الفصل الثامن:
العلمانية

المبحث الأول:
التعريف بالعلمانية وأسباب ظهورها في الغرب

أولا: التعريف بالعلمانية:

العلمانية مصطلح غربي، ولذلك فإن الباحثين حين يعرفونها يرجعونها لأصلها اللغوي الإنجليزي سكيولريزم (secularism)، ولذلك فإننا سنرجع في تعريفها أولا إلى المعاجم الأوربية.

جاء في قاموس أوكسفورد ترجمة كلمة:(SECULAR) «دنيوي، علماني، نسبة إلى أمور الحياة الدنيا على نقيض الأمور الدينية»[١].

وتقول دائرة المعارف البريطانية في مادة (secularism): «هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها»[٢].

وورد في (معجم اللغة البريطانية) عن مادة (علمانية) ما يلي:

١- علمانية secularism ما يهتم بالدنيوي أو العالمي كمعارض للأمور الروحية، وبالتحديد هي الاعتقاد بالدنيويات.

٢- العلماني secularist وهو ذلك الشخص الذي يؤسس سعادة الجنس البشري في هذا العالم دون اعتبار للنظم الدينية أو أشكال العبادة.

٣- علمانية secularity أو secularism أي: محبة هذا العالم، أو ممارسة أو مصلحة تختص على الإطلاق بالحياة الحاضرة.

٤- يعلمن seculariye يجعله علمانيًا، يحوله من مقدس إلى دنيوي، أو من راهب إلى دنيوي.

---

(١) قاموس أكسفورد (ص: ١١١٧).

(٢) نقلًا عن: العلمانية، نشأتها وتطورها (ص: ٢٢).

٥- علماني Secular ما يختص بهذا العالم أو بالحياة الحاضرة زمني أو عالمي، أو ما يناقض كل ما هو ديني أو روحاني، أو ما لا يخضع لسلطة الكنيسة، مدني أو غير روحاني، أو ما لا يهتم بالدين، أو ما ليس بمقدس[١].

ومن هذه التعاريف يتبين إجماع المصادر الأوروبية على أن العلمانية هي الدنيوية أو اللادينية، فهي تهتم بالدنيا دون الآخرة، وتناهض الدين وتبعده عن واقع الحياة، فالترجمة الحقيقية لمصطلح (العلمانية) هو: اللادينية، والعلماني هو اللاديني.

وأما التفسير الشائع في بعض الكتب الإسلامية المعاصرة للعلمانية الذي هو (فصل الدين عن الدولة) فهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، ولو قيل: إنما فصل الدين عن الحياة لكان أصوب، ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية: إقامة الحياة على غير الدين، سواء بالنسبة للأمة أو للفرد[٢].

ولذا فإن مدلول العلمانية المتفق عليه يعني: عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيسًا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما[٣].

يقول د. محمد البهي: «العلمانية تنسب على غير قياس إلى العالم أو العالمية، هي نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية»[٤].

ويقول جوردن مارشال: «التحول العلماني هو العملية التي بمقتضاها تفقد المعتقدات والممارسات والمؤسسات الدينية مغزاها وأهميتها الاجتماعية»[٥].

الترجمة المضللة:

ترجمت (Secularism, Secularite) إلى العربية بلفظ قد يقرأ خطأ ويفهم خطأ، فيقرأ بكسر العين، والصواب فتحها؛ لأنها ليست منسوبة إلى العِلْم بل إلى العالم، والنسبة إلى العالم

---

(١) معجم اللغة البريطانية (٣/ ١١٣٨). نقلا عن: العلمانيون والقرآن (ص: ١٢٢).

(٢) انظر: العلمانية، نشأتها وتطورها (ص: ٢٣-٢٤).

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٧٩).

(٤) الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة (ص: ١٤).

(٥) موسوعة علم الاجتماع، جوردن مارشال (١/ ٣٨٥).

ينبغي أن تكون العالَمية، ولكن عوج الألسنة وانحرافها أدى إلى هذا التحريف الذي قد يكون متعمدًا؛ لأنها أقل إثارة من كلمة (اللادينية)، وللإيحاء بأن الكلمة منسوبة إلى العلم، ولو فرضنا أنها منسوبة إلى العلم لكانت النسبة (العِلْمية)، وهي غير ذلك[١]، فمصطلح العلمانية يعني حرفيًّا: الدنيوية أو المذهب الدنيوي، كما سبق نقله عن المعاجم الغربية.

كما أن زيادة الألف والنون في كلمة (علماني) ليست قياسية في اللغة العربية، أي: في الاسم المنسوب (عالماني)، وإنما جاءت سماعًا مثل: رباني، نفساني، روحاني، عقلاني، ومثلها: علماني، واللغة العربية تقبل إضافة الألف والنون لاحقة لبعض الكلمات[٢][٣].

وممن ذهب إلى أنها منسوبة إلى العلم بهذا المعنى: د. محمد سعيد البوطي، ود. عبد العظيم المطعني، ود. عماد الدين خليل، د. زكي نجيب محمود، وممن أجاز الوجهين (الكسر والفتح): د. عزيز العظمة، ود. رفعت السعيد[٤].

نشأة مصطلح (العلمانية):

أول من استعمل كلمة (العلمانية) بأحد معانيها المعاصرة هو جورج هوليوك (١٨١٧م-١٩٠٦م) للتعبير عن مذهبه السياسي الداعي إلى فصل النظام الاجتماعي عن السلطان الديني[٥].

فهو يعد أول من حدد بوضوح مفهوم العلمانية، حيث عرفها سنة (١٨٤٦م) بأنها: الإيمان بإمكانية إصلاح الإنسان من خلال الطرق المادية، دون التصدي لقضية الإيمان الديني بالقبول أو الرفض[٦]، وذلك لأنهم رأوا أن المسيحية المحرفة لم تعد مقبولة لدى أكثر المجتمعات، فحاولوا

---

(١) انظر: العلمانية جذورها وأصولها (ص: ٢٦).

(٢) انظر: العلمانيون والقرآن (ص: ١٦٩).

(٣) مع أن المعاجم متفقة على أن العلمانية غير منسوبة إلى العلم. فإن بعضهم يرى أنه يمكن أن يقال بأنها منسوبة إلى العلم، وذلك باعتبار أن أصل استعمالها يرجع إلى الصراع بين العلم والكنيسة. فـ«ترجمت الكلمة الأجنبية بهذا اللفظ (العِلمانية): لأن الذين تولوا الترجمة لم يفهموا من كلمتي (الدين) و(العلم) إلا ما يفهمه الغربي المسيحي منهما، والدين والعلم في مفهوم الإنسان الغربي متضادان متعارضان، فما يكون دينيًّا لا يكون علميًّا، وما يكون علميًّا لا يكون دينيًّا، فالعلم والعقل يقعان في مقابل الدين، والعلمانية والعقلانية في الصف المضاد للدين» (الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه ص: ٤٢-٤٣).

(٤) انظر: العلمانيون والقرآن (ص: ١٧١-١٧٢).

(٥) انظر: العالمانية طاعون العصر (ص: ٥٢).

(٦) انظر: العلمانية تحت المجهر، د. عبد الوهاب المسيري، ود. عزيز العظمة (ص: ١١).

تقديم البديل مكان النصرانية، وهو العلمانية، ولذلك سماه بعضهم بالدين العقلي[١].

وكان هذا المصطلح في البداية محدود الدلالة، ويعني: المصادرة غير الشرعية للممتلكات الكنسية إلى سلطة غير دينية، أي: إلى الدولة[٢].

وأول معجم ثنائي اللغة استعمل كلمة (علماني) العربية بالمعنى الاصطلاحي المعاصر، معجم فرنسي-عربي كتبه لويس بُقْطر المصري سنة ١٨٢٨م، وكان متعاونًا مع الحملة الفرنسية، ورحل معهم إلى فرنسا وعاش هناك، وكانت ترجمته لكلمة cecularite = علماني، وceculier = علماني، عالماني، هي أول وأقدم ترجمة صحيحة للكلمة تبطل رأي الذين يدعون أن العلمانية مشتقة من العِلم، وتؤكد أنها مشتقة من العالَم، وزيادة الألف والنون للدلالة على المبالغة في الانتماء إلى العالم والإيمان به[٣].

أما أول معجم عربي وردت فيه هذه النسبة؛ فالمرجَّح أنه (المعجم الوسيط) الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وجاءت في طبعتيه الأولى ١٩٦٠م والثانية ١٩٧٩م بفتح العين[٤].

تعريف العلمانية عند العلمانيين العرب:

يحاول العلمانيون العرب الترويج للعلمانية بين المسلمين من خلال التدليس في بيان حقيقة العلمانية وما تهدف إليه، فمنهم من يقول: إن العلمانية تعني الفصل بين السلطتين الدينية والسياسية، يقول محمد أحمد خلف الله: «العلمانية حركة فصل السلطة السياسية والتنفيذية عن السلطة الدينية، وليست فصل الدين عن الدولة».

أما وحيد عبد المجيد فيدعي أن العلمانية في الغرب ليست أيديولوجية أو نظام فكري، إنما هي مجرد موقف جزئي يتعلق بالمجالات غير الدينية (يعني أن الدين يهتم بالآخرة والغيب والروحانيات فقط)، ويميز وحيد عبد المجيد بين (اللادينية) و(العلمانية)، ويرى أن العلمانية لا تقوم على الفصل بين الدين والدولة، بل على الفصل بين الكنيسة ونظام الحكم[٥].

ولا ريب أن هذه التعريفات للعلمانية تعريفات قاصرة، لا تبين حقيقة العلمانية كما هي عند

---

(١) انظر: الإلحاد في الغرب. د. رمسيس عوض (ص: ٢٥١).

(٢) انظر: العلمانية تحت المجهر (ص: ١٢).

(٣) انظر: العلمانيون والقرآن (ص: ١٧٠).

(٤) انظر: العالمانية طاعون العصر. د. سامي العامري (ص: ٦٢).

(٥) انظر: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (١/ ٦٧) وما بعدها.

أهلها، ولذا قال د. عبد الوهاب المسيري: «التعريفات السابقة للعلمانية لم تجعلها رؤية شاملة للعالم، ولم تعطها صفة العالمية والشمول، كما أنها قلَّصت نطاقها لتشير إلى المجال السياسي، وربما الاقتصادي، ولم تمتد بأية حال لتشمل المجالات الأخرى للحياة (الحياة الخاصة -القيم الأخلاقية-القيم الدينية)، ومن ثمَّ فهي تعريفات لعلمانية جزئية لا تشمل كل جوانب الواقع ولا كل تاريخ البشر»[١].

اللائيكية:

تسمى العلمانية عند بعض الباحثين باللائيكية، حيث يعتبرونها مصطلحًا مرادفًا أو ترجمة للعلمانية[٢]، والأقرب أنها اسم للعلمانية المتطرفة التي مارستها النظم السياسية التي انتهجت أسلوب الرفض لكل ما هو ديني، ويرتبط مصطلح اللائيكية من الناحية التاريخية بالثورة الفرنسية التي كان شعارها: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس[٣]، ومن تطرف اللائيكية تنفيرهم من الإيمان بالخالق، فقد جاء في توجيهات وزارة التعليم الفرنسية: «يجب ألا نذكر للطفل البالغ من العمر سبع سنوات شيئًا عن الله، ليشعر هذا الطفل من تلقاء نفسه على امتداد الساعات الست التي يتلقاها يوميًّا أن الله غير موجود أصلا، أو أننا في أحسن الأحوال لم نعد بحاجة إليه»[٤].

فاللائكية ترفض أي مظهر للتدين حتى حرية الإنسان في اختيار لباسه وإطلاق لحيته وارتياد دور العبادة، ومن أمثلتها: الممارسات المتطرفة التي قام بها أتاتورك وأتباعه في تركيا للقضاء على كل مظاهر التدين، فاللائكية: تمثل التطبيق العملي المتطرف للعلمانية، وتحويله من التنظير إلى العمل والتطبيق[٥]، «وتبقى اللائكية مع ذلك نموذجًا للعدوان على الدين، يسعى إلى تغيير مفاهيم الناس وسلوكهم، كما أنها أعظم حدة في موقفها من الدين من العالمانية المتصالحة مع المجال العام في الدولة»[٦].

---

(١) العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (١/ ٧٠).
(٢) انظر: العلمانية تحت المجهر (ص: ١٥٧).
(٣) انظر: العالمانية طاعون العصر (ص: ١٠٢).
(٤) المصدر السابق (ص: ١٠٩).
(٥) انظر: العلمانيون والقرآن (ص: ١٨٠-١٨١).
(٦) انظر: العالمانية طاعون العصر (ص: ١١٣).

ثانيا: أسباب ظهور العلمانية في الغرب:

نشأ مفهوم العلمانية إبان عصر التنوير والنهضة في أوروبا في مواجهة الكنيسة، ومعارضة سيطرتها على الدولة وهيمنتها على المجتمع[١].

وإذا أردنا أن نعرف أسباب نشأة العلمانية فيتعين الرجوع إلى الأوضاع الأوربية التي نشأت في ظلها العلمانية، ومن أهمها ما يلي:

١- طبيعة الديانة النصرانية التي تقوم أصلًا على مبدأ فصل الدين عن الحياة، جاء في إنجيل متى: «حينئذ ذهب الفريسيون[٢] وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين[٣] قائلين: يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا: ماذا تظن؟ أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم وقال: لماذا تجربونني يا مراؤون؟ أروني معاملة الجزية، فقدموا له دينارًا، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر، فقال لهم: «أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا»[٤].

وجاء في إنجيل يوحنا: «مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خدَّامي يجاهدون لكي لا أسلَّم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا»[٥].

ونقل د. عبد الوهاب المسيري أن حسن حنفي يرى أن العلمانية ظاهرة تنتمي إلى الحضارة الغربية، وهي تعني: الفصل بين الكنيسة والدولة، ولهذا كان العلمانيون الأوائل في بلادنا الإسلامية كلهم من النصارى، وغالبيتهم من نصارى الشام ممن تربوا في المدارس الأجنبية، وفي إرساليات التبشير!! ولذا كان ولاؤهم الحضاري للغرب، ودعوا إلى النمط الغربي في التقدم، ثم تبعهم بعد ذلك بعض المسلمين، وقد أدى ذلك بالحركات الإسلامية إلى رفض العلمانية عن حق، وربطها بالتغريب، بما يتضمن ذلك من استعمار وتبشير ورفع شعار الحاكمية لله، فالخطأ الأول وهو نقل العلمانية الغربية، أحدث رد فعل خاطئ وهو الحاكمية[٦].

---

(١) انظر: العلمانية جذورها وأصولها (ص: ٣٣)، موسوعة السياسة، تحرير: عبد الوهاب الكيالي (٤/ ١٧٩).

(٢) وهم فرقة من اليهود.

(٣) وهم الرومان.

(٤) إنجيل متى (٢٢: ١٥-٢٢).

(٥) إنجيل يوحنا (١٨: ٣٦).

(٦) انظر: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (١/ ٨١-٨٢).

قلت: الحاكمية التي بمعنى أن الحكم لله ليست رد فعل خاطئ، بل هو أمر رباني قرآني، كما قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ولكن الاتجاه الخاطئ للحاكمية هو ما فهمه الخوارج وما درج عليه أصحاب الغلو في التكفير الذين كفروا المسلمين حكامًا ومحكومين بغير حق واستحلوا دماءهم وأموالهم تحت شعار الحاكمية، كما قال أوائلهم حين خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ: «لا حكم إلا لله»، فقال: «كلمة حق أريد بها باطل»[١].

٢- طغيان رجال الدين واستبدادهم ووقوفهم ضد العلم والعلماء وتشكيل محاكم التفتيش، ومن أمثلة ذلك: أن محاكم التفتيش عاقبت ثلاث مائة ألف، أحرق اثنان وثلاثون ألفًا أحياء، كان منهم العالم الطبيعي (برنو) الذي حكمت عليه الكنيسة بالقتل، واقترحت ألا تراق قطرة من دمه، وكان ذلك يعني أن يحرق حيًّا[٢].

٣- ظهور نظريات إلحادية كان لها أثرها في التمهيد للعلمانية كالداروينية.

٤- دور اليهود في إبعاد أوربا عن دينها؛ وذلك من خلال طريقين مترابطين:

أ- طريق نظري: وهو عبارة عن النظريات العلمية التي أفسدت القيم؛ كنظرية دارون، وماركس، وفرويد، ودور كايم.

ب- طريق عملي: وهو عبارة عن الإفساد الفعلي للقيم، فبعد الثورة الصناعية تمكَّن اليهود من السيطرة على معظم مؤسسات المجتمع الأوربي؛ كالجامعات ووسائل الإعلام، والبنوك، والمصانع، وغيرها، وسخَّروا هذه الإمكانات الهائلة لإفساد القيم[٣].

مراحل العلمانية في أوربا:

يذكر د. محمد البهي أن اسم (العلمانية) «قد مرَّ في التفكير الأوروبي بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة العلمانية المعتدلة[٤]، وهي مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر.

---

(١) انظر: صحيح مسلم (ح١٠٦٦).

(٢) انظر: التيارات والمذاهب الفكرية المعاصرة في ميزان الإسلام. د. ماجد عبد السلام. د. إسماعيل عبد العليم (ص: ٢٣).

(٣) انظر: المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. عيسى السعدي (ص: ٢١).

(٤) وصفت بالاعتدال بالنسبة إلى العلمانية الغالية المتطرفة. وإلا فمفهوم العلمانية تطرف لا اعتدال فيه.

والمرحلة الثانية: مرحلة العلمانية المتطرفة، وهي مرحلة القرن التاسع عشر، وقد بلغت قمتها في التطرف في التفكير المادي التاريخي»[١].

والفرق بينهما: أن الأولى لا دينية لكنها لا تعادي الدين وتراه مسألة شخصية، أما الثانية فهي تعادي الدين وتحاربه كالشيوعية.

ويستخدم د. عبد الوهاب المسيري في التعبير عن هاتين المرحلتين مصطلح العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، فالعلمانية عنده قسمان:

١- العلمانية الجزئية: وهي رؤية جزئية تذهب إلى وجوب فصل الدين عن عالم السياسة وربما الاقتصاد، وهو ما يعبر عنه بعبارة فصل الدين عن الدولة، ومثل هذه الرؤية الجزئية تلزم الصمت بشأن المجالات الأخرى من الحياة، كما أنها لا تنكر بالضرورة وجود مطلقات وكليات أخلاقية وإنسانية وربما دينية، أو وجود ماورائيات وميتافيزيقا، ولذا لا تتفرع عنها منظومات معرفية أو أخلاقية، كما أنها رؤية محددة للإنسان، فهي قد تراه إنسانا طبيعيًّا/ماديًّا في بعض جوانب حياته (رقعة الحياة العامة) وحسب، ولكنها تلزم الصمت فيما يتصل بالجوانب الأخرى من حياته، وفيما يتصل بثنائية الوجود الإنساني ومقدرة الإنسان على التجاوز، لا تسقط العلمانية الجزئية في الواحدية الطبيعية/المادية، بل تترك للإنسان حيزه الإنساني يتحرك فيه إن شاء.

٢- العلمانية الشاملة: وهي رؤية شاملة للعالم تحاول بكل صرامة تحديد علاقة الدين بكل مجالات الحياة، وترى أن العالم بأسره مكون أساسًا من مادة واحدة لا قداسة لها، وفي حالة حركة دائمة لا غاية لها ولا هدف، ولا تكترث بالخصوصيات أو التفرد أو المطلقات أو الثوابت[٢].

والعلمانية في العالم الإسلامي مرت بهاتين الحالتين، فحالة تكون العلمانية إلحادًا صريحًا وحربًا على الدين، كعلمانية أتاتورك في تركيا، وأحيانًا إهمالًا للدين، وفصلًا للدين عن الدولة.

ومع هذا التقسيم فإن تطبيق العلمانية يختلف من دولة لأخرى، ومن زمن لآخر في الدولة نفسها، بل حتى الدول الأوروبية تختلف في تطبيقاتها للعلمانية، فموقف علمانية فرنسا من الدين مثلا يوصف بأنه أكثر تشددا، حيث تحرم العلمانية ما سمته بالرموز الدينية كالحجاب مثلا، وفي علمانية إسرائيل يسمح للأحزاب الدينية بالمشاركة في الحكومة، وقد يختلف تطبيق

---

(١) الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة (ص: ١٦).

(٢) انظر: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (١/ ٢٢٠). وراجع أيضًا: كواشف زيوف (ص: ١٦٤-١٦٥).

العلمانية من زمن لآخر في الدولة الواحدة، فالعلمانية التركية إبان تأسيس الجمهورية التركية على يد كمال أتاتورك سنة ١٩٣٢م تختلف عن العلمانية الآن[١].

مبادئ العلمانية:

الجامع المشترك للمبادئ التي تنادي بها العلمانية هو (اللادينية)، ويتفرع عن هذا المبدأ العام مجموعة من المبادئ، منها:

١- فصل الدين عن الدولة والسياسة والحكم.

٢- إبعاد الدين عن مناهج التعليم والإعلام والتوجيه والتربية.

٣- هدم كيان الأسرة ونشر الانحلال والتفسخ في مجال الاجتماع والأخلاق.

٤- الشرك في الربوبية بجعل حق التشريع بيد البشر.

٥- الشرك في الألوهية بطاعة الحاكم في الحكم بغير ما أنزل الله.

٦- الزعم بأن الإسلام استنفد أغراضه، وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

٧- نقل الناس من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا فقط.

٨- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها[٢].

٩- الرؤية المادية للحياة وإنكار كل ما وراء المادة.

١٠- العقلانية المطلقة، وإقحام العقل في مجالات لا يستطيع تفسيرها[٣].

---

(١) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة. د. خالد السيف (ص: ٩٣-٩٤).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٨٢-٦٨٣).

(٣) انظر: العلمانيون والقرآن (ص: ٢٧٥).

المبحث الثاني:
أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي

انتقلت العلمانية إلى العالم الإسلامي لأسباب وعوامل كثيرة، منها:

أولا: الاستعمار العسكري: فقد دخلت العلمانية بلاد المسلمين تحت راية الاحتلال، وعلى ظهر دباباته، وقد أقر بهذه الحقيقة بعض العلمانيين، فهذا أحدهم يقول: «وإذ وقف الفقهاء موقف الرفض للعلمانية، فلأنها وفدت في الغالب الأعم من قبل مفكرين مسيحيين وتحت ظل الاستعمار الأوروبي»[١]، واعترف آخر كذلك بأن العلمانية جاءت عبر الاستعمار، ولهذا لم تدخل السعودية لأنها لم تعرف الاستعمار[٢].

وقد «بدأت أول بوادر العلمانية في العالم العربي والإسلامي مع بدء الحملة الاستعمارية وإرهاصاتها الأولى في القرن ١٩م، وكان أول من قاد محاولات الاختراق الأولى مسيحيو الشام وغيره، مثل: يعقوب صروف (١٨٥٢ – ١٩٢٧م)، وفارس نمر (١٨٥٦ – ١٩٥١م)، وشاهين مكاريوس (١٨٥٣ – ١٩١٠م)، وشبلي شميل (١٨٦٠ – ١٩١٧م)، ونقولا حداد (١٨٧٨ – ١٩٥٤م)، وجرجي زيدان (١٨٦١ – ١٩١٤م)، وفرح أنطون (١٨٧٤ – ١٩٢٢م)، وسلامة موسى (١٨٨٨ – ١٩٥٨م) وغيرهم، فهو خيار غير إسلامي لنفر من غير المسلمين، أنشأه وبلوره وزكاه – لدى بعضهم– العداء المستكن للإسلام والإعجاب المفرط إلى درجة الانبهار والتقليد للحضارة الغربية»[٣].

ثانيا: الغزو الفكري، ومن أخطر وسائله ما يلي:

١– المستشرقون: وذلك عن طريق الكتابة عن الإسلام ودس السموم فيها، وكانت هذه الكتابات وسيلة اتخذها الغرب لنشر المفاهيم العلمانية بين المثقفين الذين يتتلمذون على كتابات المستشرقين.

---

(١) العلمانية مفاهيم ملتبسة (ص: ٩٣)، نقلًا عن: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى باحو (ص: ٨٤).

(٢) انظر: المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٣) العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب (ص: ٧٨).

٢- المنصرون: وهؤلاء نقلوا العلمانية من خلال نشراتهم وكتاباتهم[١]، ومن خلال المدارس الأجنبية التي وضعوا في مناهجها المفاهيم العلمانية الغربية.

٣- المستغربون: وهؤلاء أخطر هذه الفئات، لأنهم عادوا من بلاد الغرب يحملون ألقابًا علمية وشهادات أكاديمية وتبوأوا أهم المناصب في الإعلام والتعليم، وقاموا من خلال ذلك بنشر أفكارهم التي تقلدوها من الغرب، ونشرها بين المسلمين[٢].

ثالثًا: جهل طوائف من المسلمين بدينهم، ففشت بينهم البدع، وانتشرت بعض الطرق الصوفية التي تبنت الفصل بين الدنيا والآخرة، بل ومعاداة الدنيا تمامًا بالدعوة إلى العزلة ولزوم الزوايا وتقديس الموتى وسؤالهم النفع والضر، وهذا تشريع للعلمانية باسم التصوف.

وقد اتخذ هذا الغزو اتجاهين:

الأول: الدعوة إلى العلمانية صراحة، كما ظهر في كتابات فرح أنطون، وسلامة موسى.

الثاني: دعوى عدم التعارض بين الإسلام والعلمانية، وقد ظهر هذا الاتجاه في بداية الثمانينات في كتابات محمد أركون، وحسن حنفي، ونصر حامد أبو زيد[٣].

---

(١) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. خالد السيف (ص: ١٠٠).

(٢) انظر: التيارات والمذاهب الفكرية المعاصرة (ص: ٢٧-٢٨).

(٣) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة. د. خالد السيف (ص: ٩٨-١٠٤).

المبحث الثالث:
صور من العلمانية في مجالات الحياة المختلفة

في الحكم والتشريع:

بدأت العلمانية في تركيا عام ١٩٢٨م مع تعديل الدستور التركي الذي ألغى مادة دين الدولة، وكان ذلك على يد كمال أتاتورك الذي عمل على أن تقطع تركيا كل صلة مع الإسلام، واستبدال الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت، فلفق قانونًا يتكون أكثره من القانون السويسري والقانون الإيطالي وغيرهما وأكمل الباقي من عنده[١].

وبدأت مصر تتجه نحو الاصطباغ بالصبغة الأوروبية منذ أيام محمد علي متفوقة على تركيا، وكان الخديوي إسماعيل مفتونًا بالغرب، وكان أمله أن يجعل مصر قطعة من أوروبا، وقد مهدت سياسته الفاشلة لتدخل بريطانيا في شئون مصر ثم احتلالها نهائيًّا، وكان من أعظم خطط الإنجليز للقضاء على الشريعة الإسلامية إنشاء مجلس شورى القوانين الذي كانوا يحكمون مصر من خلاله، وقام الاحتلال عمليًّا بإقصاء الشريعة، وزرع الأحزاب السياسية المتباينة التي تتفق جميعها في عدم رفع شعار الإسلام أو الدعوة إلى تحكيمه، ثم كتب علي عبد الرزاق كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، ينادي فيه بأن الإسلام كالمسيحية المحرفة، هو مجرد علاقة روحية بين العبد والرب لا صلة لها بواقع الحياة ولا بالحكم[٢]، وبعده كتب خالد محمد خالد كتابه (من هنا نبدأ)[٣] هادفًا إلى ما قصده علي عبد الرزاق من قبل، ولكن بأسلوب أذكى وأحدث.

في التربية والثقافة:

كان التعليم في العالم الإسلامي يعاني جمودًا ولم يستطع مواكبة التطورات العلمية والمكتشفات الحديثة، ففي مصر حدثت نفرة شديدة بين الأزهر الذي كان يمثل العلم الشرعي أصدق تمثيل، وبين علم الغرب الذي بدا لأعين كثير من الأزهريين علمًا غربيًّا خاصًّا بالكفار، ومن هذا الخطأ التاريخي تقريبًا نشأت الازدواجية الخطرة في العالم الإسلامي، تعليم ديني ضيق محدود، وتعليم لا

---

(١) انظر للتفصيل: العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا. لعبد الكريم مشهداني.

(٢) انظر للرد على هذا الكتاب: حقيقة الإسلام وأصول الحكم لمحمد بخيت المطيعي. ونقض الإسلام وأصول الحكم لمحمد الخضر حسين، ونقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم للطاهر بن عاشور.

(٣) انظر للرد عليه: من هنا نعلم للشيخ محمد الغزالي. وقد رجع الأستاذ خالد محمد خالد عما ذهب إليه.

ديني يشمل نشاطات الفكر كلها، وقد حاول محمد علي في أول الأمر أن يدخل العلوم الحديثة ضمن مناهج الأزهر، إلا أنه خشي معارضة الأزهريين، فقام على الفور بإنشاء نظامه التعليمي الحديث، وهكذا انقسم التعليم في مصر إلى نظام ديني ونظام مدني حديث.

أما احتواء التعليم الأصلي والسيطرة عليه فأقوى الشواهد عليه المخطط البطيء الماكر الذي وضعه كرومر ووزيره القسيس دنلوب في مصر، فكانت المناهج التي تدرس في مدارس الحكومة مملوءة بالسموم فيما يتعلق بالإسلام وتاريخه وحضارته، ومفعمة بالتقدير والإكبار الذي يصل درجة التقديس فيما يتعلق بأوروبا وتاريخها وحضارتها.

ومن بين طلاب هذه المدارس تنتقى نخبة معينة للابتعاث إلى أوروبا لمحاولة إبعادها عن دينها، لكي تعود إلى بلادها فتقبض على مقاليد الفكر والثقافة وتوجهها حسب إرادة السادة المستعمرين، وتم تنفيذ هذا المخطط في كثير من بلاد المسلمين.

وقد كان من آثار ذلك على سبيل التمثيل ما يلي:

١- الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب وأخذ حضارته دون وعي ولا تمييز.

٢- احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية لا دينية.

٣- إضعاف دور الأزهر باسم التطوير.

٤- الدعوة إلى العامية بديلًا عن اللغة العربية.

٥- اقتباس الأنظمة والمناهج التعليمية اللادينية من الغرب.

٦- استيراد المذاهب المادية اللادينية كالداروينية والماركسية ونشرها وترجمة كتبها في العالم الإسلامي[1].

في الجانب الاجتماعي والأخلاقي:

نتج عن التوجه العلماني لدى من ابتلي به في العالم الإسلامي انتشار التبرج والسفور والاختلاط المحرم بين الرجال والنساء، والقول بأنه لا صلة بين الدين والأخلاق، ففي مصر ظهر من ينادي بذلك من أمثال قاسم أمين في كتابه: (تحرير المرأة) الذي دعا فيه إلى المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء، وأن الحجاب تغطية الوجه ليس مشروعًا لا للتعبد ولا للأدب، بل هو من العادات القديمة السابقة على الإسلام، وهي عادة عرضت على المسلمين من مخالطة بعض الأمم، فاستحسنوها وأخذوا بها وبالغوا فيها وألبسوها لباس الدين، وأن الاختلاط يهذب النفس

(١) انظر: العلمانية نشأتها وتطورها (ص: ٥٩٨-٦١٢).

وبميت دوافع الشهوة، وظهرت حركة النهضة النسائية، وأشهر رائداتها: هدى شعراوي وسيزا نبراوي سكرتيرتها، وباحثة البادية، ومنيرة ثابت، وقد التف حولهن عصبة ممن خلعن رداء الحياء وسخرن أنفسهن للدعوة إلى هذه المبادئ الغربية تحت اسم (حقوق المرأة) و(تحرير المرأة)، ثم دخل الاختلاط في الجامعات بين الذكور والإناث بدعوة من طه حسين ولطفي السيد وسلامة موسى.

وأما بلاد المغرب فقد كانت تونس أسبقها إلى السفور والدعوة إليه، إذ كتب الطاهر الحداد سنة ١٩٣٠م كتابه (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) يدعو فيه إلى مثل ما دعا إليه قاسم أمين.

وهكذا ظل الناعقون يصيحون من كل مكان، ويسلكون كل اتجاه -فكريًّا أم عمليًّا- حتى آل الأمر إلى الواقع المؤلم الذي عبر عنه أوفى تعبير جان بول رو بقوله: «إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات ويقلب رأسًا على عقب المجتمع الإسلامي، لا يبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة»(١).

ومن آخر الصور المتعلقة بالمرأة: إلغاء وظائف المرأة الطبيعية تحت شعار إلغاء التمايز الجنسي، وهو ما يسمى بمشروع (الجندرة)، وحقيقته إلغاء المرأة لحساب الرجل، وقد حطم في المرأة انتماءها الجسدي والعاطفي، واختزلها في كيان منتج ومستهلك ضمن الدورة الطبيعية للأشياء الحية، فأصبحت المرأة منفصلة عن جوهرها كابنةٍ وزوجة وأم، فأصبحت كائنًا يدور حول منفعته(٢).

ومفهوم (الجندر) له جذور فلسفية تفترض أنه لا توجد خواص معينة للرجال وخواص أخرى للنساء، ومن ثمَّ فلا يوجد تمايز من أي نوع بين الجنسين، فالجندر مفهوم يوحد بين نوعي الإنسان (الذكر والأنثى) ليكونا بلا أي فروق نفسية أو عقلية أو حتى بيولوجية(٣).

---

(١) الإسلام في الغرب (ص: ١٧٨).

(٢) انظر: العالمانية طاعون العصر. د. سامي العامري (ص: ١٣٥).

(٣) انظر: معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية (ص: ١٢٨).

المبحث الرابع:
موقف الإسلام من العلمانية

يتبين موقف الإسلام من العلمانية من خلال ما يلي:

أولا: الإسلام عقيدة وشريعة شاملة وصالحة لكل جوانب الحياة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وفي القرآن نصوص كثيرة تدل على أن أحكام الإسلام شاملة لأمور الدنيا والآخرة، وللدين والدولة، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، فليس جانب من جوانب الحياة إلا ولله فيه حكم، فحياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية للإسلام فيها أصول، وللشريعة فيها أحكام، فالإسلام دين شامل لجميع مناحي الحياة.

ثانيا: العلمانية تتنافى مع غاية الإسلام، فغاية العلمانية تعبيد الناس لشهواتهم وأهوائهم وعقولهم، وغاية الإسلام تعبيد الناس لربهم وخالقهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثالثا: العلمانية تقوم على الحكم بغير ما أنزل الله، والله تعالى يقول: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، ويقول سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ويقول جل وعلا: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

رابعًا: فتاوى أهل العلم في حكم العلمانية:

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «ما يسمى بالعلمانية التي هي دعوة إلى فصل الدِّين عن الدولة، والاكتفاء من الدين بأمور العبادات، وترك ما سوى ذلك من المعاملات وغيرها، والاعتراف بما يسمى بالحرية الدينية، فمن أراد أن يدين بالإسلام فعل، ومن أراد أن يرتد فيسلك غيره من المذاهب والنحل الباطلة فعل، فهذه وغيرها من معتقداتها الفاسدة دعوة فاجرة كافرة يجب التحذير منها وكشف زيفها، وبيان خطرها والحذر مما يلبسها به من فتنوا بها، فإن شرها عظيم وخطرها جسيم. نسأل الله العافية والسلامة منها وأهلها»[١].

ويقول الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر: «فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين، ولا يُقْدِم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين، وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدي به الأجنبي على الدين إذا جاس خلال الديار، وقد رأينا الذين فصلوا الدين عن السياسة علنًا كيف صاروا أشد عداوة لهداية القرآن، ورأينا كيف كان بعض المبتلين بالاستعمار الأجنبي أقرب إلى الحرية في الدين ممن أصيبوا بسلطانهم»[٢].

ويقول الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: «العالمانية هي مفهوم يدعو إلى التخلص من الدين وعزله عن حركة المجتمع، وهذا ولا شك مذهب وفكر خاطئ، وهو فكر مادي لا يفترق عن الحضارة الغربية في شيء»[٣].

ويقول د. عبد الرزاق السنهوري: «لقد امتاز الإسلام بأنه دين ودولة، ولقد أرسل الرسول ﷺ لا لتأسيس دين فحسب، بل لبناء قواعد دولة تتناول شؤون الدنيا، فهو بهذا الاعتبار مؤسس الحكومة الإسلامية، كما أنه نبي المسلمين»[٤].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ١٤٣-١٤٤).

(٢) العلمانية وضلالة فصل السياسة عن الدين، محمد الخضر حسين (ص: ٣٥-٣٦).

(٣) مجلة آخر ساعة، تاريخ ٤ يوليه ١٩٩٠م، نقلا عن: الإسلام والعلمانية، د. محمد عمارة (ص: ٨٨).

(٤) الإسلام والعلمانية، د. محمد عمارة (ص: ٦٢).

ملخص الفصل الثامن

- **تعريف العلمانية:** الترجمة الحقيقية لمصطلح (العلمانية) هو: اللادينية، والعلماني هو اللاديني، ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني: عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيسًا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.
- **نشأتها:** أول من استعمل كلمة (العلمانية) بأحد معانيها المعاصرة هو جورج هوليوك (١٨١٧م-١٩٠٦م) للتعبير عن مذهبه السياسي الداعي إلى فصل النظام الاجتماعي عن السلطان الديني، وأول معجم ثنائي اللغة (عربي/فرنسي) استعمل كلمة (علماني) العربية بالمعنى الاصطلاحي المعاصر، كتبه لويس بُقْطر المصري سنة ١٨٢٨م، وكان متعاونًا مع الحملة الفرنسية، أما أول معجم عربي وردت فيه هذه النسبة؛ فالمرجَّح أنه (المعجم الوسيط) الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وجاءت في طبعتيه الأولى ١٩٦٠م والثانية ١٩٧٩م بفتح العين.
- **أسباب نشأة العلمانية:** (١) طبيعة الديانة النصرانية التي تقوم أصلًا على مبدأ فصل الدين عن الحياة. (٢) طغيان رجال الدين واستبدادهم ووقوفهم ضد العلم والعلماء. (٣) ظهور نظريات إلحادية كان لها أثرها في التمهيد للعلمانية. (٤) دور اليهود في إبعاد أوربا عن دينها.
- **درجات العلمانية:** الدرجة الأولى: علمانية غالية أو متطرفة أو شاملة تقوم على الإلحاد. الدرجة الثانية: علمانية جزئية، تفصل الدين عن الدولة.
- **أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي:** (١) الاستعمار العسكري: فقد دخلت العلمانية بلاد المسلمين تحت راية الاحتلال. (٢) الغزو الفكري، ومن أخطر وسائله: المستشرقون، والمنصرون، والمستغربون. (٣) جهل طوائف من المسلمين بدينهم.
- **موقف الإسلام من العلمانية:** (١) الإسلام عقيدة وشريعة شاملة لكل جوانب الحياة. (٢) العلمانية تتنافى مع غاية الإسلام، فغاية العلمانية تعبيد الناس لشهواتهم وأهوائهم وعقولهم، وغاية الإسلام تعبيد الناس لربهم وخالقهم. (٣) أفتى أهل العلم بأن العلمانية متعارضة مع الإسلام ومصادمة لمبادئه وأحكامه وتشريعاته.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف العلمانية، وما ترجمتها الحقيقية؟ وهل هناك صلة بينها وبين العلم؟ وضح ذلك في ضوء ما درست.

س٢: اذكر بإيجاز تاريخ نشأة العلمانية في العالم الغربي، وأول من استعملها، وتاريخ انتقالها إلى العالم الإسلامي.

س٣: اشرح أهم أسباب نشأة العلمانية في الغرب، وأهم أسباب انتقالها إلى العالم الإسلامي.

س٤: بين بالأدلة موقف الإسلام من العلمانية.

الفصل التاسع:
الليبرالية

المبحث الأول:
التعريف بالليبرالية ونشأتها

التعريف بالليبرالية:

الليبرالية مصطلح أجنبي معرب مأخوذ من (liberalism) في الإنجليزية، وهي تعني: التحررية، ويعود اشتقاقها إلى (liberty) وتعني الحرية[١].

وتسمى أيضًا: مذهب الحرية، والخلاعية[٢].

وعرفها جان جوك روسو بقوله: «الحرية الحقة في أن نطيع القوانين التي اشترعناها نحن لأنفسنا»، فهو لا يخضع إلا للقوانين التي اشترعها وارتضاها، ويرفض ما سواها سواء كان دينًا أو دولة أو مجتمعًا.

وعرفها الفيلسوف الفرنسي لاشلييه بأنها: «الانفلات المطلق بالترفع فوق كل نزوع وكل طبيعة»، فيعرفها بأنها انفلات مطلق بلا قيد، والحقيقة أن الانفلات المطلق لا يسمى حرية، بل هو فوضى.

وعرفها برنيس بأنها: «الاستقلال الناتج عن غياب الإكراه، سواء كان بدواعث مادية خارجية، أو بواعث داخلية أخلاقية، والناتج أيضًا عن قوة إعمال العقل»، وهذا يفيد أنها تعني ألا يكرهك أحد على فعل ما لا تريد، سواء كان سبب هذا الإكراه ماديًّا أو أخلاقيًّا أو عقليًّا.

وعرفها المفكر الإنجليزي توماس هوبز بأنها: «غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء»[٣]، فله أن يفعل ما يريد دون أي تدخل خارجي يحد من حريته أيًّا

---

(١) حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحيم السلمي (ص: ١٠١).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ١١٠).

(٣) انظر هذه التعريفات السابقة في: معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، د. عبد العزيز كامل (ص: ٣٣).

كان مصدره، ولو كان الله ورسوله ﷺ.

ويقول جون ستيوارت مل: «الليبرالية في جوهرها هي: إطلاق العنان للناس ليحققوا خيرهم بالطرق التي يرونها، طالما لا يرون حرمان الغير من مصالحهم، أو لا يعوقون جهودهم لتحقيق تلك المصالح»[١]، فهي إطلاق العنان للناس لتحقيق مصالحهم بأي وسيلة جائزة أو محرمة، ضارة أو نافعة، بشرط ألا يحرم الغير من حريته، فلكل حريته وفق ما يهوى ويريد دون مساس بحرية الآخرين.

وعرفها د. جميل صليبيا بأنها: «مذهب سياسي فلسفي يقرر أن وحدة الدين ليست ضرورية للتنظيم الاجتماعي الصالح، وأن القانون يجب أن يكفل حرية الرأي والاعتقاد»[٢]، فالليبرالية تعني حرية الرأي والاعتقاد.

وهذه التعاريف مؤداها واحد، وهو أن الليبرالية تعني الحرية الفردية على اختلافهم في كيفية تحقيق هذه الحرية، فهي تركز على حرية الفرد وضرورة تحرره من كل نوع من أنواع الاستبداد - حسب رأيهم- بنوعيه: الاستبداد السياسي وهو تسلط الدولة، والاستبداد الاجتماعي وهو سيطرة الأعراف الاجتماعية[٣]، لكنهم يدخلون في ذلك التحرر من الدين والقيم والأخلاق، بل ربما كان هذا هو غايتهم.

اختلاف مفهوم الليبرالية:

يختلف مفهوم الليبرالية من فيلسوف إلى آخر، ومن زمن إلى زمن، ومن بلد إلى آخر، كما تختلف بحسب ما تضاف إليه من ليبرالية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ويجمعها الاهتمام المفرط بالحرية واعتبارها الغاية، وبذلك تحولت الليبرالية إلى مصطلح غامض، جاء في الموسوعة العربية العالمية: «تعتبر الليبرالية مصطلحًا غامضًا؛ لأن معناها وتأكيداتها تبدَّلت بصورة ملحوظة بمرور السنين»[٤]، وجاء في موسوعة لالاند بعد ذكر تعريفات الليبرالية: «نرى من خلال التعريفات السابقة مدى التباس هذا اللفظ، ومما يزيد من الالتباس استعماله الطارئ المتداول

(١) عن الحرية. لجون ستيوارت مل (ص: ٨٧). نقلًا عن: معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية (ص: ٣٧).
(٢) المعجم الفلسفي (١/ ٤٦٥).
(٣) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية (٣/ ١١٥٥).
(٤) الموسوعة العربية العالمية (٢١/ ٢٤٧).

في أيامنا للدلّ على الأحزاب أو النزعات السياسية»[١]، حتى ذهب بعضهم إلى صعوبة «بلورة تعريف واضح ودقيق لمفهوم الليبرالية»[٢]. وذلك لغموض مفهوم الحرية، وسبب ذلك أن هذه المصطلحات الغربية التي تحمل دلالة عقدية لا يمكن أن تفسر بتفسير واحد محدد، بل يفسرها كل فيلسوف ومفكر بما يفسرها به غيره، ومن هنا اختلفت التعريفات لمفهوم الليبرالية، ووجدت صعوبة في وضع تعريف جامع مانع له.

ولكن لليبرالية جوهر أساسي يتفق عليه جميع الليبراليين في كافة العصور مع اختلاف توجهاتهم وكيفية تطبيقها كوسيلة من وسائل الإصلاح والإنتاج، هذا الجوهر هو «أن الليبرالية تعتبر الحرية المبدأ والمنتهى، الباعث والهدف، الأصل والنتيجة في حياة الإنسان، وهي المنظومة الفكرية الوحيدة التي لا تطمع في شيء سوى وصف النشاط البشري الحر وشرح أوجهه والتعليق عليه»[٣].

نشأتها:

اختلف الباحثون في تحديد تاريخ نشأة اللبرالية:

١- فذهب بعضهم إلى أنها نشأت في القرن السابع عشر، يقول الأستاذ وضاح نصر: «إن الليبرالية في الفكر السياسي الغربي الحديث نشأت وتطورت في القرن السابع عشر»[٤].

٢- ويذهب آخرون إلى ربط نشأتها بظهور مصطلح (الليبرالية) الذي ظهر في القرن التاسع عشر، جاء في موسوعة لا لاند الفلسفية أن أول استعمال لهذه اللفظة (ليبرالي) كان نحو ١٨١٠م[٥].

٣- وبعضهم يذكر أن من الصعب تحديد تاريخ معين لنشأتها، يقول الدكتور علي بن عبد الرزاق الزبيدي: «ومن الصعب تحديد تاريخ معين لنشأة الليبرالية فجذورها تمتد عميقة في التاريخ»[٦].

---

(١) موسوعة لالاند (ص: ٧٢٦).

(٢) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية (٣/ ١١٥٥).

(٣) مفهوم الحرية، عبد الله العروي (ص: ٣٩).

(٤) الموسوعة الفلسفية العربية (٣/ ١١٥٦).

(٥) موسوعة لالاند الفلسفية (٢/ ٧٢٦).

(٦) مقال: في الدول الليبرالية، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٥ (ص: ٧١).

الراجح: لعل أقرب الأقوال في نشأة الليبرالية أنها بدأت في عصر النهضة ثم تطورت في عصر التنوير، ثم اكتمل صعودها في القرن التاسع عشر[١].

فقد كانت بداية تكون نشأة الأفكار الليبرالية في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وأهم قضية انطلقت منها المفاهيم الليبرالية هي (الحرية الفردية)، ثم كانت مرحلة الصعود لليبرالية في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بعد نجاح الثورات الإنجليزية والفرنسية والأمريكية على النظام القديم، وخاصة الثورة الفرنسية التي كان لها تأثير على أوروبا قاطبة، وحدد كافين رايلي ما بين سنة ١٧٧٦م-١٩١٤م فترة القوة للفكر الليبرالي، ثم ضعفت الليبرالية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، بعد أن تعرضت الليبرالية الاقتصادية لكثير من الأزمات والاضطرابات بسبب الاحتكارات الاقتصادية الكبرى مما جعل مصطلح الليبرالية في المجتمع الأمريكي ذمًّا لصاحبه لا يشرف بالانتساب له مما أدى إلى ظهور مصطلح (الليبرتارية)[٢] بديلًا عنه، وقد أدى ذلك التدهور لليبرالية الاقتصادية إلى ظهور مبدأ جديد وهو الاتجاه إلى التدخل الحكومي، وسمي هذا الاتجاه بـ (الليبرالية الاجتماعية)، أو (الديمقراطية الاشتراكية)، ثم عادت الليبرالية إلى الصعود مرة أخرى بداية من عام ١٩٨٠م وحتى الآن بسبب عودة النمو الاقتصادي الذي تحقق في دول العالم الغربي[٣].

وقد ارتبطت الليبرالية منذ نشأتها الأولى بالطبقة الرأسمالية وأصبحت خادمًا فكريًّا لها، يبرر طغيانها وأنانيتها تبريرًا عقليًّا، وقد تغيرت الأفكار الليبرالية زمانًا ومكانًا بناء على مصالح الرأسمالية، وهذا ما يفسر التعدد الغريب في الفكر الليبرالي، ولذا فقد أكد جون لوك على ضرورة الملكية الخاصة، وأنها تدخل بصورة أولية في حقوق الأفراد الأساسية، ولهذا فقد جعل للرأسماليين والملاك حق الانتخاب، بينما لم يعط الفقراء وغير الملاك هذا الحق[٤]، وقد كان أكبر منظريها وهو جون لوك هذا من كبار تجار الرقيق.

---

(١) انظر: مفهوم الحرية، عبد الله العروي (ص: ٣٩-٤٠) بتصرف.

(٢) وهو اصطلاح ظهر مؤخرا في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة دون أوروبا يقصد به الليبرالية الكلاسيكية. انظر: حقيقة الليبرالية، السلمي (ص: ١١٠).

(٣) انظر: حقيقة الليبرالية (ص: ٨٧) وما بعدها.

(٤) انظر: حقيقة الليبرالية، السلمي (ص: ١٣).

المؤسس:

لم ينشأ هذا المذهب ويستكمل مكوناته على يد فيلسوف واحد، فقد أسهم في تحديد ملامحه وبلورة خصائصه عدد من الفلاسفة يأتي في مقدمتهم ثلاثة، وهم: جون لوك (١٧٠٤م)، وجان جوك روسو (١٧٧٨م)، وجون ستيوارت مل (١٨٧٣م)، حتى قيل: إن الليبرالية ليست اللوكية (نسبة إلى جون لوك ١٦٣٢-١٧٠٤)، أو الروسوية (نسبة إلى جان جاك روسو ١٧١٢-١٧٧٨) أو الملية (نسبة إلى جون ستوارت مل ١٨٠٦-١٨٧٣)، وإن كان كل واحد من هؤلاء أسهم إسهامًا بارزًا أو فعَّالًا في إعطائها كثيرًا من ملامحها وخصائصها[١].

الليبرالية في العالم العربي:

الليبرالية نبات غربي تم غرس بذوره والترويج له في العالم العربي عبر بعثات التعليم المصرية إلى فرنسا التي ابتدأت سنة ١٨٢٦م، وبلغ عددهم ٣١٩ طالبًا يقودهم رفاعة الطهطاوي الذي تشرب بعض المفاهيم والعادات الغربية، ثم رجع إلى مصر يبشر بها في كتاباته، ومن أشهرها: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، وقد تزامن ظهور الليبرالية في المجتمع العربي مع نمو حركة التنوير والتحديث والانفتاح على العالم الغربي التي ظهرت في مصر والعراق والشام[٢].

وتعد الليبرالية العربية ليبرالية تعسفية قمعية استبدادية، فالحرية من مطالبها، لكنها محجورة وممنوعة على من يخالفها، ويقال بأن المصدر الأساسي لفكر الليبراليين العرب هو جون سيورات مل، وأفكاره المدونة في كتابه (الحرية)[٣].

---

(١) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية (٣/ ١١٥٥).

(٢) انظر: الفكر الليبرالي تحت المجهر، د. محمود الصاوي (ص: ٤٧).

(٣) انظر: مفهوم الحرية، عبد الله العروي (ص: ٥٣).

المبحث الثاني:
أسس الليبرالية ومبادؤها

تقوم الليبرالية على مبادئ وأسس مشتركة بين كافة اتجاهاتها وتياراتها المختلفة، وهي كما يلي:

١- **الحرية:** وتنقسم الحرية حسب المفهوم الليبرالي إلى نوعين:

الأول: الحرية الإرادية، وتعني أن الفرد حرٌّ في إرادته، فلا توجد قوة خارجية تتدخل في اختياراته وإرادته، بل هو يملك حرية مطلقة.

الثاني: الحرية المدنية، وتعني أن الفرد حر في أفعاله ومستقل في تصرفاته دون أي حق لتدخل الدولة، فوظيفة الدولة حماية هذه الحرية وتعزيزها وتوسيعها(١).

٢- **الفردية:** ولها مفهومان مختلفان في الفكر الليبرالي:

الأول: الفردية بمعنى الأنانية وحب الذات، وهو المعنى الذي غلب على الفكر الغربي منذ عصر النهضة، وهو الاتجاه التقليدي لدى الليبرالية.

الثاني: الفردية بمعنى استقلال الفرد من خلال العمل المتواصل والاعتماد على النفس، وهو الاتجاه البراجماتي، وهو مفهوم حديث للفردية. يقول جون ديوي: «كانت فكرة الحرية مرتبطة في تقاليد مذهب الأحرار عند كل من الأمريكيين والإنجليز بفكرة الفردية أي: بالفرد نفسه من حيث هو فرد، وكان هذا الارتباط وثيقًا وكثير الورود على الألسنة، حتى خاله الناس أمرا ذاتيا أصليا، فكان الكثيرون يدهشون إذا ما سمعوا أن للحرية مصدرًا آخر وأساسًا آخر غير طبيعة هذه الفردية نفسها»(٢).

٣- **العقلانية**، وهي تعني استقلالية العقل البشري في إدراك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى الوحي والنبوة، وزعموا أن ذلك تحرير للإنسان من الاعتماد على السلطة اللاهوتية الطاغية، حيث جعلوا العقل مقابلًا ومضادًّا للدين، يقول جون لوك: «من استبعد العقل ليفسح للوحي

(١) انظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحيم السلمي (ص: ١٢٣، ١٢٧).
(٢) الحرية والثقافة، جون ديوي (ص: ٣٣).

مجالًا فقد أطفأ نور كليهما»[١]، وبناء على هذا المبدأ فالليبرالية تدعو إلى ما يلي:

١- الحقوق الأساسية للفرد تستند إلى القانون الطبيعي، والدولة تتكون بالعقد الاجتماعي المنظم لتلك الحقوق، فالطبيعة وقوانينها في الفكر الليبرالي هي البديل عن الإيمان.

٢- يجب على الدولة أن تكون محايدة فيما يتعلق بالاعتقاد الديني، لأن الحرية تقتضي عدم القطع واليقين في الوصول إلى الحقيقة، ولا يوصل إلى الحقيقة إلا من طريق العقل والتجربة.

٣- القانون الذي يضبط الحرية من الانفلات حسب رؤية الليبرالية هو القانون الوضعي الذي يعتمد في التشريع على العقل المجرد، فاستبدلوا بطاعة الله طاعة البشر[٢].

ويظهر مما سبق أن الأساس المشترك بين جميع المذاهب الفكرية التي ظهرت في أوربا في العصر الحديث هو (العقلانية) بينما امتازت الليبرالية عن غيرها من هذه المذاهب التي ظهر في عصر النهضة والتنوير بمبدأين، هما: الحرية، والفردية.

علاقة الليبرالية بالديمقراطية:

ومع أن الديمقراطية -فيما يذكر- من إفرازات الليبرالية فإن جون لوك يرى أنها لا تتفق مع مبدأ الحرية؛ لأنه يرى أن الديمقراطية تعني: هيمنة الأكثرية على حرية الأقلية، ولو كان فردًا واحدًا، وهذا يتنافى ويتعارض مع الليبرالية المطلقة، كما يرى أن المجتمع الديني غير ليبرالي بل هو -على حد زعمه- فردي استبدادي، وهو هنا يعني دين الكنيسة؛ لأنه هو الذي يعرفه، أما دين الإسلام فلا يعرفه.

ولكنه يستدرك بأن الحرية لا تعني الانفلات المطلق، بل إن ما يخص الفرد وحده هو من حقوقه، وما يخص المجتمع فهو حق المجتمع، فهو يقول: «كلما تعين ضرر واقع أو محتمل إما للفرد وإما للعموم ينزع الفعل الذي يتسبب في الضرر من حيز الحرية ليلحق بحيز الأخلاق أو بحيز القانون»، وهو يعد تحريم تجارة الخمر مخالفًا لليبرالية، فيقول: «إن التحريم يمس حرية الفرد لأنه

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة. د. توفيق الطويل (ص: ٢٠٧).

(٢) انظر: حقيقة الليبرالية (ص: ١٢١) وما بعدها.

يفترض أن الفرد لا يعرف مصلحته»، وكذلك تحريم أكل لحم الخنزير، فيقول: «إن للمسلمين الحق في تجنبهم لحم الخنزير لأنهم يعافونه، لكنهم عندما يحتقرون غيرهم ممن لا يعافه ويأكله، فإنهم يمسون بحرية ذلك الغير»، ويقول: «إن التحريم يمس حرية الفرد»[١]، ولكنه في موضع آخر يقرر ما يناقض ذلك، فيرى ضرورة تدخل الدولة للمصلحة؛ لأنه ليس كل إنسان يعرف مصلحة نفسه، وعدم تدخل الدولة قد يؤدي إلى أن يضر المرء نفسه.

علاقة الليبرالية بالدين:

يرى جون ستيورات مل أن المجتمع الديني غير ليبرالي؛ لأنه مجتمع في نظامه للحكم فردي استبدادي، ونظامه الاجتماعي العام مؤسس على الإجماع في الرأي وعلى تحريم النقد والنقاش المفتوح[٢]، وهو يقصد بذلك دينهم المحرف؛ لأنهم لا يعرفون دين الله الحق، ولا يعرفون إلا الدين النصراني بمفهومه الكنسي المستبد.

وهو ينتقد كل دين أو مجتمع متشدد في قوانينه الأخلاقية والدينية أي التي يضعها فوق النقاش بما في ذلك المجتمع اليوناني في زمن نهضة العلوم والإصلاح الديني (البروتستانت) والمجتمع الإنجليزي والأمريكي، ويقول: «إن الناس عندما ينهون غيرهم عن المنكر يعتقدون أن الله لا يكره فقط من يعصي أوامره، بل سيعاقب أيضًا من لم ينتقم في الحال من ذلك العاصي»[٣].

(١) النصوص المنقولة هنا مأخوذة من كتاب: مفهوم الحرية، للعروي (ص: ٤٦).

(٢) مفهوم الحرية، عبد الله العروي (ص: ٤٦).

(٣) النصوص المنقولة هنا مأخوذة من كتاب: مفهوم الحرية، للعروي (ص: ٤٦).

المبحث الثالث:
أطوار الليبرالية ومجالاتها

أطوار الليبرالية:

يمكن الإشارة إلى طورين مهمين لليبرالية:

الطور الأول: الليبرالية الكلاسيكية.

والطور الثاني: الليبرالية المعاصرة.

وأبرز فرق بينهما هو في مدى تدخل الدولة في تنظيم الحريات، ففي الليبرالية الكلاسيكية لا تتدخل الدولة في الحريات، بل الواجب عليها حمايتها ليحقق الفرد حريته الخاصة بالطريقة التي يريد دون وصاية عليه، أما في الليبرالية المعاصرة فقد تغير ذلك وطلبوا تدخل الدولة لتنظيم الحريات وإزالة العقبات التي تكون سببًا في عدم التمتع بتلك الحريات[١].

ويرى فريدمان أن مصطلح الليبرالية استخدم في أوروبا بمعنى (الليبرالية الكلاسيكية) ولكن بسبب إخفاق الفكر الليبرالي الكلاسيكي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الكساد الكبير عام ١٩٢٩م أصبح يسمى هذا الفكر بالمحافظ، وبالتالي أصبح مصطلح الليبرالية في أمريكا مختلفا تماما عن المصطلح نفسه في أوروبا، ففي أوروبا يقصد بالليبرالية منع تدخل الدولة، أما في أمريكا فمعناه الجديد ضرورة تدخل الدولة[٢].

وقد تعرف الليبرالية تطورات أخرى في المستقبل، ولعل أبرز ما يتوقع في الليبرالية هو التطور نحو العولمة التي هي طور ليبرالي خطير، وسيأتي الحديث عنها مفصلا في الفصل الثاني عشر.

مجالاتها:

أبرز مجالات الليبرالية، هي: المجال السياسي، والمجال الاقتصادي، والمجال الديني.

١- الليبرالية السياسية: «مذهب سياسي يرى أن من المستحسن أن تزداد إلى أبعد حد

(١) انظر: الليبرالية نشأتها ومجالاتها، د. عبد الرحيم السلمي (ص: ١٤-١٦).

(٢) الرأسمالية والحرية، ميلتون فريدمان (ص: ٨-٩).

ممكن استقلالية السلطة التشريعية والسلطة القضائية بالنسبة إلى السلطة الإجرائية التنفيذية، وأن يعطى للمواطنين أكبر قدر من الضمانات في مواجهة تعسف الحكم»[١].

٢- **المجال الاقتصادي:** «مذهب اقتصادي يرى أن الدولة لا ينبغي لها ان تتولى وظائف صناعية، ولا وظائف تجارية، وأنها لا يحق لها التدخل في العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الأفراد والطبقات أو الأمم»[٢].

٣- **المجال الديني:** وهي حركة فكرية ضمن البروتستانتية المعاصرة تعتمد على حرية التفكير، والأخذ بالمنهج العقلاني في التعامل مع النصوص الدينية، بدأ في الظهور عقب عصر الإصلاح الديني، وهي تتمسك بالحرية العقلية مع الحفاظ على مضمون النصرانية الروحي والأخلاقي[٣].

---

(١) موسوعة لالاند (ص: ٧٢٥).

(٢) موسوعة لالاند (ص: ٧٢٦).

(٣) انظر: حقيقة الليبرالية (ص: ١٠٢-١٠٩).

المبحث الرابع:
موقف الإسلام من الليبرالية

الحكم على الشيء فرع عن تصوره، والليبرالية وإن كانت ترتكز على معنى الحرية، إلا أنه يكتنفها الغموض في حقيقتها وتطبيقاتها وأهدافها، كما سبق، ولغموضها خرج من رحم الليبرالية مذاهب تخالف الليبرالية تمامًا، كالفاشية والنازية والشيوعية، وكل واحدة من هذه المذاهب تنادي بالحرية، وتدعي أنها الممثل الشرعي لها، وتتهم غيرها بأنها ضد الحرية[١].

والليبرالية بمعنى الحرية بغض النظر عن مفهومها في بلد المنشأ قد يراد بها حق، وهو حرية الفرد المقررة شرعًا وعقلًا، كحريته من رقّ المخلوقين بعبادته لرب العالمين، وقد يراد بها باطل وهو تحرر الإنسان من عبوديته لربه إلى عبوديته لشهواته ونزواته.

ومع ذلك يتلخص موقف الإسلام من الحرية التي ترتكز عليها الليبرالية فيما يلي[٢]:

١- الحرية أمر فطري في النفس البشرية، فقد فطر الله الإنسان على الحرية في التصرف والاختيار، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، وهو من تكريم الله للإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

٢- هذه الحرية الفطرية مقيدة بمقتضيات الشرع، فالله لم يخلق الإنسان عبثًا، ولم يتركه سدى، فالحرية الحقيقية هي تحقيق العبودية لله تعالى وحده، والتحرر من رق المخلوقين، قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

---

(١) انظر: أصول الليبرالية وموقف الإسلام منها، اللهيب (ص: ١٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٠٠) وما بعدها.

٣- الحرية في الإسلام من الضروريات؛ إذ انعدامها يترتب عليه فساد الدين، فلا يمكن للإنسان أن يلتزم بأحكام الإسلام وشرائعه دون حرية تامة وإرادة خالصة، والإكراه من موانع التكليف، ولذا قيل: «المكره كالآلة يمتنع تكليفه»[١].

٤- الحرية بمعناها الشرعي وسيلة إلى إقامة أمر الله في الأرض وتطبيق شريعته وتحقيق العدل، وتحرير الإنسان من الظلم والاستبداد والاستعباد لغير الله، وهذا هو المقصود بالسياسة الشرعية في الإسلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالمقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانا مبينا، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا؛ وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم»[٢].

٥- «القول بأن الإنسان حر أو ينبغي أن يكو حرًا -بالمعنى الغربي الشائع- كلام يكذبه الواقع، ثم إنه مخالف للإيمان بأن الإنسان عبد لله يأتمر بأوامره، وقد أدرك هذا بعض الكتاب النصارى، منهم كاتبهم الإنجليزي المشهور لويس الذي قال كلاما فحواه: إنني لم أولد لأكون حرًا، وإنما ولدت لأسمع وأطيع»[٣].

---

(١) شرح الكوكب المنير، لابن النجار الحنبلي (١/ ٥٠٩).

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص: ٢١).

(٣) الإسلام لعصرنا، د. جعفر شيخ إدريس (ص: ٢٤).

ملخص الفصل التاسع

- **تعريف الليبرالية:** الليبرالية تعني الحرية الفردية، فهي تركز على حرية الفرد وضرورة تحرره من كل نوع من أنواع الاستبداد -حسب رأيهم- بنوعيه: الاستبداد السياسي وهو تسلط الدولة، والاستبداد الاجتماعي وهو سيطرة الأعراف الاجتماعية، ويختلف مفهوم الليبرالية من فيلسوف إلى آخر، ومن زمن إلى زمن، ومن بلد إلى آخر.
- **نشأتها:** يذهب بعض الباحثين إلى أنها نشأت في القرن السابع عشر، ويذهب آخرون إلى ربط نشأتها بظهور مصطلح (الليبرالية) الذي ظهر في القرن التاسع عشر، وبعضهم يذكر أن من الصعب تحديد تاريخ معين لنشأتها، ولعل أقرب الأقوال في نشأة الليبرالية أنها بدأت في عصر النهضة ثم تطورت في عصر التنوير، ثم اكتمل صعودها في القرن التاسع عشر، ثم سقطت في القرن العشرين.
- **أهم فلاسفتها:** لم ينشأ هذا المذهب ويستكمل مكوناته على يد فيلسوف واحد، فقد أسهم في تحديد ملامحه وبلورة خصائصه عدد من الفلاسفة يأتي في مقدمتهم ثلاثة، وهم: جون لوك (١٧٠٤م)، وجان جوك روسو (١٧٧٨م)، وجون ستيوارت مل (١٨٧٣م)
- **مبادئ الليبرالية:** تقوم الليبرالية على مبادئ وأسس مشتركة بين كافة اتجاهاتها وتياراتها المختلفة، وهي: (١) الحرية: وتنقسم الحرية حسب المفهوم الليبرالي إلى نوعين: الأول: الحرية الإرادية، والثاني: الحرية المدنية. (٣) الفردية. (٣) العقلانية، وهي تعني استقلالية العقل البشري في إدراك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى الوحي.
- **أطوار الليبرالية:** يمكن الإشارة إلى طورين مهمين لليبرالية: الطور الأول: الليبرالية الكلاسيكية. والطور الثاني: الليبرالية المعاصرة. وأبرز فرق بينهما هو في مدى تدخل الدولة في تنظيم الحريات، ففي الليبرالية الكلاسيكية لا تتدخل الدولة في الحريات، بل الواجب عليها حمايتها ليحقق الفرد حريته الخاصة بالطريقة التي يريد دون وصاية عليه، أما في الليبرالية المعاصرة فقد تغير ذلك وطلبوا تدخل الدولة لتنظيم الحريات وإزالة العقبات التي تكون سبباً في عدم التمتع بتلك الحريات.

- **مجالات الليبرالية**، هي: المجال السياسي، والمجال الاقتصادي، والمجال الديني.
- **موقف الإسلام من الحرية التي ترتكز عليها الليبرالية:** (١) الحرية أمر فطري في النفس البشرية، فقد فطر الله الإنسان على الحرية في التصرف والاختيار. (٢) هذه الحرية الفطرية مقيدة بمقتضيات الشرع، فالله لم يخلق الإنسان عبثًا، ولم يتركه سدى، فالحرية الحقيقية هي تحقيق العبودية لله تعالى وحده، والتحرر من رق المخلوقين. (٣) الحرية في الإسلام من الضروريات؛ إذ انعدامها يترتب عليه فساد الدين، فلا يمكن للإنسان أن يلتزم بأحكام الإسلام وشرائعه دون حرية تامة وإرادة خالصة. (٤) الحرية بمعناها الشرعي وسيلة إلى إقامة أمر الله في الأرض وتطبيق شريعته وتحقيق العدل، وتحرير الإنسان من الظلم والاستبداد والاستعباد لغير الله.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف الليبرالية، واذكر تاريخ نشأتها، وأشهر فلاسفتها.

س٢: تقوم الليبرالية على أسس ومبادئ مشتركة بين كافة اتجاهاتها وتياراتها المختلفة. اذكر هذه المبادئ والأسس.

س٣: مرت الليبرالية خلال تاريخها بطورين أو مرحلتين. فما هما؟ وما الفرق بينهما؟

س٤: اشرح بإيجاز موقف الإسلام من الليبرالية.

الفصل العاشر:
الإلحاد المعاصر

المبحث الأول:
تعريف الإلحاد، وتاريخه في حياة البشرية

تعريف الإلحاد:

الإلحاد لغة هو الميل، قال الزبيدي: «أصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء»[١].

أما الإلحاد اصطلاحًا فله معنيان:

الأول: عام، وهو الميل والعدول عن الحق.

الثاني: خاص، وهو إنكار وجود الله تعالى، وهو المراد عند الإطلاق في عصرنا الحاضر.

يقول د. جميل صليبا: «الإلحاد في اصطلاحنا هو إنكار وجود الله»[٢].

وهذا الإلحاد نوعان:

الأول: ما يسمى بالإلحاد القوي، وهو: الإيمان بأن الله غير موجود، أي: أن الملحد يعلم أنه لا وجود لإله، قال د. سامي العامري: «وهذا المذهب لا يعرف أحد من أئمة الإلحاد اليوم يتبناه، بل الجميع في مؤلفاتهم ينكرون تلبسهم به؛ لأن النفي المطلق هنا متعذر ضرورة»[٣].

الثاني: ما يسمى بالإلحاد الضعيف، وهو عدم الجزم بوجود الله، أو الشك في وجوده، حيث يرى الملحد أن حجة المؤمن لم تقنعه للإيمان بوجود الله[٤]، وهذا هو الإلحاد الموجود اليوم.

تاريخ الإلحاد في حياة البشرية:

من أشهر صور الإلحاد قديما دعوى الدهرية الذين قالوا -كما أخبر الله عنهم- ﴿مَا هِيَ إِلَّا

(١) تاج العروس (٩/ ١٣٥)، وانظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٦)، لسان العرب (٣/ ٣٨٩).
(٢) المعجم الفلسفي (١/ ١١٩-١٢٠).
(٣) براهين وجود الله، د. سامي العامري (ص: ٦١).
(٤) انظر: براهين وجود الله (ص: ٦٢).

حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبرًا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر، إنكارا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم»(١)، وقال الإمام ابن كثير: «﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: ما ثَمَّ إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثَمَّ معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾. قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] أي: يتوهمون ويتخيلون»(٢).

ويرى بعض علماء المقالات كالشهرستاني أن الدهرية لا ينكرون وجود الله، فقال: «أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة، إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا: العالم كان في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة، واصطكت اتفاقًا، فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه عليه، ودارت الأكوار وكرت الأدوار وحدثت المركَّبات، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازًا عن التعليل»(٣).

«وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع قديمًا هو فرعون، وقد كان مستيقنا به في الباطن، كما قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]»(٤).

أما الإلحاد بمعناه الحديث -الذي هو عدم الإيمان بوجود الخالق أو الشك في وجوده- فهو أيضًا أمر شاذ لا يقول به إلا فرد بعد فرد من الناس، وظل الأمر كذلك حتى القرن الثامن عشر الميلادي تقريبًا، حيث بدأ التيار الإلحادي يظهر في أوروبا عام ١٧٧٠م، ثم بدأ الإلحاد يحل محل الإيمان عند كثير من قادة الفكر الأوروبي، وصار بعد مقدم الشيوعية هو الدين الرسمي لدُوَلها، ولمَّا صارت للإلحاد هذه المكانة في الغرب، ولمَّا كانت هذه الحضارة الغربية هي

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٩٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦٩).
(٣) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني (ص: ٧٤).
(٤) شرح الطحاوية (١/ ٢٦).

الحضارة السائدة في عصرنا؛ فقد انتشر هذا الإلحاد، وانتشرت أكثر منه لوازمه في أرجاء المعمورة انتشارًا لم يعهد له مثيل فيما مضى من الزمان، ولكن مع ذلك ما يزال الملحدون من الناحية العددية قلة قليلة حتى في الغرب، ففي استطلاع للرأي العام أجرته صحيفة نيويورك تايمز (٢٧/ ٢/ ١٩٩٣م) صرح ٩٦٪ من الأمريكان بأنهم يؤمنون بالله، وفي استطلاع أحدث أجرته مجلة US News and World Report كانت النسبة قريبًا من ذلك، فقد صرح ٩٣٪ بأنهم يؤمنون بالله، وصرح ٥٪ فقط بأنهم ملحدون[١].

و«يبدأ الإلحاد الغربي- بمعناه الفلسفي والعلمي- في القرن التاسع عشر، ويعتبر لودفيغ فويرباخ أبا الإلحاد الحديث؛ إذ إن فكره أثر في الكثير من الملحدين الذين جاؤوا من بعده، ومنهم ماركس وفرويد ونيتشه»[٢].

وأول من استعمل اسم (الإلحاد الجديد) هو جيري وولف في مقالة نشرها سنة ٢٠٠٦م في مجلة وايرد البريطانية بعنوان: كنيسة غير المؤمنين[٣]، وهذه التسمية تشير إلى موجة إلحادية متعاظمة بدأت في الغرب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م[٤]، وبعدها صار الإلحاد أكثر شراسة وعنفًا، فبدأ الملحدون في الطعن في الأديان وخصوصًا الإسلام، والدعوة إلى استئصالها ومحوها من الوجود[٥]، ومن أشهر الملاحدة الجدد: ريتشارد دوكينز، ودانيال دينيت، ولويس وولبرت، وسام هاريس، وفيكتور ستنجر[٦].

(١) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر إدريس (ص: ١٩).
(٢) نظرات في الفكر الإلحادي الحديث، مشير باسل عون (ص: ٧).
(٣) انظر: ميليشيا الإلحاد (ص: ١٧).
(٤) والظاهر أن تاريخ التسمية متأخر عن تاريخ النشأة.
(٥) انظر: الإلحاد للمبتدئين، د. هشام عزمي (ص: ٢١).
(٦) انظر: هناك إله، أنتوني فلو (ص: ١٥٤). ترجمة: جنات جمال.

المبحث الثاني:
مظاهر الإلحاد المعاصر ووسائله

مظاهر الإلحاد المعاصر:

للإلحاد المعاصر مظاهر عديدة، منها[١]:

١- الحماسة الشديدة في الدعوة إلى الإلحاد:

حيث كان الإلحاد في سياقه التاريخي حياديًّا في موقفه من الدين، ويرى أن قضية الإيمان والتدين مسألة شخصية، لكن بعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر برزت موجة جديدة من الإلحاد ترى في التدين خطرًا يهدد البشرية، فتحول الإلحاد من وقتئذ إلى حركة تسعى إلى استئصال مبدأ التدين من الحياة البشرية، وإحلال قضية الإلحاد كخيار منقذ، وقد صرح سام هارس أحد أقطاب الإلحاد الجديد بأن هذه الحادثة هي المحرك الأساس له في الدعوة إلى الإلحاد وتأليف كتابه: (نهاية الإيمان)، بل ذكر أنه ابتدأ تأليف هذا الكتاب في اليوم التالي لحصول الحادثة، وهو يوم ١٢/ ٩/ ٢٠٠١م، ويشاركه في ذلك كثير من الملحدين مثل: ريتشارد دوكينز التي كتب كتابا بعنوان: (وهم الإله) ذكر في مقدمته أن القراء المتدينين الذين سيفتحون هذا الكتاب سيكونون ملاحدة بمجرد فراغهم منه، وفي إحدى التزكيات الموجودة على غلاف الكتاب كتبت العبارة التالية: «إذا لم يغير هذا الكتاب العالم، فالويل لنا».

٢- العدائية الشديدة للدين والتدين:

ينطلق دعاة الإلحاد الجديد في تعاملهم مع الدين من رؤية ترى فيه منبعًا للشرور والكوارث، وأنه من الواجب السعي إلى محاربته واستئصاله. ولهذا أطلق ريتشارد كونز على سلسلة الأفلام الوثائقية التي نشرها حول الإلحاد اسم (جذر الشرور كلها[٢])، ويقصد به: الدين، وقد صرح قائلا: «أتمنى حقا أن أرى الدين يزول تمامًا».

٣- استعمال الإرهاب في محاربة التدين:

يكثر في الخطاب الإلحادي الجديد استعمال الإرهاب وسيلة لمحاربة التدين، ومن شعارات الملاحدة المعبرة عن خطورة الدين ودوره في الإرهاب والحروب قولهم: (العلم يطير بك إلى القمر، والدين يطير بك في المباني)، وقولهم: (هنالك سبب منطقي وراء عدم قيادة الملاحدة للطائرات

---

(١) انظر: ميليشيا الإلحاد (ص: ٢١) وما بعدها.

(٢) أو: أصل كل الشرور، كما في ترجمة د. هشام عزمي. انظر: الإلحاد للمبتدئين (ص: ٢٣).

في المباني) إشارة منهم إلى حادثة الحادي عشر من سبتمبر.

٤- الهجوم الشديد على الإسلام:

على الرغم من الموقف العدائي الشديد الذي يكنه الإلحاد المعاصر تجاه الدين والتدين على وجه العموم، إلا أن الإسلام يعد أكثر هذه الأديان حضورا في الخطاب الإلحادي الجديد، ويلاحظ كثرة هذه المصطلحات في الخطابات الإلحادية (الله، محمد، القرآن، والحديث، الجهاد ... إلخ)، وكشف ريتشارد دوكنز عن موقف الإلحاد الجديد من الإسلام صراحة بقوله: «أعتقد أن الإسلام هو أعظم قوة للشر في عالم اليوم»، ويقول سام هارس: «لسنا في حرب مع الإرهاب، وإنما في حرب مع الإسلام».

٥- محاولة الاعتماد على العلوم الطبيعية التجريبية للدعوة إلى الإلحاد:

من أهم المظاهر التي تميز بها الإلحاد الجديد المغالاة في الاتكاء على العلوم الطبيعية التجريبية في التنظير للفكرة الإلحادية، حتى أنهم يصورون لأتباعهم أنه ليس أمام الإنسان إلا أحد اختيارين: إما الإيمان بالعلوم الطبيعية وما تفضي إليه من الحقائق، أو الإيمان بالدين وما يفضي إليه من الخرافة والجهل.

وسائل الإلحاد الجديد[١]:

١- التأليف والكتابة:

كثرت الكتابات والمؤلفات التي شكلت القوة الدافعة للإلحاد الجديد، وتميزت بجودة الأسلوب وسحر العبارة ووضوح الأفكار، فانتقلت الأفكار الإلحادية إلى الإطار الشعبي بعد أن كانت حبيسة بين دوائر نخبوية ضيقة، ومن اللافت للنظر الإقبال الشديد على شراء هذه الكتب في الغرب، كما حظي مؤلفوها بجوائز مؤسسات معنية بمجال التأليف والنشر، وترجمت إلى لغات متعددة، ومن أشهرها: نهاية الإيمان لسام هارس، ووهم الإله لريتشارد دوكنز، وكتاب كَسْر السحر.. الدين كظاهرة طبيعية للفيلسوف الأمريكي دانييل دينت، وكتاب الله الفرضية الفاشلة للفيزيائي فكتور ستنجر، وكتاب الله ليس عظيما.. كيف يسمم الدين كل شيء للصحفي كريستوفر هيتشنز، وتعد هذه الكتب هي أهم الكتب التي شكلت القاعدة التي تأسست عليها ظاهرة الإلحاد الجديد، بل وصل الأمر إلى تأليف كتب مخصصة للأطفال مثل كتاب: إني أتساءل لمؤلفته أناكا هارس، وهي زوجة سام هارس.

---

(١) انظر: ميليشيا الإلحاد (ص: ٢٤) وما بعدها.

٢- البرامج الفضائية والإذاعية:

أنتج الملاحدة عددا غير قليل من البرامج الإعلامية المتنوعة ما بين برامج حوارية وأفلام تعليمية ووثائقية، بل إن كثيرا من الأفلام والمسلسلات الترفيهية تظهر فيها الأفكار الإلحادية بوضوح، أو على الأقل تتضمن مشاهد وعبارات ذات خلفية إلحادية، كما تم إنتاج أفلام كرتون للأطفال تقوم بتسريب مفاهيم إلحادية بطريقة غير مباشرة، وهناك أيضا العديد من الأغاني الشهيرة التي دخلت فيها كلمات إلحادية، مثل أغنية (تخيل) لجون لينون، والتي تقول كلماتها: تخيل أنه لا جنة، إنه سهل إذا حاولت، لا جحيم بالأسفل منا، فوقنا السماء فقط ... إلى آخر كلمات الأغنية.

٣- المؤسسات الإلحادية:

كان الإلحاد القديم عشوائيا يعتمد على الجهود الفردية فقط، أما الإلحاد الجديد فيتميز بالدعم والتمويل للدعوة إلى الإلحاد ونشره، ومن المؤسسات الإلحادية الشهيرة: التحالف الدولي للملاحدة، ورابطة الملاحدة، ومؤسسة ريتشارد دوكنز لدعم العقل والعلم، والاتحاد الدولي للاتجاه الإنساني والأخلاقي، والرابطة الدولية لغير المتدينين والملحدين.

٤- مواقع على شبكة الإنترنت:

تزخر الشبكة العنكبوتية بمواقع إلحادية كثيرة جدا، تقدم موادا كثيرة تنشر الظاهرة الإلحادية وتمارس دورا دعويا للأفكار الإلحادية، وبعض هذه المواقع تابع لمؤسسات إلحادية، وهناك حضور قوي للإلحاد على شبكات التواصل الاجتماعي كفيسبوك وتويتر، إضافة إلى مواقع إلحادية مخصصة للأطفال والمراهقين، وتقديم الإرشادات والتوجيهات للوالدين.

المبحث الثالث:

أسباب ظهور الإلحاد المعاصر

يمكن إجمال ما ذكره الغربيون حول أسباب ظهور الإلحاد في الغرب في الأسباب التالية[١]:

١- التناقض الشديد بين كثير من دعاوى الدين النصراني المحرف الذي ورثه الغرب وبين العلم التجريبي الذي اكتشفوه.

٢- التناقض بين منهج العلم التجريبي القائم على الدليل الحسي، وبين منهج دينهم القائم على التسليم الأعمى.

٣- خوض كثير من علماء دينهم في المسائل الغيبية والحديث عنها بمجرد الرأي دون سند علمي.

٤- تعصب بعض العلماء الطبيعيين المتدينين لما ذكره الكتاب المقدس من معلومات حول الكون حتى أداهم ذلك إلى تحريف الحقائق العلمية لتوافق دعاوى الكتاب المقدس، مثل ما استنتجه المطران جيمز أشر من تحليل الكتاب المقدس أن الأرض خلقت عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد.

٥- التناقضات الفجة التي زخر بها الكتاب المقدس لا سيما بعد تطور حركة النقد النصي للكتاب المقدس، حتى شمل التناقض مسألة الألوهية، فبينما يوصف الإله بأنه هو الخالق ينسب إليه الولد، وبينما يقال: إن عيسى ابن الله يقال: إنه صلب، وبينما يقال: إن الإله واحد يقال: إنه مكون من ثلاثة أقانيم (الآب والابن وروح القدس).

---

(١) انظر: الفيزياء ووجود الخالق. د. جعفر شيخ إدريس (ص: ٢٢-٢٣).

المبحث الرابع:
آثار الإلحاد في حياة الأمم والشعوب والمجتمعات والأفراد

آثار الإلحاد على الفرد[١]:

١- غياب النظرة الصحيحة للحياة والهدف من خلق الإنسان والكون.

٢- انفلات الغرائز الشهوانية، فالإلحاد يقطع الصلة بين الإنسان وخالقه، ويقطع صلته بالدار الآخرة، فلا يبقى للإنسان غرض من هذه الدنيا سوى تحصيل المتعة واللذة الشهوانية الفانية.

٣- طغيان النزعة الفردية الأنانية النفعية، حيث يدفع الإلحاد الفرد إلى الأنانية المطلقة، والنظرة النفعية التي تدور حول ذاته هو، غير مبال بمن حوله؛ إذ لا غاية من الوجود والحياة.

آثار الإلحاد على المجتمع[٢]:

١- شيوع الانتحار، فمع انتشار الإلحاد برز الانتحار كظاهرة عالمية حاضرة بقوة في المجتمعات التي ينتشر فيها الإلحاد، وتؤكد الدراسات أن أحد أبرز أسباب الانتحار القلق والاكتئاب والانهيار النفسي تحت تأثير ضغوطات الحياة المادية والاجتماعية التي يعد الإلحاد أبرز أسبابها، ويلاحظ ارتفاع نسب الانتحار في الدول التي ينتشر فيها الإلحاد، مثل: روسيا، وأوكرانيا، والصين، واليابان، والدانمارك، وفنلندا، وسويسرا، والنمسا، والسويد، وفرنسا، وألمانيا، وبلجيكا، وآيسلندا، ويبلغ المعدل العالمي لنسبة الانتحار ١٤,٥٪ لكل ١٠٠ ألف نسمة.

٢- ارتفاع معدلات الجريمة: لم تكن الجريمة في الغرب في معظمها بسبب الحاجة والفقر، بل كانت في أغلبها بدافع الغريزة الإجرامية التي أطلقتها دعاوى الحرية والرؤية المادية للحياة والوجود، والسباق المحموم وراء الشهوات والغرائز، وقد بلغت صناعة ترويج المخدرات في أوروبا وأمريكا ٥٠٠ مليار دولار سنويا، وقدرت وزارة الخارجية الأمريكية عدد الأطفال والنساء اللواتي

---

(١) انظر: آثار ونتائج الانحرافات الفكرية الإلحاد نموذجًا، أنور بن قاسم الخضيري (ص: ١٥). بحث منشور ضمن بحوث مؤتمر (الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة)، رابطة العالم الإسلامي.

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٧).

تتم المتاجرة بهن في أغراض الدعارة بـ ٧٠٠ ألف حالة.

٣- التفكك الاجتماعي، فلا شك أن الدين يعزز الروابط الأسرية بين الآباء والأبناء، ويحث على صلة الرحم، وحق الجار، ورحمة الضعيف، والعطف على الفقير والمسكين، ومن هنا كان الإلحاد سببًا في تدمير الأسرة وهي الخلية الأولى لبناء المجتمع، فقد أدى إلى إشاعة الفواحش، وإطلاق الغرائز الجنسية خارج إطار الزواج، وقد سجلت دول الاتحاد السوفيتي سابقا وأوروبا وأمريكا معدلات مرتفعة لأبناء الزنا مع تصاعد موجة الإلحاد في العالم الغربي، وقد نشر موقع BBC الإخباري تقريرًا حول ارتفاع معدلات التفكك الأسري فجاءت في مقدمة الدول: بلجيكا، وبريطانيا، وألمانيا، وإيطاليا، والولايات المتحدة الأمريكية، ففي بريطانيا مثلا لا يعيش سوى ٦٨٪ من الأبناء مع والديهم، وبلغت النسبة في ألمانيا ٨٢٪، وفي إيطاليا ٩٢,١٪، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ٧٠,٧٪.

المبحث الخامس:
وسائل وطرق مواجهة ظاهرة الإلحاد المعاصر

ينشأ الإلحاد في الغالب نتيجة لشبهات أو شهوات، وأكثر الذين وقعوا في الإلحاد إنما وقعوا فيه لهذين السببين، وعليه فإن علاج الإلحاد بل والوقاية منه إنما يتحقق من خلال معالجة أسبابه التي أدت إليه والقضاء عليها بداية[١].

فعلاج الإلحاد الحاصل بسبب الشهوات: يكون -بعد توفيق الله وهدايته- من خلال البعد عن مثيراتها، والنصح لمن وقع فيها ووعظه وتذكيره بما عند الله، وتخويفه من عذابه، وما ينتظر المنكرين الملحدين من العذاب والنكال يوم القيامة.

وأما الإلحاد الحاصل بسبب الشبهات: فعلاجه -بعد توفيق الله وهدايته- من خلال الرد عليها بطرق علمية تجلي الحق وتدحض الباطل بالحكمة والموعظة الحسنة والمخاطبة بالتي هي أحسن.

وقد يحصل الإلحاد نتيجة لدوافع نفسية- وهي بالمجمل لا تخرج عن النوعين السابقين- أثرت على صاحبها في فترة ما، «فإن الإلحاد ليس قضية علمية ثابتة، وإنما هو مجموعة وساوس، والوساوس إنما تنفذ من خلال الشيطان»[٢]، فعلاج مثل هذه الحالات يتطلب من أهل الإيمان دراسة نفسية الملحد المستبطنة، ولو بطريقة غير مباشرة، فقد يحمل هذا الملحد ذكريات أليمة كانت سببًا في تقبله للإلحاد، فلا بد من أخذها بعين الاعتبار ومحاولة معالجتها[٣].

ولا بد من الوقاية للمجتمع من أسباب الإلحاد قبل أن يقع الناس فيها، وذلك من خلال عدد من الإجراءات المتضمنة إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح من المناهج العلمية في المدارس والجامعات، وتدعيمها بما يرسخ عقيدة الإيمان لدى النشء، وتبصير الطلاب بشبهات الملحدين وأساليبهم في نشر إلحادهم، وتدريبهم على الرد على مثل هذه الشبهات ليكتسبوا بذلك قناعة بإيمانهم، ومناعة من الوقوع في هذا المرض العضال.

كما يجب على كل مسلم أن يحصن نفسه ضد الإلحاد من خلال تلاوة القرآن وتدبره قال

---

(١) انظر: ثلاث رسائل في الإلحاد (ص: ١٣).

(٢) الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته، د. صالح سندي (ص: ٧٣-٧٤).

(٣) انظر: نفسية الإلحاد (ص: ٢٥١).

تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، والإكثار من العمل الصالح، وإدامة النظر والتفكر في ملكوت الله، وسؤال الله تعالى الهداية وتمييز الحق، وأن لا يوكله إلى حوله وقوته، كما يجب عليه أن يتجنب مجالس الشيطان ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وأن لا يكون سمَّاعًا لكل ناعق من أدعياء العلم من العلمانية وغيرهم، لا سيما إذا لم يكن عنده من العلم ما يستطيع به الرد عليهم وتفنيد أباطيلهم.

كما ينبغي التعامل مع الشكوك التي تعتمل في نفوس البعض بالرفق واللين والحوار بالحجة والبرهان، وليس بالزجر والتأنيب، وهذا هو منهج القرآن، كما في قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١][(١)].

وبعد هذا وذاك فإنه يجب على مراكز البحث والدراسات أن تقوم بدورها بإصدار الدراسات والبحوث لمواجهة هذا الشذوذ عن الفطرة التي خلق الله الناس عليها، كما يتعين التأهيل لطائفة من أرباب العقول المتسلحين بالعلم الشرعي ودراستهم للنظريات والفلسفات التي ساهمت في ظهور الفكر الإلحادي دراسة معمقة، للتعرف على مواضع الشبهة فيها للرد عليها وفضحها وبيان عوارها[(٢)].

---

(١) انظر: وهم الإلحاد (ص: ١٦٦-١٦٧).

(٢) يوجد عدد لا بأس به من الباحثين المسلمين الذي طرقوا هذا الباب. وتصدوا للرد على الملاحدة؛ إلا أن هذا المجال لا يزال بحاجة إلى المزيد.

ملخص الفصل العاشر

- **تعريف الإلحاد:** الإلحاد اصطلاحًا له معنيان: الأول: عام، وهو الميل والعدول عن الحق. الثاني: خاص، وهو إنكار وجود الله تعالى، وهو المراد عند الإطلاق في عصرنا الحاضر.
- **نشأته:** الإلحاد بمعناه الحديث -الذي هو عدم الإيمان بوجود الخالق- فهو أيضًا أمر شاذ لا يقول به إلا فرد بعد فرد من الناس، وظل الأمر كذلك حتى القرن الثامن عشر الميلادي تقريبًا، حيث بدأ التيار الإلحادي يظهر في أوروبا عام ١٧٧٠م. وأول من استعمل هذا الاسم (الإلحاد الجديد) هو جيري وولف سنة ٢٠٠٦م.
- **مظاهر الإلحاد المعاصر:** (١) الحماسة الشديدة في الدعوة إلى الإلحاد. (٢) العدائية الشديدة للدين والتدين. (٣) استعمال الإرهاب في محاربة التدين. (٤) الهجوم الشديد على الإسلام. (٥) محاولة الاعتماد على العلوم الطبيعية التجريبية للدعوة إلى الإلحاد.
- **وسائل الإلحاد الجديد:** (١) التأليف والكتابة. (٢) البرامج الفضائية والإذاعية. (٣) المؤسسات الإلحادية. (٤) مواقع على شبكة الإنترنت.
- **أسباب ظهور الإلحاد في الغرب:** (١) التناقض الشديد بين كثير من دعاوى الدين النصراني المحرف الذي ورثه الغرب وبين العلم التجريبي الذي اكتشفوه. (٢) التناقض بين منهج العلم التجريبي القائم على الدليل الحسي، وبين منهج دينهم القائم على التسليم الأعمى. (٣) خوض كثير من علماء دينهم في المسائل الغيبية والحديث عنها بمجرد الرأي دون سند علمي. (٤) تعصب بعض العلماء الطبيعيين المتدينين لما ذكره الكتاب المقدس من معلومات حول الكون. (٥) التناقضات الفجة التي زخر بها الكتاب المقدس لا سيما بعد تطور حركة النقد النصي للكتاب المقدس.
- **آثار الإلحاد على الفرد:** (١) غياب النظرة الصحيحة للحياة والهدف من خلق الإنسان والكون. (٢) انفلات الغرائز الشهوانية. (٣) طغيان النزعة الفردية الأنانية النفعية.
- **آثار الإلحاد على المجتمع:** (١) شيوع الانتحار. (٢) ارتفاع معدلات الجريمة.

(٣) التفكك الاجتماعي.

- **علاج الإلحاد:** ينشأ الإلحاد في الغالب نتيجة لشبهات أو شهوات، فعلاج الإلحاد الحاصل بسبب الشهوات: يكون -بعد توفيق الله وهدايته- من خلال البعد عن مثيراتها، والنصح لمن وقع فيها ووعظه وتذكيره بما عند الله، وتخويفه من عذابه، وما ينتظر المنكرين الملحدين من العذاب والنكال يوم القيامة. وأما الإلحاد الحاصل بسبب الشبهات فعلاجه -بعد توفيق الله وهدايته- من خلال الرد عليها بطرق علمية تجلي الحق وتدحض الباطل بالحكمة والموعظة الحسنة والمخاطبة بالتي هي أحسن.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف الإلحاد لغة واصطلاحًا، مبينا معناه في العصر الحديث.

س٢: متى ظهر التيار الإلحادي في أوروبا؟ ومتى ظهر استعمال مصطلح (الإلحاد الجديد)؟ وبين أسباب ظهور الإلحاد في أوروبا.

س٣: اذكر أهم مظاهر الإلحاد المعاصر.

س٤: ما أهم سبل مواجهة الإلحاد في رأيك؟

الفصل الحادي عشر:
الرأسمالية[١]

المبحث الأول:
التعريف بالرأسمالية، ونشأتها

التعريف بالرأسمالية:

الرأسمالية نظام اقتصادي يقوم على مبدأ حرية الفرد في التملك والكسب والإنفاق، من غير مراعاة في ذلك كله لدين أو خلق أو مصلحة عامة، يقول مارتين دودج في تعريفها: «هو نظام اقتصادي يقضي في الأغلب الأعم بأن يتملك الأفراد أو الشركات كافة وسائل الإنتاج والتوزيع والتبادل التجاري، إنها النظام المتبع في الدول المتقدمة صناعيًّا في عالمنا الحاضر»[٢].

نشأتها:

مرت أوروبا بفترة مظلمة تمثلت بطغيان متعدد الوجوه؛ طغيان مالي وعلمي وفكري وروحي من الكنيسة ورجالها الذين حرفوا دين الله وشرعه، فانتفضت الشعوب الأوروبية للخلاص من هذا الظلم، وانطلقت الدعوة إلى الحرية الفردية في كل مكان كرد فعل عنيف للطغيان الكنسي، فسيطرت نزعة التحرر على مجالات الفكر والسياسة والاقتصاد، وظهرت في مجال الاقتصاد الرأسمالية التي قامت على مبدأ الحرية الفردية المطلقة.

---

(١) أصل هذا المبحث هو ما كتبته سابقًا عن الرأسمالية في الكتاب الذي كان مقررًا على المعاهد العلمية باسم (العقيدة والأديان والاتجاهات المعاصرة).

(٢) قاموس المذاهب السياسية، مارتين دودج (ص: ٥٤-٥٥).

المبحث الثاني:
أسباب الرأسمالية، وتطورها

أسباب الرأسمالية:

ساعد على ظهور الرأسمالية عدة أسباب، من أهمها ما يلي[١]:

١- انهيار النظام الإقطاعي الذي كان سائدا في المجتمع الأوروبي فترة القرون الوسطى[٢].

٢- الاكتشافات الجغرافية الكبرى، ومن أهمها: اكتشاف القارة الأمريكية سنة ١٤٩٣م وما أسفر عن ذلك من اكتشاف مناجم الذهب، واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند والشرق الأقصى سنة ١٤٩٨م.

٣- الاحتكاك بالحضارة الإسلامية أثناء الحملات الصليبية التي كان لها أكبر الأثر في تطور أوروبا، وكانت إيذانا بقيام صلات تجارية بينها وبين العالم الإسلامي.

تطور الرأسمالية:

مرت الرأسمالية بمراحل متعددة، وهي[٣]:

١- **الرأسمالية التجارية:** وقد ظهرت الرأسمالية التجارية في بداية القرن السادس عشر وامتدت حتى منتصف القرن الثامن عشر، وقد ساد الاعتقاد في هذه المرحلة بأن قوة الدول تكمن في مقدار ما تملكه من الذهب وغيره من المعادن النفيسة، مع الاهتمام بالتجارة الخارجية، والتأكيد على ضرورة تدخل الدولة في التجارة الخارجية بغية تحقيق فائض في الميزانية، وتشجيع الصادرات وتقليل الواردات.

٢- **الرأسمالية الصناعية:** وقد ظهرت نتيجة الثورة الصناعية في منتصف القرن الثامن عشر،

---

(١) انظر: النظام الاقتصادي في الإسلام، مجموعة باحثين (ص: ٥٢-٥٤).

(٢) وهي الفترة التي ساد فيها الجهل والتخلف في المجتمع الأوروبي. واستغرقت عشرة قرون متتالية تبدأ من سقوط الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي وتمتد حتى فتح القسطنطينية في القرن الخامس عشر.

(٣) انظر: النظام الاقتصادي في الإسلام، مجموعة باحثين (ص: ٥٢-٥٧).

وأصبح هناك زيادة هائلة في ميادين الإنتاج المختلفة بسبب إحلال الآلات الصناعية محل العدد اليدوية، واعتمد النظام الرأسمالي في هذه المرحلة على الحرية الاقتصادية، وإلغاء كافة القيود على التجارة الداخلية والخارجية، وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلا بما يكفل الأمن والعدالة وحماية الملكية الفردية.

ثم تم إدخال بعض التعديلات على هذا النظام الرأسمالي القديم بعد القرن الثامن عشر عن طريق التدخل الحكومي لمعالجة مساوئه، وذلك من خلال فرض الرسوم الجمركية، ودعم بعض القطاعات الاقتصادية، وتحديد أسعار بعض النشاطات الاقتصادية ذات النفع العام كالكهرباء والماء والغاز، وغيرها من السياسة النقدية والمالية التي تمنع حدوث أزمات اقتصادية، وبهذا التدخل من قبل الدولة تنتهي الحرية التجارية المطلقة لكنه بدرجة لا تصل إلى القضاء على جوهر النظام الرأسمالي.

المبحث الثالث:
أهم أسس الرأسمالية

ترتكز الرأسمالية على مبدأ حرية الفرد في نشاطه الاقتصادي في التملك، أو في استخدام الوسائل، أو في طريق الإنفاق، وهي جزء من التوجه العام إلى المناداة بحرية الفرد لمواجهة تسلط الكنيسة والإقطاع في العصور الوسطى بالنسبة لأوروبا.

ومن أهم أسس ومبادئ الرأسمالية ما يلي[١]:

١- **الحرية الاقتصادية:** تكفل الرأسمالية الحرية الاقتصادية للفرد في ممارسة النشاط الاقتصادي والإنفاق والاستثمار الذي يناسبه، وليس للدولة أي حق في التدخل ووضع القيود أمام الفرد.

٢- **الملكية الخاصة:** وتعتبر الملكية الخاصة حجر الزاوية في النظام الرأسمالي الذي يعطي للفرد الحق المطلق في تملك الأموال والإنتاج، وأصبحت المشروعات الغالبة في النظام الرأسمالي هي المشروعات الخاصة، وقد أدت الملكية الخاصة المطلقة دون قيود في النظام الرأسمالي إلى وجود الفوارق الكبيرة في الثروات والدخول بين أفراد المجتمع.

٣- **حافز الربح:** غاية النظام الرأسمالي هو الوصول إلى أكبر قدر ممكن من الربح عن طريق أي وسيلة ممكنة حتى ولو كانت ضارة بالمجتمع، مثل الربا والميسر والقمار والخمر، دون مراعاة إشباع الحاجات الأساسية أو الضرورية للبشر.

---

(١) انظر: النظام الاقتصادي في الإسلام، مجموعة باحثين (ص: ٥٢-٥٧).

المبحث الرابع:
آثار الرأسمالية

من آثار الرأسمالية ما يلي[١]:

١- سيطرة قلة من الأفراد على سوق المال واحتكاره، مما يعطيها القدرة على فرض الأسعار والهيمنة على الاقتصاد.

٢- التفاوت الكبير في الدخل والثروة بين أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى انقسام المجتمع إلى فريقين لا تعاون بينهما ولا تكافل؛ فريق يغرق في الترف والنعيم إلى الأذقان وهم قلة، وفريق يهلك من الجوع والحرمان وهم الكثرة.

٣- انتشار النظام الربوي، وقد نما هذا النظام في مجال التطبيق العملي، واستشرت في ظل المذهب الرأسمالي بحيث أصبح أحد سماته الأساسية.

٤- البحث عن أقصى حجم من الأرباح بأي وسيلة مشروعة أو غير مشروعة نافعة للمجتمع أو مضرة.

٥- إهمال الجوانب الأخلاقية والإنسانية في النظام الرأسمالي؛ حيث يسعى إلى تحقيق أكبر قد من الربح على حساب الأخلاق وحياة الإنسان.

٦- تعاقب الأزمات الاقتصادية بصورة دورية، فقد لوحظ أن العالم الغربي كان يمر بأزمة اقتصادية بمعدل مرة كل ثماني أو عشر سنوات أو حتى إحدى عشرة سنة، وفي مدة بعد الحرب العالمية الثانية أصبح النظام الرأسمالي يعاني من الأزمات المستمرة خصوصًا أزمات الركود المصحوبة بالتضخم[٢] ومشكلات البطالة والمديونية، الأمر الذي يؤثر بشكل مباشر على كثير من أفراد المجتمع.

٧- إشعال الحروب، فقد أشعلت الرأسمالية حربين عالميتين مدمرتين في قرن واحد، فالحرب العالمية الأولى أشعلتها الدولتان الرأسماليتان: إنجلترا وفرنسا لأهداف مصلحية خاصة، واستمرت ثلاث سنوات، وبلغ عدد القتلى أكثر من ثمانية ملايين من الجنود، يضاف إليهم عشرة ملايين من المدنيين، وقامت الحرب العالمية الثانية بسبب جشع دول الافتراس الرأسمالي مخلفة وراءها

---

(١) انظر: النظام الاقتصادي في الإسلام، مجموعة باحثين (ص: ٦٠-٦١).

(٢) معناه: زيادة النقد زيادة كبيرة مع عدم زيادة الإنتاج بقدر مناسب، فتقل قوة النقد الشرائية وترتفع الأسعار ارتفاعًا شديدًا.

بين خمسين إلى ستين مليون قتيل، وبعض المصادر توصل العدد إلى سبعين مليون قتيل ثلثاهم من المدنيين[١]. يقول جيل بيرو عن مساوئ الرأسمالية وآثارها السيئة: «إنها أسوأ قاتل في التاريخ ... يعمل دون قصاص منذ قرون في خمس قارات»[٢].

وبعد فقد عانت أوروبا من ظلم الرأسماليين، وبدأت صرخات المظومين تدوي في المجتمع الإنساني. فولد رد فعل آخر للاتجاه الرأسمالي هو النظام الاشتراكي في الاقتصاد الذي يقوم على مبدأ الملكية العامة وإلغاء الملكية الخاصة، وحينها عانت الشعوب في ظل الحكم الاشتراكي من ظلم آخر، وبدأت محاولات التحرر من هذا الظلم، وهكذا انتقلت الأمم من نظام ظالم لآخر أشد ظلمًا، ولن تجد الإنسانية الكفاية والعدل والأمان إلا في شرع خالق الإنسان العالم بمصالحه وأسباب سعادته ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

صلتها بالاستعمار:

١- حين بدأ التخطيط والعمل في ظل الاتجاه الرأسمالي سادت الرغبة والعمل على احتلال الشعوب للسيطرة على ثرواتها وسلب خيراتها وجعلها سوقًا لمنتجاتها، ولذا قال بعضهم: «إن الاستعمار هو قمة الرأسمالية».

٢- كما استعمل الرأسماليون أموالهم في توجيه سياسة الحكومات بما يخدم مصالحهم، وهذا يظهر في استغلال إسرائيل للدول الغربية عن طريق رؤوس الأموال اليهودية في هذه الدول.

٣- كما عملوا على إشعال الحروب لترويج صناعة الأسلحة، وتحقيق الربح من وراء ذلك، ومن هنا قال جون إيتون: «إن إزالة خطر الحرب يستلزم إزالة أسبابها، ومن أسبابها الرأسمالية المحتكرة».

٤- وقد أجمعوا أمرهم على أن تظل الدول المتخلفة على حالها من الضعف والتخلف حتى تبقى أسواقًا لترويج بضائعهم، ويسهل التحكم في المواد الخام وشرائها بالسعر الذي يوافق صاحب رأس المال.

---

(١) انظر: معركة الثوابت بين الإسلام والرأسمالية (ص: ١٧٧، ١٨٢).

(٢) الكتاب الأسود للرأسمالية، مجموعة من المؤلفين (ص: ٥)، ترجمة: د. أنطون حمصي.

المبحث الخامس:

حكم الرأسمالية، والفرق بينها وبين النظام الإسلامي

جنحت الرأسمالية إلى إطلاق حرية الفرد على حساب المجموع، مما أدى إلى ظهور النزعة إلى الاشتراكية، واشتطت الاشتراكية في إلغاء حرية الفرد، وتقرير الملكية العامة على حساب الفرد.

وهذه طبيعة كل مذهب بشري؛ حيث يكون عرضة للقصور والنقص والتناقض بمقتضى ما في الإنسان من جهل وهوى ونقص.

فالنظام الرأسمالي نظام وضعي يستمد قوانينه من غير شرع الله وحكمه، فالربا هو عموده الفقري، وحرية الفرد مطلقة فيما يملك وفيما يكسب وفيما ينفق تخضع لأهواء البشر وشهواتهم، لا لشرع الله وأمره، وتقوم على مراعاة المصلحة المادية لقلة من الأفراد، ولا تعبأ بمصلحة الجماعة، وشقيت البشرية وستشقى بالنظام الرأسمالي والشيوعي.

ولن يجد مجتمعٌ الكفاية والأمان إلا في ظل الإسلام، حيث من مبادئه أن المال لله، والإنسان مستخلف فيه، فلا يملك إلا ما أباحه الله له، ولا يستخدم من وسائل الكسب إلا ما أحله الله، ولا ينفق ماله إلا وفق أمر الله سبحانه وتعالى، وفي المجتمع الإسلامي يختفي ذلك الصراع الطبقي الذي يغذيه النظام الرأسمالي، فهو: المجتمع المتكافل عبر تشريعه الإسلامي في الزكاة والصدقات، والتزام الفرد بحقوق إخوانه، واهتمام الراعي بمصلحة وحاجات رعيته.

ملخص الفصل الحادي عشر

- **تعريف الرأسمالية:** هي نظام اقتصادي يقوم على مبدأ حرية الفرد في التملك والكسب والإنفاق، من غير مراعاة في ذلك كله لدين أو خلق أو مصلحة عامة.
- **أسباب ظهور الرأسمالية:** (١) انهيار النظام الإقطاعي الذي كان سائدا في المجتمع الأوروبي فترة القرون الوسطى. (٢) الاكتشافات الجغرافية الكبرى، ومن أهمها: اكتشاف القارة الأمريكية سنة ١٤٩٣م. (٣) الاحتكاك بالحضارة الإسلامية أثناء الحملات الصليبية.
- **أسس ومبادئ الرأسمالية:** (١) الحرية الاقتصادية. (٢) الملكية الخاصة. (٣) حافز الربح.
- **آثار الرأسمالية:** (١) سيطرة قلة من الأفراد على سوق المال واحتكاره. (٢) التفاوت الكبير في الدخل والثروة بين أفراد المجتمع. (٣) شيوع النظام الربوي. (٤) البحث عن أقصى حجم من الأرباح بأي وسيلة. (٥) إهمال الجوانب الأخلاقية والإنسانية. (٦) تعاقب الأزمات الاقتصادية بصورة دورية. (٧) إشعال الحروب.
- **موقف الإسلام من الرأسمالية:** النظام الرأسمالي نظام وضعي يستمد قوانينه من غير شرع الله وحكمه، فالربا هو عموده الفقري، وحرية الفرد مطلقة فيما يملك وفيما يكسب وفيما ينفق تخضع لأهواء البشر وشهواتهم، لا لشرع الله وأمره، وتقوم على مراعاة المصلحة المادية لقلة من الأفراد، ولا تعبأ بمصلحة الجماعة، وقد شقيت البشرية وستشقى بالنظام الرأسمالي والشيوعي.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف الرأسمالية، واذكر الأسباب التي ساعدت على ظهورها.

س٢: تكلم بإيجاز عن أهم أسس ومبادئ الرأسمالية.

س٣: بين الآثار السلبية الناتجة عن النظام الرأسمالي.

س٤: اشرح بإيجاز موقف الإسلام من النظام الاقتصادي الرأسمالي.

الفصل الثاني عشر:
العولمة

المبحث الأول:
التعريف بالعولمة، ونشأتها، وأهدافها

التعريف بالعولمة:

العولمة مصطلح أجنبي غربي، وهذا يقتضي الرجوع إلى مفهومه ومعناه في البيئة التي نشأ فيها، وبالرجوع إلى قاموس وبسترز (Websters) نجد تعريف العولمة بأنها: «إكساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميًّا»[١]، ولكن هذا تعريف عام لا يحدد معنى العولمة، كما أن «العولمة بمعنى الاستعلاء واحتواء العالم ليست هي العالمية، أي: الانفتاح على العالم، والاعتراف المتبادل بالآخر دون فقدان الهوية الذاتية»[٢].

١- والتعريف الصحيح للعولمة هو تغريب العالم، أو هو: «سيادة النمط الغربي في الثقافة والاقتصاد والحكم والسياسة في المجتمعات البشرية كلها»[٣]. أو هو: فرض هيمنة أمريكية على العالم وبالأخص العالم الإسلامي، وهو تعريف عام يشمل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، فهي «عولمة أمريكية أساسًا»[٤]، لأن «الدولة العظمى التي تعمل حاليا لفرض العولمة أو الترويج لها بمستوياتها كافة هي الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تستخدم في ذلك سطوتها السياسية، وقدرتها العسكرية، وتقنيات الاتصال الحديثة»[٥].

فالعولمة هي الاسم الحركي للأمركة[٦]، فهي «ليست شيئًا آخر غير نظام عالمي أمريكي جديد،

---

(١) النظام السياسي في الإسلام، مجموعة باحثين (ص: ١٩٦).

(٢) العرب والعولمة (ص: ٩).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٩٧).

(٤) المصدر السابق (ص: ٩).

(٥) المصدر السابق (ص: ٤٥).

(٦) انظر: العولمة والهوية الثقافية، عبد الإله بلقزيز (ص: ٣١٩)، ضمن كتاب: العرب والعولمة.

يريد تعميم مفاهيم أمريكا لتقديم مصالحها قبل أي مصلحة»[١]، فهي اسم آخر للاستعمار.

٢- وقد تعرف العولمة ببعض أهدافها الاقتصادية فيقال: بأنها اتجاه لفرض مبادئ الرأسمالية، يقول صاحبا كتاب (فخ العولمة) في تعريفها: «انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القروية والإقليمية والوطنية في اقتصاد عالمي شمولي واحد»[٢]، وتعريفها الاقتصادي هو من أشهر تعريفاتها، «وهذا هو السبب الذي جعل الأمم المتحدة تصوغ تعريفا للعولمة بأنها: فتح الأسواق والتبادل الحر القائم على تقليل سلطة سلطة الدولة على حركة الاقتصاد»[٣]، وقد أطلق صموئيل هنتنجتون على الثقافة الأمريكية التي تجري عولمتها في العالم اسم (ثقافة دافوس)، نسبة إلى الاجتماع الدوري للفعاليات الاقتصادية الكبرى في مدينة دافوس في سويسرا[٤].

٣- وبعضهم يعرفها من منظور سياسي فقط، فيذهب إلى أن العولمة تعني: تفعيل لنظريات وفلسفات سياسية بحتة، تتخذ من الاقتصاد وسيلة وذريعة لتحقيق سيادتها العالمية[٥].

٤- وقد تعرف العولمة من جانبها التقني أو الشكلي، ومن ذلك تعريف الكاتب الإنجليزي جون تومليسون (رئيس مركز أبحاث الثقافة العالمية والاتصالات في جامعة تورنيت البريطانية) بأنها الفعاليات المطردة المتنامية التي تخص الاتصالات الاندماجية بين المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد على النطاق العالمي، بما يؤدي إلى قصر المسافات وطي الزمن وتصغير العالم وتقريب البشر[٦].

ولا يصح حصر العولمة في نظامها الاقتصادي أو السياسي، بل العولمة تشمل ذلك وغيره، كما تبين في التعريف.

ونظرًا لتعدد تعاريفها لدى الباحثين بحسب اتجاهاتهم ذهب بعضهم إلى القول بأن صياغة تعريف دقيق للعولمة مسألة شاقة نظرا إلى تعدد تعريفاتها التي تتأثر بانحيازات الباحثين الأيديولوجية، واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضًا أو قبولًا[٧].

نشأة العولمة:

إذا نظرنا إلى العولمة من ناحية الرغبة في الهيمنة فإنها تعد ظاهرة قديمة قدم التاريخ، عندما كانت

---

(١) معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، د. عبد العزيز مصطفى كامل (ص: ٢٢١).

(٢) فخ العولمة، هانس. هارالد شومان (ص: ٥١)، ترجمة: د. عدنان عباس علي.

(٣) انظر: معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، د. عبد العزيز مصطفى كامل (ص: ٢٢١).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٥١).

(٥) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية نشأتها منطلقاتها الفكرية، د. أحمد بن علي عبد العال (ص: ٢٣٤).

(٦) انظر: معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، د. عبد العزيز مصطفى كامل (ص: ٢٢١).

(٧) انظر: العرب والعولمة (ص: ٢٥).

تتصدر أي حضارة وتقود العالم، فتفرض هيمنتها ونفوذها على غيرها، وقد قامت بذلك حضارات الشرق والغرب في الصين والهند وفارس واليونان[١]، ومن ذلك مساعي الإمبراطورية الرومانية في السيطرة على العالم إبان قوتها حتى نهاية القرن الثالث الميلادي، وما سجله التاريخ من قيام بريطانيا -الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس- في بسط سيطرتها ونفوذها العسكري والاقتصادي حتى أواخر القرن الثامن عشر، ومن ذلك حركات الاستعمار الشرقي والغربي للعالم الإسلامي[٢].

والعولمة مصطلح أجنبي حادث ظهر لأول مرة خلال التسعينات، فقد أشار قاموس أكسفورد للكلمات الإنجليزية الحديثة إلى مفهوم العولمة للمرة الأولى عام ١٩٩١م، ووصفه بأنه من الكلمات الجديدة التي ظهرت خلال التسعينات[٣].

وقد ظهرت العولمة بمفهومها الجديد في القرن العشرين مع ظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد[٤]، وهذا النظام يؤدي إلى إزالة الحدود بين الدول، وتذويب القيم الثقافية والدينية، حتى يتسنى لأمريكا تقسيم العالم إلى مناطق على أساس جغرافي سياسي في ظل اقتصاد مبني على قوة السوق. وعلى أساسه تضمن أمريكا إعطاء الأولوية الكبرى لمصالحها الاقتصادية والأمنية والعسكرية[٥].

ويرى بعض الباحثين أن العولمة مرت في نشأتها وتطورها بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وبدأت مع ظهور المارشال الأمريكي[٦] الذي أقيم بهدف إعمار أوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥م)، وقد تمثل ذلك بظهور البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومن هنا يرى بعض الباحثين أن أواسط عقد الأربعينيات بمثابة وضع حجر الأساس للعولمة.

المرحلة الثانية: العولمة الإقليمية، وبدأت مع بداية النصف الثاني من عقد الخمسينيات، وذلك

---

(١) انظر: ما العولمة؟ د. حسن حنفي. د. صادق جلال العظم (ص: ١٧).

(٢) انظر: المذاهب الفكرية نشأتها منطلقاتها الفكرية (ص: ٢٣٩).

(٣) انظر: العولمة جذورها وفروعها. د. عبد الخالق عبد الله (ص: ٥٠). مجلة عالم الفكر. الكويت، العدد الثاني، ١٩٩٩م.

(٤) ظهر مصطلح (النظام العالمي الجديد) أول مرة في بداية الستينات من القرن الماضي، وكان أول من استعمله المحامي الأمريكي كرنفينك كلارك، وقد اقترن بالعولمة ليعبر عن اتجاه للهيمنة على مقدرات العالم من طرف واحد (أمريكا). انظر: العولمة، هلا دك الباب (ص: ١٧٧).

(٥) انظر: العولمة، هلا دك الباب (ص: ١٧٩).

(٦) مشروع مارشال الأمريكي هو المشروع الاقتصادي الذي وضعه الجنرال جورج مارشال- رئيس هيئة أركان الجيش الأميركي أثناء الحرب العالمية الثانية ووزير الخارجية الأميركي- لإعادة تعمير أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٧م. انظر: https://cutt.us/jmor. بتاريخ: ٣/ ٥/ ٢٠٢١م.

عن طريق إنشاء سوق مشتركة، ثم سوق أوربية موحدة، ثم إنشاء اتحاد اقتصادي يضم خمسة عشر بلدًا أوروبية، مما أدى إلى ظهور أول تحالف تجاري أوروبي.

المرحلة الثالثة: بدأت سنة ١٩٨٥م حين أعلن عن انهيار الاتحاد السوفيتي سياسيًّا واقتصاديًّا، وتبع ذلك انهيار حائط برلين سنة ١٩٨٩م، ثم حرب الخليج الثانية التي انتهت بخروج العراق من الكويت سنة ١٩٩١م، وكانت هذه الأحداث كلها قد هيأت الولايات المتحدة الأمريكية للتربع على عرش النفوذ العالمي، ومحاولة بسط نفوذها السياسي والاقتصادي والفكري على العالم[١].

أهداف العولمة:

للعولمة أهدافها العقدية والاقتصادية والسياسية والثقافية. ويتمثل هدفها العام في إخضاع الدول لهيمنتها في هذه المجالات، فهي أشبه ما تكون بالاستعمار، ولهذا «فقد كان الإجماع[٢] على أن ظاهرة العولمة تمثل تحديا لنا أو للعالم، وأنها تستحق أن يبذل جهد جاد ودؤوب في محاولة فهمها وتحليلها ومتابعة تجلياتها المتنوعة»[٣].

ونشير إلى جملة من الأهداف بإيجاز فيما يلي:

١- **الهدف الاقتصادي:** وهو السيطرة على رأس المال، وربطه بالاقتصاد الأمريكي عن طريق أدوات ومنظمات مثل الشركات المتعددة الجنسيات، ومنظمة التجارة العالمية، والبنك الدولي، وصندوق النقد، وغيرها[٤]، «فالعولمة في مظهرها الأساسي تكتل اقتصادي للاستئثار بثروات العالم ومواده الأولية وأسواقه التجارية على حساب الدول الفقيرة، وهو أحد أشكال الاستعمار الذي عاد من جديد باسم (العولمة)[٥].

٢- **الهدف السياسي:** العولمة في بعدها السياسي أحد أشكال الهيمنة السياسية، فباسم العولمة تمحى الإرادة الوطنية المستقلة للدول والشعوب، فالعولمة والدولة الوطنية المستقلة نقيضان وجود أحدهما ينفي وجود الآخر[٦]، ويتم ذلك بالإلغاء التدريجي لسلطة الحكومات على شعوبها بطرق كثيرة، من أهمها تشجيع الأقليات العِرقية والدينية على التمرد والثورة، وتقسيم العالم إلى

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية، د. صالح هندي وآخرون (ص: ١٨٤-١٨٥).

(٢) في الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية.

(٣) العرب والعولمة (ص: ٧).

(٤) لم يزد معدل الإنتاج القومي لجميع دول العالم على ١,٩ بالمئة سنويا خلال السنوات العشر من ١٩٨٤-١٩٩٤م. في حين حققت التجارة العالمية في المدة نفسها نموًّا بمعدل ٥,٣ بالمئة سنويا. انظر: العرب والعولمة (ص: ٣٩).

(٥) انظر: ما العولمة؟ (ص: ٢٣).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٤-٢٥).

مناطق تراعى فيها المصالح الحيوية الأمريكية، وفرض العقوبات الاقتصادية على الدول التي ترفض الخضوع لأمريكا، وقد يستلزم ذلك التدخل العسكري المباشر أحيانًا.

٣- **الهدف الثقافي:** وذلك من أجل فرض هيمنة ثقافة واحدة، وهي ثقافة المستعمر، وذلك بالسيطرة على (الإدراك). وهي كلمة جديدة في المعجم السياسي تحل محل كلمة (الوعي)؛ حيث يتم إخضاع الوعي، وتعطيل ملكة العقل والتفكير، والتشويش على نظام القيم، وقولبة السلوك، وهو ما يمكن أن يطلق عليه ثقافة الاختراق التي تهدف إلى التطبيع مع الهيمنة، وقبول الاستتباع الحضاري، والرضا بالعولمة[١].

ومن الشواهد على سعيهم لتحقيق هذا الهدف أن جوليان هكسلي -أول مدير عام لمنظمة اليونسكو- صرح بأن المهمة الرئيسة التي تقع على عاتق اليونسكو هي أن تساعد في خلق ثقافة عالمية موحدة، تنطوي على تصور فلسفي خاص، وخلفية معينة من الأفكار[٢].

٤- **الهدف الاجتماعي:** وذلك بنقل قيم المجتمع الغربي عموما والأمريكي خصوصا وجعلها مثالا للدول الأخرى، ومن ذلك إقحام المرأة في كل المجالات بلا استثناء بقصد استغلالها باسم الثقافة والفن لتكون أداة لتطويع الشعوب الإسلامية للهجمة الثقافية الغربية، وتسعى العولمة أيضًا لصنع رموز في المجتمع يروجون للمناهج المناوئة للهوية الإسلامية سواء باسم الأدب أو الفن أو السياسة أو الاقتصاد أو التربية؛ إذ تمنح لهؤلاء الجوائز العالمية كجائزة نوبل التي منحت لنجيب محفوظ وأدونيس[٣].

٥- **الهدف العسكري:** وذلك من خلال إنشاء الأحلاف والمعاهدات العسكرية كحلف الأطلسي الذي حددت أهدافه تجاه الجنوب (الإسلام)، واتخاذ ذلك وسيلة للهيمنة على الدول سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا[٤].

---

(١) انظر: العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات (ص: ٣٠١)، ضمن: العرب والعولمة.

(٢) انظر: العرب واليونسكو، د. حسن نافعة (ص: ١٣٠).

(٣) انظر: العولمة وأثرها على العالم العربي والإسلامي، هلا دك الباب (ص: ٢١٧).

(٤) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. أحمد عبد العال (ص: ٢٤٥).

المبحث الثاني:
وسائل نشر العولمة، وآثارها

وسائل نشر العولمة:

من وسائل فرض العولمة ما يلي:

١- المؤسسات السياسية:

للعولمة السياسية مؤسسة واحدة، وهي منظمة الأمم المتحدة، ويندرج تحتها عدة هيئات ومؤسسات تابعة لها، وأحد أبرز أهدافها حفظ السلم والأمن الدوليين، ولكن استطاعت الهيمنة الأمريكية التأثير عليها وعلى المؤسسات التابعة لها، وخصوصا مجلس الأمن الذي يعد الناطق الرسمي باسم السياسة الأمريكية[١]، حتى أصبحت مهمتها -في الغالب- ترسيخ مبادئ العولمة السياسية، والتدخل السافر في الشؤون الداخلية للدول، ومحاولة فرض أنماط سياسية وأنظمة ودساتير وقوانين تحقق أهدافها وأغراضها، ومن يعترض تصدر القرارات في حقه من مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة بحصاره أو عزله أو إسقاطه باسم مخالفة الشرعية الدولية[٢].

٢- المؤسسات الاقتصادية:

ومن أمثلتها:

أ- البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي: فقد كان من أهم نتائج مؤتمر بريتون وودز عام ١٩٤٧م إنشاء صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وحددت وظيفة صندوق النقد بالإشراف على النظام الدولي للنقد، ووظيفة البنك بالإشراف على النظام المالي الدولي[٣]، لكن تحولت سياستها إلى فرض عقوبات وسياسات اقتصادية على الدول الفقيرة، وتقديم قروض اقتصادية لهذه الدول من أجل دعم مشاريعها التنموية في الظاهر، والتحكم في هذه الدول والتدخل في

---

(١) انظر: العولمة، هلا دك الباب (ص: ٧٤-٧٦)، ويلاحظ أنه ما من قضية من قضايا المسلمين عرضت على مجلس الأمن ووجدت حلًا منصفًا عادلًا.

(٢) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية، د. أحمد عبد العال (ص: ٢٤٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٤٨-٤٩).

شؤونها الداخلية في الباطن[١]، كما تفرض على الدول النامية نماذج إصلاحية واقتصادية، ويكون تطبيقها شرطا للحصول على القرض أو المساعدة، وغالبا ما تحتوي هذه النماذج على أنظمة مستوردة من الثقافة الغربية تتعارض مع الدين[٢].

ب- الشركات العملاقة متعددة الجنسيات: وهي شركات تخضع ملكيتها لسيطرة جنسيات متعددة، ويتولى إدارتها أشخاص من جنسيات مختلفة، وتمارس نشاطها في بلاد أجنبية، وتعد هذه الشركات أحد أقوى الوسائل المستخدمة في جر الاقتصاد العالمي باتجاه العولمة[٣]، ويبلغ عدد الشركات المتعددة الجنسيات أكثر من ٦٥ ألف شركة، وبلغت صادراتها نحو ٤٥٪ من مجمل الصادرات العالمية، ومن أمثلة الشركات المتعددة الجنسيات: مايكروسوفت، وجوجل، وماكدونالدز[٤]، ويوجد حاليا شبه إجماع على أن هذه الشركات العملاقة هي اللاعب الرئيس في الاقتصاد العالمي اليوم، كما أنها الأداة الوحيدة لتدويل الإنتاج وعولمته عبر الاستثمار الأجنبي المباشر[٥].

ج- منظمة التجارة العالمية: وهي تعد أخطر المؤسسات المتعلقة بالعولمة، باعتبارها المشرفة على نظام التجارة في النظام العالمي الجديد، وهي تتمتع بسلطات تفوق الحكومات، ويمكنها إلغاء بعض القوانين أو سن بعض القوانين من خلال الاتفاقات الدولية، وتحجيم دور الدول في التحكم في إدارة الاقتصاد الوطني[٦]، فقد توصلت أمريكا وأوروبا عام ١٩٤٨م إلى الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة المسماة اختصارًا بـ(الجات) وذلك من أجل إيجاد نظام مشترك للتجارة الدولية[٧].

د- منتدى دافوس: وهو يعقد سنويا في سويسرا، ويحضره العديد من رؤساء الدول وكبار الاقتصاديين في العالم، وهو أحد أهم الوسائل الاقتصادية التي تعمق تيار العولمة وتضمن استمرارها والترويج لها[٨].

---

(١) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية، د. أحمد عبد العال (ص: ٢٤٧-٢٤٨).
(٢) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. خالد السيف (ص: ١٧٦).
(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٥).
(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٨).
(٥) انظر: ما العولمة؟ (ص: ١٥٨).
(٦) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية، د. أحمد عبد العال (ص: ٢٤٩).
(٧) انظر: العولمة، هلا دك الباب (ص: ٤٩-٥٠).
(٨) انظر: العولمة، هلا دك الباب (ص: ٥٢).

هـ- منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية: وقد أنشئت سنة ١٩٦١م، وتضم هذه المنظمة الثالوث الاقتصادي: الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، واليابان، ولذا تعد هذه المنظمة قوة رئيسة فاعلة للنظام العالمي الجديد، ويستحوذ هذا الثالوث على ٤٨,٧٪ من الإنتاج العالمي، وعلى ٨٤,٢٪ من التجارة الدولية، ويمتلك سكانها ٨٥,٥٪ من مدخرات العالم وفقا لتقرير الأمم المتحدة عام ١٩٩٤م[١].

٣- الاتفاقيات والمعاهدات الدولية:

تسعى هذه الاتفاقيات والمواثيق إلى تعميم المفاهيم الغربية، سواء تعلق ذلك بقضايا المرأة أو الأسرة أو ما يسمى حقوق الإنسان، بحيث تصبح هذه المفاهيم مفاهيم ملزمة، وتشرع القوانين لحمايتها، ومن أمثلة ذلك: البيان العالمي لحقوق الإنسان الذي تم الإعلان عنه سنة ١٩٤٨م، فقد نص هذا البيان على أمور تخالف الشريعة الإسلامية، منها: حرية تغيير الدين، وحرية الزواج دون اعتبار للدين، واتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة سنة ١٩٧٩م وغيرها[٢].

٤- الإعلام الموجه:

الإعلام منظومة متكاملة الأدوات والسبل والوسائل تشكل قوة ضغط كبيرة وفاعلية هائلة، حيث تستطيع أن تصل إلى الجميع، وتقدم صورا مبهرة لعالم آخر، ويخترق الحواس والعقول عبر ما يستطيع أن يقدمه متجاوزًا كل الممنوعات والمحرمات وأخلاقيات المجتمع، ثم فرض صورة جديدة، ونمط جديد للحياة وطرائق التفكير[٣]، وإن مما يزيد من خطورة العولمة هو أن ذراعها الإعلامي خاضع للسيطرة الصهيونية، والتي جعلت مهمة الإعلام ترسيخ القيم والمفاهيم وأنماط السلوك الغربية[٤].

٥- العقوبات الاقتصادية:

وهي الأسلوب الذي تتبعه الولايات المتحدة الأمريكية في حل الصراعات التي تحدث خارج أمريكا، وذلك من خلال فرض عقوبات اقتصادية على الدول التي تختلف معها سياسيا

(١) انظر: العولمة. هلا دك الباب (ص: ٥٤).
(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ١٧٤).
(٣) انظر: العولمة. هلا دك الباب (ص: ٩٩).
(٤) انظر: العولمة، هلا دك الباب (ص: ١٠١).

واقتصاديا، مع فرض قوانين أمريكية من طرف واحد وإجبار الدول الأخرى على الالتزام بقوانينها، لتتحول إلى مصدر للتشريع الدولي بالنسبة لبقية الدول[١].

٦- منظمة اليونسكو:

وهي إحدى المنظمات التابعة لهيئة الأمم المتحدة، ومقرها باريس، وهي تسعى لإيجاد رؤية ثقافية عالمية لتكون جزءًا من النظام العالمي في التعليم والثقافة[٢].

آثار العولمة:

للعولمة آثار سلبية كثيرة، ومن أبرز هذه الآثار ما يلي:

الآثار العقدية والفكرية:

١- من أهم الأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية الإيمان بالغيب، وهو يشمل الإيمان بالوحي والنبوة والبعث والجزاء والحساب والجنة والنار، وهذه العقائد لا وجود لها في العولمة الثقافية.

٢- إضعاف الانتماء إلى الدين وعلاقة الفرد بأمته ومسخ هويته؛ ليذوب في منظومة العولمة، ولا شيء أضر من محو شعور الشخص بالانتماء الحقيقي لدينه ومعتقده وثقافته ووطنه.

٣- ادعاء استعلاء الثقافة الغربية وأفضليتها على الثقافة الإسلامية.

٤- الإرهاب الثقافي عن طريق فرض العولمة الغربية والثقافة الأمريكية على جميع شعوب العالم بالقوة، واعتبار العولمة أمرًا واقعًا.

٥- نشر الأفكار والعقائد والعادات الفاسدة بأحدث التقنيات وأسرع وسائل الاتصالات[٣].

وهذه الآثار العقدية هي جوهر نظرية (فوكو ياما) المتعلقة بنهاية التاريخ[٤] التي تعني أن نهاية العصر يكون بحلول العولمة الأمريكية محل الأيدلوجيات الأخرى، والوسيلة الموصلة إلى هذا

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ٨٠).

(٢) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية (ص: ٢٤٩).

(٣) انظر: معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية (ص: ٢٥٦).

(٤) وهي تعني أن التاريخ سيصل إلى نهايته حين تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع الذي يشبع احتياجاته الرئيسية، وهو عند هيجل الدولة الليبرالية، وعند ماركس الشيوعية، وعند فوكوياما الديمقراطية الليبرالية والرأسمالية. انظر: تعاريف، محمد صهيب الشريف (ص: ٣١٨). ملحق بكتاب: ما العولمة؟ د. حسن حنفي. وصادق العظم.

الغرض هو نظرية صراع الحضارات[١] التي وضعها صموئيل هنتنجتون[٢].

الآثار الاجتماعية:

١- تغييب المبادئ الأسرية والقيم الاجتماعية التي جاء بها الإسلام في العلاقة بين الرجل والمرأة، وتشريعات الزواج والطلاق.

٢- الدعوة إلى إباحة العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، وفرض مفهوم المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات والحياة العامة.

٣- النظر إلى المرأة باعتبارها سلعة للمتعة ووسيلة للتسويق والدعايات.

٤- إفساد الأنماط السلوكية المتعارف عليها لدى الشعوب، وخاصة الشعوب الإسلامية في اللباس والأزياء، والترويج للعادات والتقاليد الغربية في طريقة اللباس وقص الشعر وتغيير الخلقة.

٥- صرف الشباب إلى الانغماس في ممارسة هوايات هابطة كالرقص والغناء[٣].

الآثار الاقتصادية:

١- تآكل الهياكل والمؤسسات الاقتصادية، وازدياد معدل البطالة والفقر في الدول الفقيرة؛ لأن العولمة الاقتصادية هي عبارة عن إرغام دول العالم الثالث على الاندماج في الاقتصاد العالمي، بحيث تتحول دول العالم الثالث إلى سوق استهلاكية لمنتجات الدول الصناعية الكبرى[٤].

٢- إعلاء شأن الملكية الفردية والحرية المطلقة حتى لو أدى ذلك إلى الخروج على ثوابت الدين وتقاليد المجتمع[٥].

٣- ارتفاع نسبة البطالة وزيادة معدلات الفقر، يقول جوزيف ستيجليتز (كبير الاقتصاديين في البنك الدولي) معلقا على الظاهر الساخرة المعبر عنها بـ(عولمة الفقر): «إن عولمة السوق الحر

---

(١) وهو يعني تراجع دور الدولة القومية في الصراع الدولي، وظهور الصراع بين الحضارات والثوابت الحضارية بدلا عنها. وأن أصل صراع الحضارات هو في الواقع صراع ديني. انظر: تعاريف. محمد صهيب الشريف (ص: ٣٠٩). ملحق بكتاب: ما العولمة؟ د. حسن حنفي، وصادق العظم.

(٢) انظر: النظام السياسي في الإسلام (ص: ٢٠٢-٢٠٤)، دراسات في المذاهب الفكرية (ص: ٢٦١).

(٣) انظر: النظام السياسي في الإسلام (ص: ٢٠٥-٢٠٦)، دراسات في المذاهب الفكرية (ص: ٢٦١).

(٤) انظر: العولمة وأثرها على العالم العربي والإسلامي، هلا دك الباب (ص: ١٢٧).

(٥) انظر: النظام السياسي في الإسلام (ص: ٢٠٦)، دراسات في المذاهب الفكرية (ص: ٢٦١).

لم تجلب للناس الرخاء الموعود، بل إنها جلبت الأزمات وانخفاض الأجور بنسبة ٢٠-٣٠٪، وأدت إلى ارتفاع البطالة بنسبة كبيرة، فبدلا من أن تؤدي العولمة إلى محاربة الفقر -كما بشر بها أصحابها- فإنها زادت من مشكلته، ففي الربع الأخير من القرن العشرين زادت معدلات الفقر زيادة خطيرة، وفي تقرير للأمم المتحدة بشأن التنمية البشرية لعام ١٩٩٩م أظهرت الدراسات أن دخل الفرد في أكثر من ٨٠ بلدا أصبح أقل مما كان قبل عشر سنوات»[١].

٤- هيمنة الاقتصاد على السياسة، يقول صاحب كتاب (فخ العولمة): «لقد صار الاقتصاد هو المهيمن على السياسة»[٢]، وقد وجدت طبقة يوجهون سيلًا من الاستثمارات المالية للتحكم في رفاهية أو فقر أمم برمتها[٣]. حتى قال أحد كبار الساسة الأمريكان وهو جيمس كارفيل مستشار الرئيس كلينتون: في السابق كنتُ أمنّي نفسي وأقول: لو ولدت فسأود أن أكون رئيسا أو بابا، أما الآن فإني أود أن أكون سوق مال؛ إذ سيكون بإمكاني أن أهدد من أشاء»[٤]. «لقد سلبت العولمة الدول الفقيرة ما تبقى لها من سيادة سياسية أو اقتصادية، وأصبحت مقدراتها دُولة في أيدي الأغنياء في العالم الأول المتحالفين مع طبقة رقيقة من أغنياء العالم الثالث»[٥].

(١) معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية. د. عبد العزيز مصطفى كامل (ص: ٢٤٣).
(٢) فخ العولمة (ص: ٣٢٨).
(٣) انظر: فخ العولمة (ص: ١٢).
(٤) فخ العولمة (ص: ١١٨).
(٥) معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية. د. عبد العزيز مصطفى كامل (ص: ٢٣٤).

المبحث الثالث:

أخطار العولمة، ودور المؤسسات العلمية والثقافية في مواجهة تلك الأخطار

أخطار العولمة:

أخطار العولمة متعددة الأنواع، فهناك الخطر العقدي والاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي؛ لأنها تهدف إلى وضع الناس في نموذج واحد، وإضعاف أو القضاء على عناصر الهوية لكل أمة في نواحيها المختلفة، وخطر العولمة لا يختص بالمسلمين، ولذلك يقول جارودي: «العولمة الوجه الآخر للهيمنة تقودها دولة كبرى، تحاول فرض نفوذها وجبروتها على العالم كله»[١]، وقال: «العولمة التسمية البديلة للهيمنة الشاملة على العالم»[٢]، فهي في حقيقتها الاستعمار لكن باسم آخر وبمنهج آخر، ولذلك يقول ريتشارد هيجوت: «العولمة هي ما اعتدنا نحن في العالم الثالث ولعدة قرون على تسميته (الاستعمار)»[٣].

وفي الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية كان هناك اتفاق كبير على أن العولمة سلاح خطير يكرس الثنائية (الافتراق) وانشطار الهوية الثقافية الوطنية، وأصبحت الثقافة وهي المنتج الاجتماعي سلعة مثل السلع المادية تتداول في سوق يسودها الأقوى[٤].

ومن أبرز هذه مخاطر العولمة ما يلي:

المخاطر الثقافية والأخلاقية:

١- تسعى العولمة الثقافية إلى تعميق التعلق بالحياة الدنيا ومظاهرها المادية، والانكباب على شهواتها الحسية.

٢- انتشار المفاسد الأخلاقية، والدعوة إلى التبرج والسفور، واستعمال جسد المرأة سلعة لإثارة الغرائز.

المخاطر الاجتماعية:

١- تدمير الأسرة عن طريق تسهيل الوصول إلى الفاحشة وانتشار العلاقات المحرمة، والتقليل

---

(١) مقابلة مع مجلة الاقتصاد الإسلامي، دبي، عدد ٢٩٩، يوليو ٢٠٠٠م.

(٢) أمريكا طليعة الانحطاط، رجاء جارودي (ص: ١١٢).

(٣) العولمة والأقلمة اتجاهات جديدة في السياسات العالمية، ريتشارد هيجوت (ص: ٣)، ترجمة: مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، أبو ظبي.

(٤) انظر: العرب والعولمة (ص: ٩).

من قيمة الزواج.

٢- إلغاء الفوارق الطبيعية بين الرجل والمرأة، والدعوة إلى المساواة بينهما في الحقوق والواجبات مطلقًا.

المخاطر الاقتصادية:

١- إعلاء شان الملكية الفردية والحرية المطلقة المنفلتة من أحكام الشرع وقيم المجتمع.

٢- العولمة الاقتصادية تؤدي إلى أن تجعل الأثرياء أكثر ثراء، وتجعل الفقراء أكثر فقرًا[١].

دور المؤسسات العلمية والثقافية في مواجهة تلك الأخطار:

أصبح العالم بحكم وسائل اتصالاته ومواصلاته كالقرية الواحدة، وهذه نعمة لو تم استغلالها من قبل المؤسسات العلمية والثقافية في العالم الإسلامي لكانت لها آثارها الإيجابية الحميدة، لتأخذ الأمة دورها الريادي بين الأمم، كما كانت من قبل، ولتبلغ الدين الحق للعالمين؛ لأنها تملك مقومات الهداية والريادة والعالمية، فهي بما تملكه من مقومات مؤثرة إيجابًا، لا متأثرة سلبًا.

ومن أهم الوسائل لمواجهة أخطار العولمة ما يلي[٢]:

١- إنشاء مشروع حضاري إسلامي لبث الوعي بين المسلمين وتحذيرهم من أخطار العولمة وأضرارها السيئة وآثارها السلبية على الفرد والمجتمع.

٢- إعداد الجيل المسلم والنشء الصالح الذي ينهض بالمجتمعات الإسلامية من كبوتها، وذلك بالاعتزاز بدينه وهويته، مع مواكبة التطورات العالمية والسعي إلى اللحاق بها.

٣- التكامل والتعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية من أجل مواجهة المخاطر الاقتصادية التي تحاول العولمة من خلالها السيطرة على ثروات المسلمين.

٤- استثمار وسائل الاتصالات الحديثة في نشر الإسلام والدعوة إلى الله ونشر العلم وعرض قضايا المسلمين المضطهدين في العالم.

٥- إنشاء مراكز علمية وثقافية متخصصة في تحصين الأمة الإسلامية ضد العولمة، وتحذير المسلمين من آثار العولمة السيئة، ووضع الخطط لمواجهتها.

---

(١) انظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. أحمد عبد العال (ص: ٢٦١-٢٦٣).

(٢) انظر: مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. أحمد الشرقاوي، د. إبراهيم عيسى (ص: ٢١٣-٢١٤)، دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. أحمد عبد العال (ص: ٢٦٥) وما بعدها.

ملخص الفصل الثاني عشر

- **تعريف العولمة:** هي فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، وخصوصًا عالم الشرق والعالم الثالث، وبالأخص العالم الإسلامي.
- **نشأة العولمة:** ظهرت العولمة بمفهومها الجديد في القرن العشرين مع ظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، وهذا النظام يؤدي إلى إزالة الحدود بين الدول، وتذويب القيم الثقافية والدينية.
- **أهداف العولمة:** (١) الهدف الاقتصادي: وهو السيطرة على رأس المال، وربطه بالاقتصاد الأمريكي. (٢) الهدف السياسي: العولمة في بعدها السياسي أحد أشكال الهيمنة السياسية، فباسم العولمة تمحى الإرادة الوطنية المستقلة للدول والشعوب. (٣) الهدف الثقافي: وذلك من أجل فرض هيمنة ثقافة واحدة، وهي ثقافة المستعمر. (٤) الهدف الاجتماعي: وذلك بنقل قيم المجتمع الغربي عموما والأمريكي خصوصا وجعلها مثالا للدول الأخرى. (٥) الهدف العسكري: وذلك من خلال إنشاء الأحلاف والمعاهدات العسكرية.
- **وسائل العولمة:** (١) المؤسسات السياسية، وهي منظمة الأمم المتحدة، ويندرج تحتها عدة هيئات ومؤسسات تابعة لها. (٢) المؤسسات الاقتصادية، ومن أمثلتها: البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي. (٣) الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، ومن أمثلة ذلك: البيان العالمي لحقوق الإنسان الذي تم الإعلان عنه سنة ١٩٤٨م. (٤) الإعلام الموجه. (٥) العقوبات الاقتصادية. (٦) الشركات العملاقة متعددة الجنسيات. (٧) منظمة التجارة العالمية. (٨) منظمة اليونسكو. (٩) منتدى دافوس. (١٠) منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية.
- **آثار العولمة: الآثار العقدية والفكرية:** (١) نفي الإيمان بالغيب، وهو يشمل الإيمان بالوحي والنبوة والبعث والجزاء والحساب والجنة والنار، وهذه العقائد لا وجود لها في العولمة الثقافية. (٢) إضعاف الانتماء إلى الدين وعلاقة الفرد بأمته ومسخ هويته.

(٣) ادعاء استعلاء الثقافة الغربية وأفضليتها على الثقافة الإسلامية. (٤) الإرهاب الثقافي عن طريق فرض العولمة الغربية والثقافة الأمريكية على جميع شعوب العالم بالقوة، واعتبار العولمة أمرًا واقعًا. (٥) نشر الأفكار والعقائد والعادات الفاسدة بأحدث التقنيات وأسرع وسائل الاتصالات. **الآثار الاجتماعية:** (١) تغييب المبادئ الأسرية والقيم الاجتماعية التي جاء بها الإسلام في العلاقة بين الرجل والمرأة، وتشريعات الزواج والطلاق. (٢) الدعوة إلى إباحة العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، وفرض مفهوم المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات والحياة العامة. (٣) النظر إلى المرأة باعتبارها سلعة للمتعة ووسيلة للتسويق والدعايات. (٤) إفساد الأنماط السلوكية المتعارف عليها لدى الشعوب، وخاصة الشعوب الإسلامية في اللباس والأزياء، والترويج للعادات والتقاليد الغربية في طريقة اللباس وقص الشعر وتغيير الخلقة. (٥) صرف الشباب إلى الانغماس في ممارسة هوايات هابطة كالرقص والغناء. **الآثار الاقتصادية:** (١) تآكل الهياكل والمؤسسات الاقتصادية، وازدياد معدل البطالة والفقر في الدول الفقيرة. (٢) إعلاء شأن الملكية الفردية والحرية المطلقة. (٣) ارتفاع نسبة البطالة وزيادة معدلات الفقر. (٤) هيمنة الاقتصاد على السياسة.

- **أخطار العولمة: المخاطر الثقافية والأخلاقية:** (١) تسعى العولمة الثقافية إلى تعميق التعلق بالحياة الدنيا ومظاهرها المادية، والانكباب على شهواتها الحسية. (٢) انتشار المفاسد الأخلاقية، والدعوة إلى التبرج والسفور، واستعمال جسد المرأة سلعة لإثارة الغرائز. **المخاطر الاجتماعية:** (١) تدمير الأسرة عن طريق تسهيل الوصول إلى الفاحشة وانتشار العلاقات المحرمة، والتقليل من قيمة الزواج. (٢) إلغاء الفوارق الطبيعية بين الرجل والمرأة، والدعوة إلى المساواة بينهما في الحقوق والواجبات مطلقًا. **المخاطر الاقتصادية:** (١) إعلاء شان الملكية الفردية والحرية المطلقة المنفلتة من أحكام الشرع وقيم المجتمع. (٢) العولمة الاقتصادية تؤدي إلى أن تجعل الأثرياء أكثر ثراء، وتجعل الفقراء أكثر فقرًا.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف العولمة، واذكر متى بدأ ظهور هذا المصطلح.

س٢: للعولمة أهداف سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية. اذكرها بإيجاز.

س٣: اذكر أهم الوسائل المتبعة لفرض العولمة.

س٤: بين مخاطر العولمة على الثقافة والأخلاق والمجتمع.

الفصل الثالث عشر:
الديمقراطية

المبحث الأول:
التعريف بالديمقراطية ونشأتها

تعريف الديمقراطية:

الديمقراطية ليست لفظًا عربيًا، بل هو مصطلح يوناني مكون من كلمتين (Demos) وتعني الشعب، و(Kratiq) وتعني الحكم أو السلطة، فمعنى الديمقراطية: حكم الشعب[١].

واصطلاحًا: حكم الشعب نفسه بنفسه.

جاء في قاموس كولنز تعريف الديمقراطية بأنها: «الحكم بواسطة الشعب أو ممثليه»[٢].

وجاء في المعجم الفلسفي تعريفها بأنها: «نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين، لا لفرد ولا لطبقة»[٣].

وهو نظام خيالي يمتنع تحقيقه في الواقع، ووجه ذلك: أن الأصل في الديمقراطية أنها حكم الشعب وتشريعه لنفسه بنفسه، ولكنها عند التطبيق حكم شريحة محدودة من الشعب، وهي صاحبة النفوذ والمال، يقول الكاتب الأمريكي ناعوم تشومسكي: «يشير مصطلح ديمقراطية إلى منظومة حكومية تسيطر فيها صفوة المجتمع المؤسسة من مجتمع الأعمال على الدولة بسبب سيطرتها على مجتمع القطاع الخاص، في حين يحملق سكان الدولة فيما يحدث في صمت، وبهذا الفهم تعد الديمقراطية -كما هو الحال في الولايات المتحدة- منظومة تصنع فيها الصفوة القرارات التي يصدق عليها العامة، ومن ثم يعد اشتراك العامة في صياغة السياسة العامة تهديدًا

(١) انظر: النظام السياسي في الإسلام، مجموعة من الباحثين (ص: ١٧٢).
(٢) النظام السياسي في الإسلام، مجموعة من الباحثين (ص: ١٧٢).
(٣) المعجم الفلسفي (ص: ٨٦).

خطير!»[١].

ولذلك قالوا بأن للديمقراطية من حيث التطبيق ثلاث صور:

الصورة الأولى: الديمقراطية المباشرة، وهي أقدم صورها، وفيها يمارس الشعب كله الحكم بنفسه، وهو أمر لا يتصور وقوعه إلا إذا كان الشعب قليل العدد جدًّا، بحيث يكون محصورًا في مدينة أو قرية صغيرة.

الصورة الثانية: الديمقراطية النيابية، وهي أن يمارس السلطة وسطاء يسند لهم الشعب هذه المهمة نيابة عنه، وهؤلاء الوسطاء يشكلون ما يسمى بالمجلس النيابي (البرلمان).

الصورة الثالثة: الديمقراطية شبه المباشرة، وهي أن يحتفظ الشعب لنفسه ببعض السلطات التي يمارسها بنفسه، مع وجود نواب للشعب يشكلون هيئة نيابية[٢].

نشأة الديمقراطية:

ظهرت فكرة الديمقراطية وهي حكم الشعب لنفسه في مدينة أثينا في اليونان، وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت الديمقراطية التي تمارس في أثينا هي الديمقراطية المباشرة؛ حيث كان الشعب يجتمع في العام أربعين مرة ليناقش كل القضايا السياسية المهمة مناقشة مباشرة، ويصدر فيها قراراته، لكنهم مع ذلك كانوا يستثنون النساء والرقيق، وكل من كان من أصل غير أثيني مهما طال مكثه فيها، كما كان يكفي لاعتبار الاجتماع منعقدًا أن يحضره ستة آلاف، فلم تكن تلك القرارات المتخذة موافقا عليها من قبل جميع الفئات التي أعطيت حق الحكم، وكانت مدة الاجتماع لا تتجاوز عشر ساعات، ولم يكن بإمكان جميع الناس المشاركة بآرائهم في هذه النقاشات، بل كان يستأثر بالحكم بعض قادتهم وزعمائهم، والبقية تابعة لهم، ثم لما بعثت الديمقراطية مرة ثانية في القرن الثامن عشر في أوروبا كان من المتعذر أن تكون مثل ديمقراطية أثينا بسبب الازدياد الكبير في عدد السكان، فاقترح بعضهم أن تكون الديمقراطية الحديثة غير مباشرة، بأن يختار الشعب فئة قليلة منه تكون ممثلة له وحاكمة باسمه[٣].

---

(١) إهدار الحقيقة، ناعوم تشومسكي (ص: ٧). حرره: دونالدو ماسيدو، ترجمة: د. نعيمة علي.

(٢) انظر: النظام السياسي في الإسلام، مجموعة من الباحثين (ص: ١٧٣).

(٣) انظر: الإسلام لعصرنا (المجموعة الثانية)، د. جعفر شيخ إدريس (ص: ٥٩).

المبحث الثاني:
مبادئ الديمقراطية وأسسها

يقوم النظام السياسي الديمقراطي على بعض المبادئ والأسس، ومنها:

١- سيادة الأمة:

فالديمقراطية نظام علماني قائم على فصل الدين عن الدولة، يراد به إرجاع أصل السلطة السياسية إلى الإرادة العامة للأمة، فالبشر في النظام الديمقراطي هم أصحاب السيادة والحكم والتشريع والقوانين، والشعب هو السلطة العليا، والمرجع الأعلى، ومصدر السلطات[١].

٢- الحكم للأغلبية:

لما كان من غير الممكن أن تجتمع إرادة جميع أفراد الأمة على غاية واحدة في التشريع والحكم نظرا لتفاوت عقول الناس ومداركهم ومصالحهم، كانت السيادة في النظام الديمقراطي للأغلبية؛ لأنها هي الأكثر عددًا، فالأغلبية هي التي لها حق الحكم واتخاذ القرارات ووضع القوانين الملزمة لجميع أفراد المجتمع. ولا يخفى أن هذا التوجه الذي تتبناه الديمقراطية لحكم الأغلبية يضفي القداسة والعصمة على رأي الأغلبية فقط[٢].

والحقيقة أن الديمقراطية وإن كانت في الأصل ترفع شعار حكم الأغلبية، فإنها عند التطبيق تتحول إلى حكم الأقلية، فالأقلية هي صاحبة النفوذ والمال هي التي تتحكم وتحكم في الأغلبية بعد وصولها إلى السلطة عبر آليات تملكها هذه الأقلية وحدها، كما أنها عند التطبيق تتحول إلى ديمقراطيات كثيرة متنوعة تصل إلى حد التناقض أحيانا، فديمقراطية الهند غير ديمقراطية إسرائيل، وديمقراطية أمريكا غير ديمقراطية الاتحاد الأوروبي[٣].

٣- ترجيح مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة:

يقوم النظام الديمقراطي على تمجيد الفرد وتقديسه وإعطائه الأولوية في الاعتبار، بل ترى الديمقراطية أن مصالح الجماعة ما هي إلا عبارة عن جملة مصالح الأفراد، وأن مصلحة الفرد يجب حمايتها من قبل الدولة[٤].

---

(١) انظر: نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، د. محمد أحمد مفتي (ص: ٣١-٣٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٣٤).

(٣) انظر: معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، د. عبد العزيز مصطفى كامل (ص: ١٥٧).

(٤) انظر: الديمقراطية وموقف الإسلام منها، محمد نور الرهوان (ص: ٦٠)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

المبحث الثالث:
موقف الإسلام من الديمقراطية

أولا: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فالحكم على الديمقراطية ينبني على تصورها، فهي بحسب تعريفها: حكم الشعب وتشريعه لنفسه بنفسه.

ومن المعلوم أن الحكم التشريعي في الإسلام لله تعالى وحده لا للبشر، كما قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وسمى الله جل وعلا حكم البشر حكم الجاهلية، فقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فمن جعل لنفسه حق التشريع والحكم من دون الله معتقدا أن قوانين البشر وتشريعاتهم أفضل من شرع الله أو مثلها أو معتقدا جوازها فهو كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة، وإن كان ذلك لهوى وشهوة ودنيا مع اعتقاده بوجوب التحاكم إلى شرع الله فهو كافر الكفر الأصغر، فالحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلى قسمين:

الأول: كفر ينقل عن الملة، وهو ستة أنواع: (١) جحد وجوبه، (٢) اعتقاد أن حكم غير الله أحسن من حكمه، (٣) أو مثله، (٤) أو أنه مخير فيه، (٥) إنشاء تشريع كامل يضاهي شرع الله، (٦) الحكم بالأعراف والعوائد القَبَلية وتقديمها على شرع الله.

الثاني: كفر عمل لا ينقل عن الملة، وهو أن تحمله شهوته وهواه على الحكم بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق[1].

ثانيًا: تقوم الديمقراطية على عدم قبول أحكام الإسلام إلا إذا وافق عليها الشعب أو وافقت عليها الأغلبية، وهذا بلا شك مخالف لشرع الله؛ لأن الواجب هو الحكم بشرع الله والتحاكم إليه دون استفتاء أو تصويت مما يوهم أن حكم الله وشرعه اختياري لا واجب، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ

(١) انظر: رسالة تحكيم القوانين (١٢/ ٢٨٨) وما بعدها باختصار، ضمن (فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم). وراجع للتفصيل: مدارج السالكين (١/ ٣٤٦)، شرح الطحاوية (٢/ ٤٤٦).

إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ثالثًا: أن رأي الأغلبية والأكثرية لا يلزم أن يكون صوابا، بل قد يكون ضلالا، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

رابعًا: أن هذا النظام خيالي لا يمكن تحقيقه في الواقع؛ لأن الشعب لا يمكن أن يكون كله هو الحاكم بجميع أفراده، ولذلك سخر الفيلسوف الفرنسي روسو من الديمقراطية قائلا: «إذا أخذنا لفظ (ديمقراطية) في معناه الدقيق بانَ أن الديمقراطية الحقانية لم توجد قط ولن توجد أبدًا؛ فإنه لمما يضاد النظام الطبيعي أن يحكم العدد الأكبر وأن يكون العدد الأصغر محكومًا، وليس من الجائز أن نتخيل الشعب لا ينفك مجتمِعًا لكي ينقطع للشؤون العامة»[1].

الفرق بين الشورى والديمقراطية:

ظن بعض الناس أن الديمقراطية هي نظام الشورى في الإسلام، وهذا خطأ من وجوه:

الأول: أن المرجع في الشورى عند الاختلاف إلى الله ورسوله، أما في الديمقراطية فالمرجع فيها إلى رأي البشر ولو خالف شرع الله.

الثاني: أن الشورى ليست في كل شيء، إنما تكون في الأمور الاجتهادية التي لم يرد فيها نص قطعي، بخلاف الديمقراطية فهي تكون في جميع المجالات ولو خالفت النصوص القطعية الصريحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الثالث: أن أهل الشورى معينون بصفاتهم من الإسلام والعدالة والعلم، بخلاف الحال مع الديمقراطية فيدخل فيها من يمثل الشعب ولو كان ملحدًا فاسقا مجاهرًا بمعصيته لمجرد جمعه للأصوات بسبب نفوذه المالي أو الإعلامي، فكيف يكون من هذا حاله ممثلًا للشعب في رعاية مصالحه؟!!

الرابع: الشورى نابعة من دين الله تعالى القائم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، أما الديمقراطية فهي نابعة من نظام كافر يعتقد أن الحكم للشعب لا

(١) في العقد الاجتماعي. جان جاك روسو (ص: ١٥٨). ترجمة: عبد العزيز لبيب.

لله، وأن أمر التشريع لهم دون سواهم.

الخامس: أن أصل نشأة الديمقراطية كانت في بلاد اليونان حيث لم يكن لهم دين يهديهم ولا تشريع يصلحهم، ثم تم إحياؤه في القرن الثامن عشر تخلصًا من طغيان الكنيسة وتشريعاتها المحرفة المضادة للعلم والمناقضة لمصالح الناس، أما في بلادنا فقد أنعم الله علينا بالإسلام الذي كفل الله فيه لجميع عباده تحقيق مصالح الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

ملخص الفصل الثالث عشر

- **تعريف الديمقراطية:** هي حكم الشعب نفسه بنفسه.
- **نشأتها:** ظهرت فكرة الديمقراطية وهي حكم الشعب لنفسه في مدينة أثينا في اليونان، وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم لما بعثت الديمقراطية مرة ثانية في القرن الثامن عشر في أوروبا كان من المتعذر أن تكون مثل ديمقراطية أثينا بسبب الازدياد الكبير في عدد السكان، فاقترح بعضهم أن تكون الديمقراطية الحديثة غير مباشرة، بأن يختار الشعب فئة قليلة منه تكون ممثلة له وحاكمة باسمه.
- **مبادئ الديمقراطية:** يقوم النظام السياسي الديمقراطي على بعض المبادئ والأسس، ومنها: (١) سيادة الأمة. (٢) الحكم للأغلبية. (٣) ترجيح مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة.
- **موقف الإسلام من الديمقراطية:** الحكم على الديمقراطية ينبني على تصورها، فهي بحسب تعريفها: حكم الشعب وتشريعه لنفسه بنفسه، ومن المعلوم أن الحكم التشريعي في الإسلام لله تعالى وحده لا للبشر، وتقوم الديمقراطية على عدم قبول أحكام الإسلام إلا إذا وافق عليها الشعب أو وافقت عليها الأغلبية، وهذا بلا شك مخالف لشرع الله.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف الديمقراطية، واذكر تاريخ نشأتها؟

س٢: يقوم النظام السياسي الديمقراطي على بعض المبادئ والأسس، فما هي؟

س٣: ما الفرق بين الديمقراطية والشورى؟

س٤: وضح موقف الإسلام من الديمقراطية.

فهرس المصادر

١) الابتعاث تاريخه وآثاره، د. عبد العزيز البداح، بدون ناشر، الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢) أبحاث في اليهودية والصهيونية، د. أحمد سوسة، دار الأمل، إربد، الأردن، ٢٠٠٣م.

٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، الثانية، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، الثانية، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٥) آثار ونتائج الانحرافات الفكرية الإلحاد نموذجًا. أنور بن قاسم الخضيري، المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة.

٦) أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة، محمد هلال الصادق هلال، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٧) الآداب الماسونية، شاهين مكاريوس، مطبعة المقتطف، مصر، ١٨٩٥م.

٨) الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، د. مازن صلاح مطبقاني، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٩) الاستشراق والتنصير، د. محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة.

١١) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع - المكتب الإسلامي.

١٢) الاستشراق، د. إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٦م.

١٣) الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية، شاهين مكاريوس، بدون بيانات.

١٤) أسرار الماسونية، جواد رفعت آتلخان، ترجمه عن التركية: نور الدين رضا الواعظ، سليمان محمد أمين القابلي.

١٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٦) الإسلام لعصرنا، د. جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٥هـ.

١٧) الإسلام والأديان، د. مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٨) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، دار الرسالة، السعودية، التاسعة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٩) الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة، د. مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى،

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٠) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، الشيخ محمد عبده، دار الحداثة، الثالثة، ١٩٨٨م.

٢١) أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د. إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبة، القاهرة، الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٢) أصول الليبرالية وموقف الإسلام منها، أحمد بن عبد الكريم اللهيب، مدار الوطن للنشر، الرياض، الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٢٣) افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٤) أقسام اللذات، فخر الدين الرازي، تحقيق: أيمن شحاتة، ليدن، بوسطن، ٢٠٠٦م.

٢٥) الإلحاد في الغرب، د. رمسيس عوض. سينا للنشر، القاهرة، الانتشار العربي، بيروت، الأولى، ١٩٩٧م.

٢٦) الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته، د. صالح سندي، دار اللؤلؤة، بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠١٢م.

٢٧) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٢٨) إهدار الحقيقة، ناعوم تشومسكي، حرره: دونالدو ماسيدو، ترجمة: د. نعيمة علي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الأولى، ١٤١٦هـ - ٢٠٠٦م..

٢٩) أهداف التغريب في العالم الإسلامي، أنور الجندي، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف.

٣٠) بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، تحقيق: عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٣١) براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، د. سامي العامري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الأولى، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م.

٣٢) بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، الرابعة.

٣٣) بين الكتب والناس، عباس محمود العقاد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣٤) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. محمد فتحي الزغبي، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، مصر، الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٥) التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، إسرائيل شاحاك، ترجمة: صالح علي سوادح، بيسان، بيروت، الأولى، ١٩٩٥م.

٣٦) تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين)، يوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت، الثانية، ٢٠٠١م.

٣٧) تبديد الظلام أو أصل الماسونية، عوض الخوري، بدون بيانات.
٣٨) التجديد في الفكر الإسلامي، د.عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى، ١٤٢٤هـ.
٣٩) تجفيف منابع الإرهاب، د. محمد شحرور، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، الأولى، ٢٠٠٨م.
٤٠) تحرير المرأة، قاسم أمين، المكتبة الشرقية، الثانية.
٤١) تراث الإسلام، مجموعة من الباحثين، تحرير: جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث، إصدارات عالم المعرفة، الكويت.
٤٢) تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ترجمة: شوقي جلال، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م.
٤٣) التغريب الثقافي وانعكاساته التربوية والتعليمية في الوطن العربي، د. يزيد الشورطي، بحث منشور على الإنترنت بدون بيانات.
٤٤) تغريب العالم، سيرج لاتوش، ترجمة: خليل كلفت، دار العالم الثالث، الأولى، ١٩٩٢م.
٤٥) التغريب طوفان من الغرب، أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٤٦) التغريب مفهومًا وواقعًا، د. فريد محمد أمعضشو، مجلة المنهاج، العدد: ٦٤، السنة السادسة عشر، ٢٠١٢م
٤٧) التغريب والغزو الصهيوني، عمر التومي، مجلة الثقافة العربية، ليبيا، العدد: ١٠، سنة ١٩٨٢م.
٤٨) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٤٩) تفسير الطبري، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٥٠) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٥١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٥٢) تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندل، ترجمة: د. جروج طعمه، دار الثقافة، بيروت.
٥٣) التلمود أصله وتسلسله وآدابه، ترجمه عن العبرانية: د. شمعون مويال، تقديم: د. ليلى إبراهيم أبو المجد، الدار الثقافية للنشر، الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٥٤) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، الثانية، ١٩٧٢م.
٥٥) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م.
٥٦) التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، د. علي إبراهيم النملة، دار الصحوة، القاهرة،

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥٧) التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد حسنين علي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٥٨) التيارات والمذاهب الفكرية المعاصرة في ميزان الإسلام، د. ماجد عبد السلام، د. إسماعيل عبد العليم، مكتبة الإيمان، الثانية، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

٥٩) الثقافة الإسلامية، د. صالح هندي وآخرون، دار الفكر، الأردن، الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٦٠) الثقافة الإسلامية، مأمون الساكت، وعطا الله خضر، مكتبة المجتمع العربي، الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٦١) ثلاث رسائل في الإلحاد والعقل والإيمان، د. عبد الله بن سعيد الشهري، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٧م.

٦٢) جذور البلاء، عبد الله التل، دار الإرشاد، بيروت، الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

٦٣) جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة، د. صلاح محمود العادلي، مكتبة الصحابة، الإمارات، الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٦٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار العاصمة، السعودية، الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦٥) الحركة الصليبية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الأولى، ٢٠١٠م.

٦٦) حرية الفكر والاعتقاد في الإسلام، جمال البنا، بدون بيانات.

٦٧) الحرية والثقافة، جون ديوي، ترجمة: أمين مرسي قنديل، مطبعة التحرير، القاهرة.

٦٨) حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الثامنة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٦٩) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، نهضة مصر، الرابعة، ٢٠٠٥م.

٧٠) الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية، شاهين مكاريوس، مؤسسة هنداوي، القاهرة.

٧١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الأوى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٧٢) حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحيم السلمي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٧٣) حكومة العالم الخفية، شيريب وفينش، ترجمة: مأمون سعيد

٧٤) حوار مع مبشر، أحمد ديدات، ترجمة: علي عثمان، المختار الإسلامي، القاهرة.

٧٥) حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي، مركز البيان للبحوث والدراسات، الرياض، الأولى، ١٤٣٥هـ.

٧٦) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل كيلاني، مكتبة الأقصى الإسلامية، ١٩٨٦م.
٧٧) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت، ترجمة: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.
٧٨) دراسات في الفلسفة الوجودية، د. عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، الثالثة، ١٩٧٣م.
٧٩) دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. أحمد عبد العال، دار الأوراق الثقافية، جدة، الثانية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٨٠) دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. خالد السيف، ١٤٢٢هـ، بدون بيانات.
٨١) الدولة اليهودية، تيودور هرتزل، ترجمة: محمد فاضل، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٨٢) الديمقراطية وموقف الإسلام منها، محمد نور الرهوان، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٨٣) الرأسمالية والحرية، ميلتون فريدمان، ترجمة: مروة عبد الفتاح شحاتة، كلمات عربية، مصر، الأولى، ٢٠١١م.
٨٤) الزحف إلى مكة، د. عبد الودود شلبي، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٨٥) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٨هـ.
٨٦) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٨٧) شرح الكوكب المنير، ابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٨٨) شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.
٨٩) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه: مارون عيسى الخوري، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الثامنة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٩٠) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٩١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار العربية، أبو الحسن الندوي، دار الندوة للتوزيع، لبنان، الثانية، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٩٢) صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية، د. محمد عثمان شبير، مكتبة الفلاح، الكويت، الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩٣) الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر. د. محمود دياب، مطبوعات الشعب، القاهرة.

٩٤) الصهيونية العالمية، عباس محمود العقاد، دار المعارف، القاهرة.

٩٥) طرق إحكام الرقابة على وسائل الغزو الفكري والخلقي، مجموعة باحثين، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.

٩٦) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: نايف أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الأولى، ١٤٢٨هـ.

٩٧) العالمانية طاعون العصر، د. سامي العامري، مركز تكوين، الأولى، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٩٨) عبد الرحمن بدوي ومذهبه الفلسفي. د. عبد القادر بن محمد الغامدي. مكتبة الرشد. الرياض. الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٩٩) العرب والعولمة، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الثانية، ١٩٩٨م.

١٠٠) العرب واليونسكو، د. حسن نافعة، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م.

١٠١) العقل والعقلانية، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، الثانية، ٢٠٠٧م.

١٠٢) العقلانية المعاصرة عند روبير بلانشي، علي بوقليع، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

١٠٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، إجناس جولدتسيهر، نقله إلى العربية وعلق عليه: د. محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، الثانية.

١٠٤) العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠٥) العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى باحو السلاوي المغربي، جريدة السبيل، المغرب، الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٠٦) العلمانية تحت المجهر، د. عبد الوهاب المسيري، ود. عزيز العظمة، دار الفكر، دمشق، الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٧) العلمانية جذورها وأصولها، د. محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٠٨) العلمانية وضلالة فصل السياسة عن الدين، محمد الخضر حسين، دار الاستقامة، مصر، الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٠٩) العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم، الرياض، الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١١٠) العهد القديم وعالمه وتحدياته، القس د. عيسى دياب، دار منهل الحياة، لبنان، الأولى،

٢٠١٤م.
١١١) العولمة جذورها وفروعها، د. عبد الخالق عبد الله، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الثاني، ١٩٩٩م.
١١٢) العولمة وأثرها على العالم العربي والإسلامي، هلا دك الباب، دار قتيبة، دمشق، الأولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
١١٣) العولمة والأقلمة اتجاهات جديدة في السياسات العالمية، ريتشارد هيجوت، ترجمة: مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، أبو ظبي.
١١٤) الغارة على العالم الإسلامي، شاتليه، لخصها ونقلها إلى العربية: مساعد اليافي، محب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، جدة، الثانية، ١٣٨٧هـ.
١١٥) الغزو الفكري التحدي والمواجهة، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، الثانية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
١١٦) الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر، د. علي محمود عبد الحليم، الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١١٧) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مجموعة باحثين، بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١١٨) فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع، الرياض.
١١٩) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الأولى، ١٤١٤هـ.
١٢٠) فخ العولمة، هانس، بيتر مارتن، هارالد شومان، ترجمة: د. عدنان عباس علي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.
١٢١) فضح التلمود، الأب براناتيس، إعداد زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، الرابعة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
١٢٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، الرابعة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
١٢٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، المغرب، الثانية، ١٩٩٦م.
١٢٤) الفكر الليبرالي تحت المجهر، د. محمود الصاوي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
١٢٥) الفلسفة موضوعات مفتاحية، جوليان باجيني، ترجمة: أديب يوسف شيش، دار التكوين، دمشق، الأولى، ٢٠١٠م.
١٢٦) في الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، الرابعة.

١٢٧) في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، السادسة، ١٩٦٤م.
١٢٨) في العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، ترجمة: عبد العزيز لبيب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الأولى، ٢٠١١م.
١٢٩) الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، الرياض، الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٣٠) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٤م.
١٣١) قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين، دار الثقافة، العاشرة.
١٣٢) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٣٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٣٤) قصة النزاع بين الدين والفلسفة، د. توفيق الطويل، مكتبة الآداب، القاهرة.
١٣٥) قضايا التنوير والنهضة في الفكر العربي المعاصر، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الأولى، ١٩٩٩م.
١٣٦) الكتاب الأسود للرأسمالية، مجموعة من المؤلفين، ترجمة: د. أنطون حمصي.
١٣٧) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
١٣٨) الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٣٩) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: د. يوسف نصر الله، دار القلم، دمشق، دارة العلوم، بيروت، الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٤٠) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
١٤١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ.
١٤٢) ماذا يريد الغرب من القرآن؟ د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، مجلة البيان، الرياض، الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٤٣) الماسونية في العالم العربي، وائل إبراهيم الدسوقي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٤٤) الماسونية في العراء، د. محمد علي الزعبي، الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م.
١٤٥) الماسونية مؤامرة أخرى على الإسلام، للدكتور أحمد الشرباصي، مقال بمجلة الهلال عدد جمادى الآخرة، ١٣٩٧هـ-يونيو ١٩٧٧م.
١٤٦) الماسونية، أحمد عبد الغفور عطار، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، الثالثة، ١٣٩٨هـ -

١٩٧٨م.

١٤٧) المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، د. محمد البهي، الإدارة العامة للثقافة الإسلامية، مطبعة الأزهر.

١٤٨) المثقفون في الحضارة العربية، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الثانية، ٢٠٠٠م.

١٤٩) مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٥٠) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٥١) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، روجيه جارودي، دار الشروق، القاهرة، الثالثة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٥٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٥٣) مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. أحمد الشرقاوي، د. إبراهيم عيسى، دار الرشد، الرياض، الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٥٤) مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. أحمد الشرقاوي، د. إبراهيم عيسى، مكتبة الرشد، الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٥٥) المدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. محمد رشاد سالم، دار القلم، الكويت، التاسعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٥٦) مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، د. ممدوح حسين، دار عمار، الأردن، الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٥٧) المدخل لدراسة التوراة، د. محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٥٨) المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من الحديث الشريف، نجمية أردول، رسالة ماجستير، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ٢٠٠٧م.

١٥٩) المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩م.

١٦٠) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي، القاهرة.

١٦١) المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، الثالثة.

١٦٢) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، الثانية.

١٦٣) مصطلح التنوير مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث، د. عبد اللطيف توفيق الصباغ،

مجمع الفقه الإسلامي، جدة.
١٦٤) المعارك الأدبية، أنور الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م.
١٦٥) المعتزلة بين القديم والحديث، محمد العبده، طارق عبد الحليم، دار الأرقم، برمنجهام، الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
١٦٦) معجم الإيمان المسيحي، الآب صبحي حموي اليسوعي، راجعه الآب جان كوربون، دار المشرق، بيروت، الثانية، ١٩٩٨م.
١٦٧) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٦٨) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٦٩) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
١٧٠) معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، د. عبد العزيز بن مصطفى كامل، مجلة البيان، الرياض.
١٧١) مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلحات ذات الصلة، جميلة بنت عيادة الشمري، بحث منشور على شبكة الألوكة.
١٧٢) مفهوم الحرية، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الخامسة، ٢٠١٢م.
١٧٣) مفهوم تجديد الدين، د. بسطامي محمد سعيد، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الثالثة، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
١٧٤) من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٧٥) من التبعية إلى الأصالة في مجال التعليم واللغة والقانون، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة.
١٧٦) من العقيدة إلى الثورة، د. حسن حنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة.
١٧٧) من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية، د. محمد السيد الجليند، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة.
١٧٨) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٧٩) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر بن عبد الله القفاري، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي، الرياض، الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
١٨٠) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، د. حسن حنفي، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، الأولى، ١٩٩٥م.
١٨١) موسوعة السياسة، مجموعة من الباحثين، تحرير: عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
١٨٢) موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الأولى،

١٩٨٤م.

١٨٣) الموسوعة الفلسفية العربية، رئيس التحرير: د. معن زيادة، معهد الإنماء العربي، الأولى، ١٩٨٦م.

١٨٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرابعة، ١٤٢٠هـ.

١٨٥) الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، بدون بيانات.

١٨٦) موسوعة علم الاجتماع، جوردن مارشال، ترجمة: أحمد عبد الله زايد وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٠م.

١٨٧) موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الثانية، ٢٠٠١م.

١٨٨) موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري، كلية الدعوة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

١٨٩) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٩٠) موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، د. محمود بن علي البعداني، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

١٩١) ميليشيا الإلحاد، عبد الله صالح العجيري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الثانية، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

١٩٢) نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، أبو الحسن الندوي، دار الإرشاد، بيروت، الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

١٩٣) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، د. عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، الثالثة عشرة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٩٤) نشوء الشرق الأدنى الحديث، مالكولم ياب، ترجمة: خالد الجبيلي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، الأولى، ١٩٩٨م.

١٩٥) النظام الاقتصادي في الإسلام، د. عمر بن فيحان المرزوقي وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، الثامنة، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

١٩٦) النظام السياسي في الإسلام، مجموعة باحثين، مدار الوطن للنشر، الرابعة عشرة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٩٧) نظرات حول الإنسان، روجيه جارودي، ترجمة: يحيى هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٩٨) نظرات في الفكر الإلحادي الحديث، مشير باسل عون، دار الهادي، بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٩٩) نفسية الإلحاد، د. بول سي فيتز، ترجمة مركز دلائل، دار وقف دلائل، الرياض، الأولى، ١٤٣٨هـ.

٢٠٠) نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، د. محمد أحمد مفتي، مجلة البيان، الرياض، الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٠١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٠٢) الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، د. محمد إبراهيم الفيومي، مكتبة الأنجلو المصرية. الأولى، ١٩٨٣م.

٢٠٣) الوجودية مذهب إنساني، جان بول سارتر، ترجمة: عبد المنعم الحفني، الأولى، ١٩٦٤م.

٢٠٤) وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، رابطة العالم الإسلامي.

٢٠٥) يقظة العالم اليهودي، إيلي ليفي أبو عسل، دار الفضيلة، بدون تاريخ.

٢٠٦) اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، الثامنة، ١٩٨٨م.

فهرس الموضوعات

مقدمة..... ٣
الفصل الأول: مقدمات في المذاهب والتيارات المعاصرة..... ٥
المبحث الأول: التعريف بالمذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة..... ٥
المبحث الثاني: أسباب نشأة المذاهب والتيارات المعاصرة ٧
المبحث الثالث: تاريخ انتقال المذاهب والتيارات المعاصرة إلى العالم الإسلامي وأسباب ذلك
..... ١٠
المبحث الرابع: الآثار السيئة للمذاهب الفكرية والتيارات المعاصرة ١٢
المبحث الخامس: أهم المؤلفات في دراسة المذاهب والتيارات المعاصرة ١٣
ملخص الفصل الأول..... ١٥
أسئلة تطبيقية..... ١٦
الفصل الثاني: الغزو الفكري ١٧
المبحث الأول: مفهوم الغزو الفكري..... ١٧
المبحث الثاني: أهداف الغزو الفكري ومظاهره ومجالاته ١٨
المبحث الثالث: وسائل الغزو الفكري وأدواته ٢٠
المبحث الرابع: آثار الغزو الفكري وخطورته..... ٢٣
المبحث الخامس: سبل مواجهة الغزو الفكري..... ٢٤
ملخص الفصل الثاني ٢٦
أسئلة تطبيقية..... ٢٧
الفصل الثالث: الاستشراق والتنصير ٢٨
المبحث الأول: التعريف بالاستشراق، ونشأته، وأشهر رجاله، وأهدافه ٢٨
المبحث الثاني: وسائل الاستشراق المعاصر ومراكزه..... ٣٤
المبحث الثالث: نماذج من افتراءات المستشرقين والرد عليهم..... ٣٩
المبحث الرابع: مفهوم التنصير() وصلته بالاستعمار وعلاقته بالاستشراق..... ٤٥
المبحث الخامس: تاريخ التنصير وأهدافه..... ٤٨
المبحث السادس: وسائل التنصير المعاصرة ومراكزه..... ٥١
المبحث السابع: طرق مواجهة التنصير المعاصر ٦٠

ملخص الفصل الثالث ٦٢
أسئلة تطبيقية ٦٥
الفصل الرابع: التغريب ٦٦
المبحث الأول: التعريف بالتغريب، ونشأته، وأهدافه، ووسائله ٦٦
المبحث الثاني: وسائل التغريب المعاصر ومراكزه ٧٠
المبحث الثالث: نماذج من صور التغريب المعاصر في العالم الإسلامي ٧٥
المبحث الرابع: موقف التغريبيين من قضايا المرأة المسلمة ٧٦
المبحث الخامس: سبل مواجهة التغريب ٧٨
ملخص الفصل الرابع ٨٠
أسئلة تطبيقية ٨٢
الفصل الخامس: الصهيونية والماسونية ٨٣
المبحث الأول: التعريف بالصهيونية ونشأتها ٨٣
المبحث الثاني: مصادر الفكر الصهيوني ٨٥
المبحث الثالث: أهداف الصهيونية ووسائلها ٩٠
المبحث الرابع: صلة الصهيونية باليهودية العالمية ٩٣
المبحث الخامس: واجب المسلمين تجاه المخططات الصهيونية ٩٦
المبحث السادس: مفهوم الماسونية ونشأتها وأهدافها ووسائلها ٩٧
المبحث السابع: مصادر الفكر الماسوني ١٠٧
المبحث الثامن: النوادي الماسونية المعاصرة ١٠٨
المبحث التاسع: موقف علماء المسلمين من الماسونية ومن انتسب إليها ١٠٩
ملخص الفصل الخامس ١١١
أسئلة تطبيقية ١١٤
الفصل السادس: الوجودية ١١٥
المبحث الأول: التعريف بالوجودية، وظروف نشأتها، وأشهر فلاسفتها ١١٥
المبحث الثاني: آثار الوجودية في المجتمع الغربي ١٢٠
المبحث الثالث: الاتجاهات الوجودية في العالم الإسلامي، وأبرز ممثليها ١٢٢
المبحث الرابع: موقف الإسلام من الوجودية ١٢٥
ملخص الفصل السادس ١٢٦
أسئلة تطبيقية ١٢٧

الفصل السابع: العقلانية ١٢٨
المبحث الأول: التعريف بالعقلانية والعقلانيين..... ١٢٨
المبحث الثاني: المقصود بعصر التنوير، والتنويريين، والعصرانيين ١٣٠
المبحث الثالث: الجذور الفكرية والعقدية للعقلانيين ١٣٣
المبحث الرابع: المدرسة العقلية الحديثة تعريفها، ونشأتها، ومعالمها، وآثارها..... ١٣٤
ملخص الفصل السابع..... ١٣٨
أسئلة تطبيقية ١٤٠
الفصل الثامن: العلمانية..... ١٤١
المبحث الأول: التعريف بالعلمانية وأسباب ظهورها في الغرب..... ١٤١
المبحث الثاني: أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي ١٥٠
المبحث الثالث: صور من العلمانية في مجالات الحياة المختلفة..... ١٥٢
المبحث الرابع: موقف الإسلام من العلمانية ١٥٥
ملخص الفصل الثامن..... ١٥٧
أسئلة تطبيقية ١٥٨
الفصل التاسع: الليبرالية ١٥٩
المبحث الأول: التعريف بالليبرالية ونشأتها ١٥٩
المبحث الثاني: أسس الليبرالية ومبادؤها ١٦٤
المبحث الثالث: أطوار الليبرالية ومجالاتها..... ١٦٧
المبحث الرابع: موقف الإسلام من الليبرالية..... ١٦٩
ملخص الفصل التاسع..... ١٧١
أسئلة تطبيقية ١٧٣
الفصل العاشر: الإلحاد المعاصر..... ١٧٤
المبحث الأول: تعريف الإلحاد، وتاريخه في حياة البشرية ١٧٤
المبحث الثاني: مظاهر الإلحاد المعاصر ووسائله..... ١٧٧
المبحث الثالث: أسباب ظهور الإلحاد المعاصر ١٨٠
المبحث الرابع: آثار الإلحاد في حياة الأمم والشعوب والمجتمعات والأفراد ١٨١
المبحث الخامس: وسائل وطرق مواجهة ظاهرة الإلحاد المعاصر ١٨٣
ملخص الفصل العاشر..... ١٨٥
أسئلة تطبيقية ١٨٧

الفصل الحادي عشر: الرأسمالية..... ١٨٨
المبحث الأول: التعريف بالرأسمالية، ونشأتها..... ١٨٨
المبحث الثاني: أسباب الرأسمالية، وتطورها..... ١٨٩
المبحث الثالث: أهم أسس الرأسمالية..... ١٩١
المبحث الرابع: آثار الرأسمالية..... ١٩٢
المبحث الخامس: حكم الرأسمالية، والفرق بينها وبين النظام الإسلامي..... ١٩٤
ملخص الفصل الحادي عشر..... ١٩٥
أسئلة تطبيقية..... ١٩٦
الفصل الثاني عشر: العولمة..... ١٩٧
المبحث الأول: التعريف بالعولمة، ونشأتها، وأهدافها..... ١٩٧
المبحث الثاني: وسائل نشر العولمة، وآثارها..... ٢٠٢
المبحث الثالث: أخطار العولمة ، ودور المؤسسات العلمية والثقافية في مواجهة تلك الأخطار
..... ٢٠٨
ملخص الفصل الثاني عشر..... ٢١٠
أسئلة تطبيقية..... ٢١٢
الفصل الثالث عشر: الديمقراطية..... ٢١٣
المبحث الأول: التعريف بالديمقراطية ونشأتها..... ٢١٣
المبحث الثاني: مبادئ الديمقراطية وأسسها..... ٢١٥
المبحث الثالث: موقف الإسلام من الديمقراطية..... ٢١٦
ملخص الفصل الثالث عشر..... ٢١٩
أسئلة تطبيقية..... ٢٢٠
فهرس المصادر..... ٢٢١
فهرس الموضوعات..... ٢٣٣